



غافق للدراسات والنشر
GAFIQ for studies and publishing

النور السائر

مِنْ

حُطَّابِ الْمَنَابِرِ

المَجْمُوعَةُ السَّابِعَةُ

تأليف الشيخ:

عبدالله بن عبد العزيز الفوزان



النُّزُوحُ السَّائِرُ

مِنْ

حُطْبِ الْمُنْبَائِمِ

الطبعة الأولى
1444 هـ - 2022 م



إخراج فني وإلكتروني:
عبد الرحمن بن محمد

777 966 145



775 924 328



غافق للدراسات والنشر

GAFIQ for studies and publishing

النور السائر

مِنْ

خطب المنابر

المجموعة السابعة

تأليف الشيخ:

عبدالله بن عبد العزيز آل سعود



المقدمة

الحمد لله الذي جعل الجمعة خير الأيام، وخص بها أمة خير الأنام، وشرع فيها فواضل الآداب والأحكام، فكانت مظهراً من مظاهر الإفضال والإنعام، وشرفها بالخطبة وجعلها فيها من الواجبات، وأمر الرجال الأصحاء المقيمين بحضورها في الجُمُعات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، شهادة حق في الباطن والظاهر، وشهادة صدق تتلى كل جمعة على أعواد المنابر.

والصلاة والسلام على نبي الهدى، ومصباح الدجى، الذي شرفت المنابر بصعوده، وتزينت المحاريب بقيامه وسجوده، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد :

فما زالت منابر الجمعة في الأمة هي الدوحة الظليلة التي تلتقي تحتها جموع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ ليتفيؤوا ظلها البارد الذي يريحهم من حر حناجر الباطل وهي تزجر به صباح مساء على كل أفق.

يفد المسلمون إلى تلك القبلة المنشودة ليسمعوا كلمة الهدى التي ترشدهم إلى سبل السلام ليسلكوها، وتحذرهم مضلات الطرق حتى يعدلوا عنها، وتصل نفوسهم مما غشاها من أحزان الأسبوع وغفلاته، وتداويها من آلام العيش وحسراته، وتفتح لهم

أبواب التفاؤل في واقع غلب عليه اليأس، وأحكم إغلاقه البؤس، وتزيح عنهم غبار الأفكار المضلة، والآراء المزلّة؛ حتى تبقى عقولهم نقية من الغبش الذي يصل إليها كل حين عبر الفضاء المفتوح المفعم بالكدر، وتتشلهم من حمأة الشهوات المردية التي أسرت عزتهم ووقتهم وجهدهم وسنا أنفسهم.

فخطبة الجمعة هي مشفى الأسبوع المجاني لعلاج العقول والقلوب والنفوس، وقارب النجاة إلى شط الأمان من اغتلام بحر الحياة بالأوجاع، وهي مشكاة النور التي يقتبس منها المسلمون أضواء أيامهم السبعة، ودارة تعليمهم التي ترسخ فيهم تعاليم الحق، وتربّيهم على الإحسان إلى الخلق.

هذه على الحقيقة رسالة المنبر في الإسلام التي ينبغي أن يعيها الخطيب حقاً؛ ليستعد لتمام الإحسان فيها، والقيام بحققها، وأداء الأمانة على منابرها.

وهي في الوقت عينه الرسالة التي يجدر بالسامعين أن يفهموها؛ كي يتهيؤوا للاستفادة منها، فيقوموا بحققها: حضوراً، وإنصاتاً، وفهماً، وعملاً وبلاغاً.

فإذا لم يدرك الخطيب عظمة رسالته، وحق أمانة منبره الذي يقف عليه كل جمعة، وحق المستمعين الذين يجلسون بين يديه، وجاءوا إليه وقد هجروا أعمالهم وانشغالاتهم ليستمعوا ما يقول؛ فما أعظم مصيبة المسلمين به، وأشد خسارتهم في يوم جمعتهم معه!

وإذا لم يدرك المستمعون ما عليهم نحو خطبة الجمعة، وأصبح حضورهم لها عادة أسبوعية، خالية من نية التعبد والتعلم والاتعاظ والتزود من ذلك لإصلاح العمل وتقويمه، ومن ثم ينصرفون إلى دنياهم بلا زاد؛ فما أسوأها من حال، وما أضرها عليهم وعلى من حولهم من الأقربين والأبعدين!

فإذا لم يعرف الناس دينهم من المساجد، ولم يداووا قلوبهم فيها، ويحلوا مشكلاتهم من خلال ما يسمعون فيها من النصيحة والإرشاد؛ فإن البديل عن ذلك هو الإصغاء لأصوات أهواء النفس وشروورها، ودعاة الفرقة والضلال ومرض القلوب، في المجالس والأسواق وأمام أجهزة الإعلام السيء.

لهذا كان لا بد من العودة الصادقة إلى معرفة رسالة المنبر، والعناية بها من قبل الخطباء والمستمعين؛ حتى تتحقق الغاية المنشودة من هذه الشعيرة الإسلامية العظيمة.
وبعد:

فهذه هي المجموعة السابعة من سلسلة "النور السائر من خطب المنابر" التي ألقيتها متممة لست مجموعات قد سبقتها، وقد اشتملت هذه المجموعة الجديدة على (30) خطبة في موضوعات يحتاجها الفرد والأسرة والمجتمع، في العلاقة مع الله، ومع النفس، ومع الآخرين.

أسأل الله تعالى أن ينفعني بها، وينفع بها من شاء من الخطباء والقارئ والسامعين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه : د. عبد الله بن عبده العواضي

1444/4/17 هـ، 2022/11/11 م.

خطبة الحاجة: (عظمتها، ومضامينها)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71] (1).

أيها المسلمون، هذه المقدمة كثيراً ما تسمعونها من الخطباء والمحاضرين، وتقرؤونها في افتتاحيات كتب بعض المؤلفين، وتسمى هذه المقدمة خطبة الحاجة؛ لأنها مفتاح يفتتح بها المتكلم الحديث عن حاجة من حاجاته؛ كموعظة، أو خطبة، أو تعليم، أو جواب، أو نكاح، أو غير ذلك.

(1) خطبة الحاجة بهذه الصيغة التي ذكرناها جمعت من عدة روايات: من صحيح مسلم، ومسنند أحمد وسنن النسائي وسنن أبي داود وصحيح ابن خزيمة، وغيرها، عن عدة من الصحابة منهم: ابن مسعود، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، رضي الله عنهم، وغيرهم.

وقد ناسب ذكر هذه المقدمة بين يدي الحاجات بهذه الأصول الكلية؛ فحمد الله ثناء على نعمه ومنها الكلام والكتابة، وغير ذلك.

والاستعانة بالله طريق إلى التوفيق في القول، والعبد مفتقر إلى ذلك.

والعصيان من أسباب الخذلان، فيحتاج المسلم إلى طلب المغفرة والهداية حتى يظفر بمطلوبه.

وشرور النفس، وسيئات الأعمال تقف في طريق التوفيق، ومن شرور النفس: العُجب بقدرة النفس، فيحتاج العبد الذي يريد الوصول إلى النُجْح في حاجته إلى الاستعاذة بالله من شر نفسه وسيء عمله.

ولما كان المتكلم أو الكاتب سيقف داعياً للحق فيحسن به أن يبين أن أصدق الكلام كلام الله، وأحسن الهدى الذي جاء به رسول الله؛ ليشير ذلك إلى أنه ينبغي دعوة الناس وفق كلام الله، وهدايتهم بما يتوافق مع هدي رسول الله، وأن على الناس سماع كلام الله واتباعه؛ لأنه أصدق الكلام، وسماع كلام رسوله والعمل به؛ لأنه أحسن الكلام البشري.

وبيانه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأن شر الأمور محدثاتها، ووصف المحدثه والحكم عليها وبيان عاقبتها؛ فيه دعوة إلى أن تكون دعوة المسلم بعيدة عن البدع والمحدثات، وفيها ترهيب من الوقوع في ذلك؛ لأن الوصف والعقوبة الناتجة عن البدعة قد بيته هذه الكلمات المضيئة.

ثم ختمت المقدمة بالوصية بالتقوى، وهي الأمر الجامع لصلاح الدين القائم على فعل الأوامر وترك النواهي، فالوصية بالتقوى دعوة متكررة في كل خطبة إلى لزوم شرع الله - أمراً ونهيًا - على الدوام.

أيها الأحاب الكرماء، إن من الأمور الملحوظة: أن يكثُر في السامعين الانشغال الذهني عن خطبة الحاجة حتى يدخل المتكلم في موضوع كلامه، ويتجاوزها بعض القراء في الكتب التي يقرأها إلى شروع الكاتب في صلب حديثه.

ونحن اليوم- بعون الله -ستحدث عن أهمية هذه الكلمات النبوية المشرقة، وبيان مضامينها المتألقة؛ حتى نلتفت إليها بآذاننا وقلوبنا حين نسمعها، وبعيوننا وأفئدتنا عندما نقرأها، ففيها كلام جامع مفيد، وألفاظ غزيرة بالمعاني النافعة.

عباد الله، إن لخطبة الحاجة أهمية عظيمة ويدل على ذلك:

أن رسول الله ﷺ كان يعلمها أصحابه؛ فقد جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة.."(1).

ومما يدل على أهمية هذه الخطبة: أنها كانت سبباً لإسلام الصحابي ضماد بن ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعن ابن عباس أن ضماداً قدم مكة - وكان من أزد شنوءة وكان يركي من هذه الريح (2) - فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون. فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال: فلقيه فقال: يا محمد، إني أركي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: (إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد). فقال: أعد عليّ كلماتك هؤلاء. فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات - قال - فقال:

(1) رواه أحمد والنسائي وأبو داود، وهو صحيح.

(2) يعني: الجنون ومس الجن.

لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر⁽¹⁾ - قال: - فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام - قال: - فبايعه⁽²⁾.

أرأيتم - معشر المسلمين - إلى الأثر العظيم الذي تركته خطبة الحاجة على لسان ضماد وقلبه وحاله! فلقد وصف كلماتها وصفاً عظيماً، وأثرت فيه تأثيراً كبيراً، حتى أدخلته في دين الإسلام.

أيها المؤمنون، لقد تضمنت هذه الكلمات الموجزة أصولاً كلية عظيمة، حريّ بنا أن نقف عندها وقفة تأمل وبيان.

فقد افتتحت ببيان أن الحمد كله لله، وأنه لا يستحق ذلك سواه؛ فهو تعالى محمود على كماله وجلاله وجماله في ذاته وصفاته وأقضيته وأفعاله.

والحمد عبادة من العبادات التي تؤدي في سراء المسلم وضرائه؛ فقد كان النبي ﷺ إذا رأى ما يسره قال: (الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا رأى ما يسؤره قال: الحمد لله على كل حال)⁽³⁾.

ولما كان الحمد كذلك فإن علينا أن نستمر في حمد الله ما دمنا على هذه الحياة؛ ولهذا بعد أن قال: الحمد لله، قال: (نحمده).

ثم قال رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد ذلك -: (ونستعينه ونستغفره ونستهديه) ثلاث كلمات تضمنت ثلاثة مطالب عظيمة بها صلاح الدنيا والدين والآخرة، وقد

(1) يعني: قعره الأقصى.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه ابن ماجه، وابن السني، وهو صحيح.

جاءت بصيغة المضارعة الدالة على التجدد والاستمرار.

فنحن نطلب من الله العون في كل ما توجهنا إليه من أمور ديننا ودنيانا؛ لأننا ضعفاء عاجزون، فلو وكلنا إلى أنفسنا لهلكنا. قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28].

وقال الشاعر:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى
فأكثرُ ما يجني عليه اجتِهادهُ
ونحن نديم طلب المغفرة من الله تعالى؛ لأن ذنوبنا كثيرة، وهي مستمرة معنا، فناسب أن نستمر في الاستغفار. قال رسول الله ﷺ: (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً) (1).

ونحن محتاجون كثيراً إلى هداية الله تعالى باستمرار، فالهداية بيد الله وحده، وأسباب الضلال كثيرة غير منقطعة، فما أحوجك -أيها المسلم- إلى الاستمرار في طلب الهداية: تثبتاً لما أنت عليه من الهدى، وحماية لك من أسباب الضلال والردى، وإرشاداً لك إلى مواطن الهداية وسبل زيادتها.

ألا فاستحضر ذلك عندما تقرأ في كل ركعة قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6].

عباد الله، وتستمر مصابيح خطبة الحاجة في الإشراق، فتأتينا إضاءة الاستعاذة بعد الحمد والاستعانة والاستغفار والاستهداء، فيقول الصادق المصدوق: (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا).

فقد تضمنت هذه الاستعاذة الاستعاذة من أصل الشر وفروعه وغايته ومقتضاه،

(1) رواه ابن ماجه، وهو صحيح.

فليس في الدنيا والآخرة شر أصلاً إلا الذنوب وعقوباتها، فالشر اسم لذلك كله، وأصله من شر النفس وسيئات الأعمال، وسيئات الأعمال من شرور النفس، فعاد الشر كله إلى شر النفس؛ فإن سيئات الأعمال من فروعه وثمراته. فيستعيز العبد من عمله السيء ومن عقوبته التي تسوء، فالأعمال السيئة تستلزم العقوبات السيئة⁽¹⁾.

ثم يقول نبينا ﷺ: (من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له)، هذه الجملة جاءت بمعناها آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ [الزمر: 37]، وقوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا﴾ [الكهف: 17].

فإذا كان الأمر كذلك فعلياً أن نطلب الهداية من الله، ونستعيز به من الضلالة؛ فالهداية إلى الحق أعظم نعم الله على العبد، وهي نعمة انفرد بها سبحانه فتستحق جزيل الحمد والشكر، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: 43].

والضلال أكبر النقم على العبد. نسأل الله أن ينعم علينا بتمام الهداية، ويجنبنا سبل الضلال والغواية.

أيها الأحبة الفضلاء، ثم قال رسول الله: (وأشهد⁽²⁾ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)، هاتان شهاداتا الإسلام وهما أساسه وركنه

(1) الجواب الكافي (ص: 80) بتصرف.

(2) يلاحظ أنه في الشهادة عدل عن ضمير الجمع في: (نحمده، نستعينه، نستغفره، نعوذ) إلى ضمير المفرد فقال: (وأشهد)، ولذلك سبب ذكره بعض العلماء. ينظر: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته (297/1).

الأول: الشهادة لله بالوحدانية، والشهادة لنبينا محمد بالرسالة.

فهاتان الشهادتان لا يصح إسلام أحد إلا بالإقرار بهما ظاهراً وباطناً، وإلا كان خارجاً عن ملة الإسلام.

فلا إله إلا الله كلمة التوحيد ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، وأي إله سواه عُبد فقد عُبد بباطل.

وشهادة أن محمداً رسول الله تعني: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، وترك ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما سمعنا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون: فما زالت أنوار خطبة الحاجة تدعونا للالتفات إلى أضوائها المشرقة؛ كي نعرف عظمتها، ونعي ما فيها.

فبعد إفراد الله بالتوحيد، ورسوله بالرسالة يقول نبينا ﷺ: (إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد).

فأصدق الكلام والقول كلام الله وقوله؛ لأنه يستحيل على الله الكذب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87]، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122]، فهو سبحانه وتعالى صادق القول في خبره ووعدته ووعيدته، وكل ما جاء عنه.

وعلينا أن نوقن بذلك يقيناً جازماً، متبوعاً بعمل دالّ على كمال ذلك التصديق.

وأحسن الهدى أو الهدي هدى رسول الله وهديه، أي: إرشاده وطريقته، فقد كمل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بصفات الكمال البشري، ومن ذلك كماله في هدايته.

وقد زكاه الله بهذا فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]، وقال: ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: 79].

فإذا أردنا أحسن الدلالة، وأفضل الطريقة للهداية فعلينا الاقتداء بنبينا محمد

ﷺ
عليه وعلى
آله وصحبه

عباد الله، ثم يقول رسولنا ﷺ: (وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل

بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار).

وهذه الجمل الأربع تحذير من سلوك طريق البدع؛ فقد بين رسول الله أن شر الأمور المحدثات في الدين؛ وذلك لأنها اتهام غير مباشر لرسول الله بأنه لم يبلغ جميع الدين، ولأنها تصير الدين من حق إلهي إلى حق مشترك بينه وبين خلقه، فيصبح الدين ألعوبة بين عقول البشر، كل يزيد فيه على حسب هواه عبر الأجيال.

وقد بين النبي ﷺ أن كل المحدثات في الدين من مسمى البدع، وأن البدع تسوق إلى الضلال؛ لأنها تعدُّ على حق الشارع الذي هو الحق، وما بعد الحق إلا الضلال.

ثم إن البدعة تؤدي بصاحبها إلى النار إذا لم يتب منها؛ لأنها عمل مخالف لشرع الله، وكل عمل مخالف لشرع الله فمصيره النار.

أيها الفضلاء، ثم ختم رسول الله ﷺ خطبة الحاجة بالأمر بالتقوى، وذكر لذلك ثلاث آيات.

والوصية بالتقوى وصية جامعة؛ لأنها عمل بالدين كله، فهي: كل عمل يجعل بين العبد وبين غضب الله وعذابه وقاية، وقد ورد ذكر التقوى في القرآن والسنة كثيراً: أمراً بها، وبياناً لثمراتها، وحسن عاقبة أهلها.

فيا عباد الله، علينا أن نولي خطبة الحاجة مزيداً من العناية، فالمتكلمون - خطباء ومحاضرين وكاتبين - يكثرون من استفتاح خطبهم بها، والسامعون يراعون أسماعهم لها، فعلينا جميعاً أن نعي مضامينها، وما احتوت عليه من جوامع الكلم، ومقاصد القول الكريم.

نسأل الله أن يلهمنا السداد، ويثبت خطانا على سبيل الرشاد.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية محمد....

وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره⁽¹⁾

الحمد لله رفيع الدرجات، بديع الأرض والسموات، الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء.

إله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين.

إياه نعبد، وله نصلي ونسجد، وإليه نسعى وَنَحْفِدُ، نرجو رحمته ونخشى عذابه، إن عذابه الجَدَّ بالكفار مُلْحَقٌ.

أشهد أنه لا إله إلا هو، وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وصفاته وأسمائه، ولا ند له يستحق ما يستحقه في أرضه وسمائه، جل عن الصاحبة والولد والنظير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أعظم عبد عبده ومخلوق وحده، ورسول أثنى عليه ومجده، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار، وصحابته الأخيار، ما تعاقب الليل والنهار، وسلّم تسليمًا.

أما بعد :

أيها المسلمون، أحسنُ حديث يتحدث به المتحدثون، وأحسن وصف يذكره الواصفون، وأصدق مدح ينطقه المادحون؛ الحديث عن الله تعالى ووصفه ومدحه.

(1) أُلقيت في مسجد الشوكاني-مشورة-، 18/11/1443هـ، 17/6/2022م.

فهو جل وعلا ذو العظمة والجلال، وذو العزة والكمال، وذو الجلال وحسن الفعال.

لا إله إلا هو خلق الخلق بقدرته، ودبر أمرهم بعلمه وحكمته، لا يخفى عليه ما يعملون، ولا يعزب عنه ما يسرون وما يعلنون. ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59].

لا إله إلا هو أسبل على عباده غزير فضله ورحمته، وأسبغ عليهم عظيم منته ونعمته، فالمرحوم من رحمه، والسعيد من أنعم عليه وأكرمه. ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: 64].

لا إله إلا هو يعصى فيغفر، ويؤذى فيصبر، حلماً منه وإمهالاً، لا عجزاً منه ولا ضعفاً، حاشاه وهو القوي القادر، المنتقم القاهر، يفعل ما يشاء، ويصنع ما يريد.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: 45].

ويقول جل وعلا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67].

ويقول سبحانه في حديث قدسي: (يُؤَذِّنِي ابْنُ آدَمَ؛ يَشْتُمْنِي وَهُوَ لَا يَدْرِي، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ شَتْمِي؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرِ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي لِي، أَجَدُّدُهَا وَأُبْلِيهَا، وَآتِي بِمُلُوكٍ بَعْدَ مُلُوكٍ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهَا) (1).

(1) حديث قدسي رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود.

لا إله إلا هو الملك العدل المبين، لا يظلم عباده في الدنيا ولا يوم الدين، يقضي بينهم بعدله، وينيلهم الخير بفضله، لا باستحقاق منهم ليله.

قال جل وعز: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 40].

لا إله إلا هو يتقرب إلى عباده بإفضاله، واستمرار خيره ونواله، وهم يتعدون عنه بعضيانه وقلة شكره، وهو الغني عنهم وعن عبادتهم، وهم المفتقرون إليه افتقاراً كلياً في جميع شؤونهم، فطاعتهم لهم لا له، وخطاياهم عليهم ولا تضر الله شيئاً.

قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15].

وقال سبحانه في حديث قدسي: (يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّوَنِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنِّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ) (1).

أوصافه دون المدى وعُلاه	سبحان من يَفْنَى المداؤ ولم تزل
وصفاته وفعاله وهُده	سبحان من شهدت له آياته

سبحانَ من لا شيء يشبهُهُ ولا شيء يُؤَلِّهُ في الوجودِ سِوَاهُ
 سبحانَ من صمدتْ إليه ذليلةٌ كُلُّ البريةِ لا غتنامَ عطاهُ
 سبحانَ من يُحصي فعَالَ عبادِهِ من ذا تغيبُ عن الخبيرِ خُطاهُ؟!
 سبحانَ من يئُلُ الأنامُ جميعُهُم يومَ الحسابِ إلى بساطِ قِوَاهُ

أيها الإخوة الفضلاء، إن الله سبحانه هو الرب ونحن المربوبون، الخالق ونحن المخلوقون، الرازق، ونحن المرزوقون، المنعم ونحن المنعم عليهم، القوي ونحن الضعفاء، القادر ونحن العاجزون، الكامل ونحن الناقصون، يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا ولا نحيط به علماً.

لا يخرج شيء في خلق الله عن علمه، ولا يعدل ما يجري بينهم عن حكمته، ومتى أراد شيئاً فلا راد لقضائه، ولا معقب، لحكمه، ولا غالب لأمره.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255].

لهذا -يا عباد الله- كان أحق بأن يفرد بالعظمة والجلال، ويوصف بكل حسن في الأقدار والأفعال، وتصرف له العبادة وحده على وجه الكمال، تذلاًّ وحباً، ورجاء ورهباً، ويطاع فلا يعصى، ويذكر ولا ينسى، ويشكر ولا يكفر.

ولا يقال لما يجري في الوجود مقال اعتراض على قدره، أو مقال شك في نفوذ قدرته فيه وأمره، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23].

أيها الفضلاء الكرام، إن التعدي على الله تعالى هو أعظم الكفر وأشنعه، وأسوأ أنواعه وأفظعه، حين يصفه الأفاكون بما لا يليق به من صفات النقص، وينسبون إليه ما تنزه عنه جلاله من نعوت البخس.

فالتعدي على الله تبارك وتعالى ليس كالتعدي على أحد، بل ليس كالتعدي على القرآن والإسلام ورسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

لأنه ما من خير بالعباد إلا والله مصدره، وما من شر مدفوع عنهم أو مرفوع إلا والله دافعه ورافعه. ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاؤُونَ﴾ [النحل: 53].

غير أن من عشت بصيرته عن رؤية آثار جلال الله وكماله، وعمي بصره عن رؤية آلائه ونواله، وبديع خلقه وعظمة حكمته في قضائه وأفعاله؛ لم يقدر الله حق قدره، فراح يمرق عن شرعه، ويعدو على ربه كفراً به وجحوداً لحقه، غير متعظ بالغير، ولا معتبر بالعبر.

متناسياً: ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ تُبْعَثُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْجَرَمِينَ﴾

[المرسلات: 16-18].

أيها المؤمنون، في عصرنا الذي صار مقود الحياة المتقدمة بيد غيرنا، وصرنا-أمة الإسلام-أمة مسودة تابعة، وابتعدنا فيه عن امتثال كثير من شرائع ديننا في الشؤون العامة والخاصة؛ عوقبنا نتيجة ذلك بالذل والتمزق، فلم يعد لنا مكان مرموق بين الأمم تحترم لأجله مقدساتنا، ويمنع به التدخل في شؤوننا؛ لذلك وجّه أعداؤنا سهام النكال إلينا: فطعنوا في ربنا وقرآننا وإسلامنا ورسولنا.

وأضحوا ينشرون ثقافة الإلحاد والتمرد عن الدين في أوساطنا عبر وسائل الإعلام المختلفة ووسائل التواصل المتعددة.

وغدا بعض رجالنا ونسائنا وشبابنا وشاباتنا يتلقون تلك الثقافة الآسنة ويثونها بين عموم المسلمين، ووراءهم من يمدّهم بالأموال الكثيرة، والشهوات الأخرى، بائعين في سوق تلك المطالب الرخيصة دينهم وأخلاقهم وأوطانهم الإسلامية.

قال الله: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: 38]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: 77].

وقال النبي ﷺ: (تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْحَمِيصَةِ) (1).

ولوسألتهم -يا عباد الله- عن القنوات والطرق التي عبر منها الإلحاد إلى قلوب بعض المسلمين اليوم لوجدتم من ذلك: الفراغ العقدي الذي يسر مرور تيار الشبهات، والحواء الإيماني الذي لم يستطع صد عنفوان الشهوات، والجهل بالإسلام الذي لم يقدر أهله على التمييز بين الخبائث والطيبات، والغباء العقلي الذي انجر بسببه أهله إلى قبول الخدع والإغراءات.

لذلك تجرأ بعض بني جلدتنا، ممن يتكلمون بألستنا على المجاهرة بالتعدي على الله والطعن في قداسته، والمرور بعد ذلك على العدوان على الإسلام والقرآن والنبي ﷺ.

فنقول لأولئك الأراذل الأسافل الذين جاهرُوا في عداوة الله والطعن فيه، وأتوا

من الكفر بما لم يأت به كفار قريش وأمثالهم من الكافرين السابقين، نقول لهم:

لا يغرنكم حلم الله وإمهاله؛ فإن الله (كَيْمَلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ﴿١﴾ وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ [هود: 102]) (١).

ونقول للملحدين المعاصرين كذلك: ماذا صنع الملحدون السابقون قبلكم، وما بلغوا في إلحادهم؟ ألم تبلغكم عواقبهم الوخيمة، ونهاياتهم الأليمة، ﴿٣﴾ قُلِ انتظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿٤﴾ [الأنعام: 158].

لئن هلكَ الماضون في شرِّ بغيهم
فموتل من ساروا على البغي أفضعُ
ونقول في هذا الحدث الجلل:

أَيُّوَذَى إِلَهَ الْكَوْنِ فِي النَّاسِ جَهْرَةً
أَيُّوَذَى إِلَهَ الْكَوْنِ يَا أُمَّةَ الْهُدَى
أَيُّوَذَى إِلَهَ الْكَوْنِ؟! لَا طَابَ عَيْشُنَا
لَقَدْ سَاءَ قَوْلُ الْمَلْحَدِينَ فَسَاءَنَا
تَجَاوَزَ حَدَّ الْكُفْرِ الْخَادُّ عَصْرَنَا
وَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَقْعَةٍ
تَعَدَّوْا عَلَى رَبِّ الْوَرَى وَتَنَافَسُوا
عَلَى اللَّهِ يَا شَرَّ الْأَنَامِ عَدُوْتُمْ
عَلَى اللَّهِ يَا شَرَّ الْوَرَى سَوْءَ حَرْبِكُمْ
وَيُرْمَى بِسَوْءِ الْقَوْلِ؟!، جَلَّ لَهُ الْقَدْرُ
وَلَيْسَ لِبَاغٍ مِنْ حَمِيْنَا زَجْرُ؟
إِذَا نَحْنُ فِي صَمْتٍ وَلَا بَقِيَّ الْعُمْرُ
وَأَسْوَأُ مَا كَانَ الصَّفَافَةُ وَالْكَفْرُ
وَزَادَ عَلَى الْمَقْدَارِ وَانْكَشَفَ السِّرُّ
وَصَارَتْ تَرْوِيهِ الْبَدَاوَةُ وَالْحَضْرُ
عَلَى أَفْطَحِ الْأَقْوَالِ فَانْتَشَرَ الْهَجْرُ
وَمِنْهُ لَنَا النُّعْمَى وَمِنْهُ أَتَى الْخَيْرُ؟!
وَلَمْ يُشْنِكُمْ عَنْهَا الْمَخَافَةُ وَالْحَفَرُ?!
أَيُّوَذَى إِلَهَ الْكَوْنِ فِي النَّاسِ جَهْرَةً
أَيُّوَذَى إِلَهَ الْكَوْنِ يَا أُمَّةَ الْهُدَى
أَيُّوَذَى إِلَهَ الْكَوْنِ؟! لَا طَابَ عَيْشُنَا
لَقَدْ سَاءَ قَوْلُ الْمَلْحَدِينَ فَسَاءَنَا
تَجَاوَزَ حَدَّ الْكُفْرِ الْخَادُّ عَصْرَنَا
وَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَقْعَةٍ
تَعَدَّوْا عَلَى رَبِّ الْوَرَى وَتَنَافَسُوا
عَلَى اللَّهِ يَا شَرَّ الْأَنَامِ عَدُوْتُمْ
عَلَى اللَّهِ يَا شَرَّ الْوَرَى سَوْءَ حَرْبِكُمْ

على الله يا شرَّ العبادِ كتبْتُم
 تعالى ملكُ الناسِ جلَّ جلالُهُ
 رحيمٌ كريمٌ مُنعمٌ متفضِّلٌ
 له من صفاتِ المدحِ كلُّ نعوتهِ
 فواللهِ لولا حلمُهُ جلَّ شأنُهُ
 حلِيمٌ صبورٌ لا يُعاجِلُ مَنْ طَغى
 وليس يَضُرُّ اللهَ إلحادُ ملحدٍ
 مقالَة سوءٍ لا يُطهِّرُها البحرُ؟!
 وقُدِّسَ عن نقصٍ وعزَّ له القهرُ
 قديرٌ عزيزٌ ليس يُعجزُهُ أمرُ
 فسبحانَهُ ربِّي له الحمدُ والشُّكْرُ
 لما بقيَ العادي ولا ضَمَّةٌ وزرُ
 فإنْ جاوزَ الإمهالَ جاوزَهُ الصَّبْرُ
 تنزَّهَ ذو العِلياءِ ونافَ له القَدْرُ

نسأل الله تعالى أن يحفظ عقيدة المسلمين، من شر الملحدين، وأن يرد مكر
 الماكرين عليهم، ويصرف كيد الكائدين إليهم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله العزيز الجبار، الحليم الغفار، والصلاة والسلام على النبي المختار، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار.

أما بعد :

أيها المسلمون: إننا اليوم في عصر الكلمة العابرة، على متن الوسائل الحديثة السريعة المعاصرة، التي تصل إلى كل أحد يتعامل معها، وقد تجاوز ذلك إلى من يتلقى عن أهلها في المجالس والطرق والبيوت وأماكن اللقاءات.

ولذلك غدت ثقافة الإلحاد تنتشر انتشار النار في الهشيم؛ بفعل قوتها الإعلامية، ووسائلها الترويجية، ووقوف قوى كبرى وراء تصديرها، والاحتفاء الكبير بالمتنمين الجدد إليها.

لهذا كان لا بد من عوامل وقاية تحفظ المسلمين من شر هذا الغازي الجديد الذي لا يحتاج إلى عدة وعتاد وأجناد، وإنما يحتاج إلى جوال يمتلكه المسلم.

فمن وسائل الوقاية :

الحذر من متابعة ما ينشره الملحدون، وما يروجه لهم الأغبياء الجاهلون؛ لأن تلك المتابعة قد تؤدي إلى استصغار هذا التعدي فيبقى الإنسان بلا إحساس بالإنكار، وربما أسلم بعد ذلك عنانه إلى التأثير بتلك الأفكار وخرج عن الإسلام.

ولا يأمن الإنسان على نفسه ويقول: إن إيماني درع حصينة لا يمكن لسهام الإلحاد أن تخترقها، فالوقاية -عند العقلاء- خير من العلاج، والشبه خطافة، والقلوب ضعيفة.

ومن وسائل الوقاية: المسارعة إلى نفي كل شبهة قد تعلق في الذهن، والبحث عن الجواب الشافي عنها، قبل أن تتجذر في العقل فتنبت أشجاراً خبيثة من الشكوك والثورة على المقدس.

ومن وسائل الوقاية: تنمية التعظيم والتقديس لله تعالى في القلوب عبر وسائل: منها: تقوية الإيمان بالقضاء والقدر، والنظرة الصحيحة للأحداث، واعتقاد حكمة الله في كل ما يجري. ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22].

ومن وسائل الوقاية: إيقاظ الإيمان في القلوب بالعلم النافع، وكثرة العمل الصالح الخالص، وإزاحة كدر الغفلة عن صفاء اليقين، وبذلك يتكون الحصن المنيع الذي يرد عاديّات الإلحاد والملحدين.

ومن وسائل الوقاية: التعلق بالدار الآخرة وما في الجنة من النعيم للمؤمنين، وترك الانغماس في الدنيا وملهياتها، ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: 36].

فيها أيها المسلمون، إذا كنا غضبنا لاعتداء الهندوسي على رسول الله، فالغضب للاعتداء على الله تعالى أولى، فلنر ربنا غضبنا من أجله، وحميتنا في الرد على الطاعن فيه، ولننحم أنفسنا وأجيالنا من غبار الإلحاد والملحدين، ولنحصن قلوبنا وعقولنا بحصون قوة الإيمان واليقين.

نسأل الله أن ينير بالإيمان أفئدتنا، ويحمي بالعلم النافع صفاء عقولنا، ويدفع شر الملحدين عن إخواننا المسلمين وأخواتنا.

هذا وصلوا وسلموا على السراج المنير...

سمو سيد البشر عن طعن عابد البقر⁽¹⁾

الحمد لله الذي أعطى نبينا الكوثر، وجعل شائته هو الذميم الأبت، والدني الأذلّ الأحقر، مرتداً كان أو كتابياً أو مشركاً أو عابداً للبقر، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي رفع مقام رسولنا فوق مقامات البرية، وأنزله بفضلُه منازل التكریم العلیّة، فجعله أعظم الخلق قدرا، وأبقاهم في المحامد ذكرا، وأكثرهم فضلا وخيرا، وأوفرهم ثوابا وأجرا، أرسله الله رحمة للعالمين، وضياء للناس أجمعين، فجعله شاهداً ومُبَشِّراً وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرًا جَا مُنِيرًا.

فأشهد أنه عبد الله ورسوله، وصفيه من بين خلقه وخليله، وأمينه على وحيه، وسفيره بالحق إلى عباده، شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذل والصغار على من انتقص قدره، وخالف بالشقاق أمره، فصلى الله عليه وعلى آله ما بقي الزمان، وتعاقب عليه الجديدان، وسلم تسليما.

ذاك الذي عبدَ الإلهَ وأخلصا وهو المشفعُ في المعادِ لمن عصى
وبكفه نطقَتْ وسبّحتِ الحصى شرفاً له ولربه تعظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

مني السلام عليك ما هبَّ الصَّبَا وتعانقت عذبات باناتِ الرُّبى
وتناوحت وُرُقُ الحِمَامِ لتطربا وأضاء نورُك في السماءِ نجومًا

(1) أُلقيت في مسجد الشوكاني-مشورة-في: 1443/11/11هـ، 2022/6/10.

صلوا عليه وسلموا تسليماً

صلى وسلم ذو الجلالِ عليك يا مَنْ نورُ طلعتِه يشقُّ الغيها
صلى وسلم ذو الجلالِ عليك ما أحلاك ذكراً في القلوبِ وأعذبا
صلى وسلم ذو الجلالِ عليك ما أوفاك للمتذممينَ وأحسبا
صلى وسلم ذو الجلالِ عليك ما أزكاكَ في الرسلِ الكرامِ وأطيبا

أيها المسلمون:

من أين أبتدئُ الحديثَ عن النبي أم أيُّ قولٍ سوف يسعف مطلبي
وبأيِّ تعبٍ وحرفٍ مشرقٍ أعلوبه قُننِ الشاءِ الطيبِ
ويُبين ما بلغ الرسولُ من العلا ويصوغ آثارَ السحابِ الصيبِ

محمد، لفظ ما أحلاه، ومعنى ما أسماه، وعلم ما أعلاه، وضياء ما أبهاه، وطود في
المكارم ما أرساه، ونجم في السماء ما أظهره وما أسناه، ومنهل من المحامد ما أوسعه
وما أزكاه، ونهر في عذوبة الخلق ما أطهره وما أنقاه، وجمال في المظهر والمخبر والمشهد
والمغيب، فسبحان من خلقه وسوّاه، وكَمَله وأوفاه.

محمد، سَنِيَّ الخصال بلا ريب، متصل الفضائل بلا عيب، محمود في الأرض
والسما، مرفوع الآخرة والأولى.

قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد الناس يوم القيامة) (1).

عاش بين قومه " فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً،
وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وألينهم عريكة، وأعفهم نفساً، وأكرمهم خيراً،

(1) رواه البخاري.

وأبرهم عملاً، وأوفاهم عهداً، وآمنهم أمانة، حتى سماه قومه: الأمين؛ لما جُمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية، وكان كما قالت أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَحْمِلُ الْكُلَّ، وَيُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، ويعين على نوائب الحق ⁽¹⁾.

وصفته البدوية من أول نظرة فأبدعت في وصفه، وصدق قولها في نعته، فكيف لو عاصرت سيرته عن قرب مكان، ورأت عذب خلاله عن إيمان، فقالت ذلك القول الخالد ما معناه: كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهر الوضوء، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبهُ ضخامة بدن، ولا صغر رأس، وسيم قسيم، في عينيه سواد جميل، وفي شعر أجفانه طول، وفي صوته بحة الرجال، وفي عنقه امتداد، ناصع البياض، أكحل العينين، رقيق الحاجب في طول، شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهامهم من بعيد، وأحسنهم وأحلاهم من قريب، حلو المنطق، وسط لا قليل ولا كثير، كأن منطقَه خرزات نظمن يتحدرن، وسيط القامة، لا تحتقره العيون لقصره ولا لفحش طوله، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحقُّون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، جميل المعاشرة، حسن الصحبة.

عباد الله، لما بعث عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بلغ بالنبوة أعلى منازل الكمال البشري، ونال فيها أسمى أوسمة الشرف النفسي، فصنع على عين الله فكان تاج المفاخر والفضائل، وعنوان المحامد والشهائل، ومنهل الهدى والزكاء، وأفق العلو والسناء.

أثنى عليه الله وكفى بثنائه ثناءً، ومدحه وحسبك بمدح الله مدحاً، فمن أصدق

(1) الرحيق المختوم (54).

من الله قيلاً، ومن أحسن من الله حديثاً.

فقد قال في سلامة عقله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: 22].

وقال في دماثة خلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

وقال في صدق خبره: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22].

وقال في استقامة دينه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 2-4].

وقال في عظمة رحمته، وكمال حرصه ورأفته: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

وقال في غاية بعثته، وسلامة دعوته: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: 11]، ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: 73].

عباد الله، لم يطب لسيء الناس أن يبقى رسول الله ﷺ في منازل السمو مقيماً، يزداد مع مرور الدهور علواً وتكريماً، فراحوا ينالون منه نيلاً عظيماً؛ ليطفئوا بذلك لهب غيظهم المشتعل، ويظهروا به عذاب نفوسهم المتصل، ويحاولوا بسوء مقامهم إنزال من كتب له الخلود على معاهد الجوزاء، وتعكير نهر حُبِّه المتدفق في جميع الأنحاء، وقطع صلة القلوب بتعظيمه وتوقيره في كل الأرجاء.

طامحين بهذا السعي الخائب إظهار أنفسهم بمحاسن الشيم، وصوالح القيم، وأنى

لهم ذلك وهم غرقى في المعاييب، ملأى من المثالب، فكيف يصح أن يُقرأ لهم ويُسمع وهم على الحال التي وصفنا، والحقيقة التي ذكرنا، ولكن لا عجب فنحن في زمن العجائب، والحال كما قال الشاعر:

إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالْبُخْلِ مَادِرٌ وَعَيْرٌ قَسًا بِالْفَهَاهَةِ بَاقِلٌ
وَقَالَ السُّهَى لِلشَّمْسِ أَنْتِ خَفِيَّةٌ وَقَالَ الدُّجَى لِلصُّبْحِ لَوْنُكَ حَائِلٌ
وَطَاوَلَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً وَفَاخَرَتِ الشُّهْبُ الْحَصَى وَالْجَنَادِلُ
فِيَا مَوْتَ زُرْ إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ وَيَا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكَ هَازِلٌ

ولكن هيهات هيهات أن يصل الشانئون محمداً إلى مراد العدوان، ويبلغوا غاية هذا البهتان؛ فقد تكفل الله بحماية رسوله ونصره في الأولين، ويتكفل بحمائه في الآخرين؛ فمن عدوان الأولين حماه فقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، وقال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

وقال: ﴿وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 62]. وقال: ﴿وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 71].

ومن حمايته تعالى ونصره لرسوله: أنه لعن من آذاه، وتوعد بالعذاب من عاداه، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

مُهِينًا ﴿[الأحزاب: 57]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 61].

ومن حمايته له: أنه كفاه المستهزئين وجعل شائئه هو الأبر، فقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: 95]، وقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3].

ألا وإنه قد استهزأ برسول الله ﷺ مستهزؤون سابقون فكان مصيرهم الخزي والنكال، وسيحقيق بالمتأخرين ما حاق بالأولين من الصغار قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: 10]. وهذه الآية وعيد سيصل أواره كل مستهزئ برسوله في كل زمان ومكان، فمن أهلك المستهزئين الأولين سيهلك المستهزئين الآخرين.

نسأل الله أن يشفي صدور الأمة بعاجل عقوبته لكل مستهزئ برسولها، ويقر عيونها بالنقمة القريبة من شاتم حبيبها وقرّة عيونها.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وقدرّ فهدى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه الأخيار الأوفياء.

أما بعد :

أيها المسلمون: لقد تابع كثير منكم ما قام به مسؤول حكومي هندي من الطعن في رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والنيل من جنابه الشريف بسبابه وشتمه.

وهذه والله فاقرة من الفواقر، التي تتثال على أمة الإسلام اليوم تباعاً، يوم أن ذلت بعد أن عزت، وسقطت بعد أن رُفعت، وخافت بعدما خيفت، وهانت بعدما كانت وكانت.

فالיום لم يعد لها حضور في آفاق الهيبة حتى يحفظ لها عدوها مقدساتها هلعاً، وينأى عن هجائها فزعا، ويخشى لو تجرأ عليها شدة بأسها، وعنفوان صولتها.

وسبب هذا المآل الحزين أنها تخلت عن دينها، وآثرت دنياها على آخرها، وباعت سيادتها في سوق الحرص على الحياة الرخيصة، وكرهت الموت في مجال العز، وصدق الله: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: 18].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا. فَقُلْنَا: أَمِنْ قَلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَتَنَزَعُ اللَّهُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَيَقْذِفُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ) فَقُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ ، قَالَ: (حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ) (1).

(1) رواه أبو داود وأحمد، وهو صحيح.

لقد أدرك عدونا اليوم أننا أمة لم تعد لها قوة تستطيع بها دفعه وردعه؛ لأنها تولت عن أسباب قوتها الحقيقية، وشغلت بتمزقها وصراعاتها الداخلية، ومطامع بقاء حياتها الشهوانية، ولو على أرصفة الذل والتبعية.

فسهل عليه حينها أن يسطو على حرماها، ويتناوب وأمثاله في العدوان على دينها وأعلامها، فلم تستطع عند ذاك دفع الصائل، والانتصار على المعتدي المتطاول، وصدق من قال:

تعدو الذئبُ على من لا كلابَ له وتتقي صولةَ المستأسدِ الحامي
والقائل:

مَنْ كَانَ ذَا عَصْدٍ يُدْرِكُ ظُلَامَتَهُ إِنَّ الذِّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَصْدٌ
تَبْوِيْدُهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ وَيَأْنِفُ الضَّيْمَ إِنْ أَثْرَى لَهُ عَدُوُّ

بل لم يكتف العدو- يا عباد الله - بعدوانه المباشر على مقدساتها، وإنما صار يمول بعض أراذل الأمة كي يعتدوا على مبادئها من داخل صفها، ويأتوا كل يوم بداهية من الدواهي، ثم يصبح هؤلاء المرتدون فيها في أمن وسعة، وتشهير وإبراز، دون أن توقفهم الأمة بإقامة حد ربها عليهم ليكونوا عبرة للمعتبرين.

أيها الأفاضل، إننا أمام اليوم حدث جلل يستحث النفوس المؤمنة لإعلان موقفها بقدر ما تستطيع، فلا يمر هذا الحدث وأمثاله من غير أن يعلم كل عدو مستهزئ أن هناك أمة فيها من الحمية على دينها ما لا تستطيع مع التعدي عليه السكوت، والرضا بالضميم.

فالدول والحكومات، والمسؤولون والقادات في أمة محمد لا بد أن يكون لهم موقف

رسمي حازم تجاه هذه الجريمة الهندوسية بحق سيد البشرية.

والأفراد والشعوب لا بد أن يثوروا ثورة عارمة في وجه هذا الطغيان الهندوسي عبر وسائل التواصل الاجتماعي بالدفاع عن رسول الله ﷺ، ونشر شئائله، وبيان سمو مكانته، وذكر أقاويل المنصفين من الكافرين في مدحه وإعلاء شأنه.

وأبشروا-معشر المسلمين- فإن كل اعتداء على رسول الله عبر الزمان ينتج عنه من الخير ما لا يعلم قدره إلا الله؛ تحقيقاً لوعده الله بكفايته رسوله كل مستهزئ؛ فكم ناس كانوا يجهلون مكانة سيد العالمين بفعل التشويه الإعلامي والجهل المتعمد، فبادر المسلمون في نشاطات متنوعة لنشر فضائل نبي الله ﷺ، فأقبل عدد كبير من الكافرين على اعتناق الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19].

ونقول في هذه المناسبة:

ويا قمرَ الزمانِ على الليالي	فِداكَ العزُّ يانبعَ المعالي
ويا خيرَ الأواخرِ والأوالي	ويا هاديَ الحياةِ إلى العطايا
يسيرُ مع الزمانِ بلا زوالٍ	فأنتَ على رُبى الدنيا سموً
وتطمحُ أن تُدانيه العوالي	وتعرجُ نحوه العلبا اقتباساً
مع الأيامِ موفورَ الجمالِ	يزيدُ مع الدهورِ سناً وبقى
بلوغَ القصدِ من صعبِ المنالِ	فمن ذا يستطيعُ بحمقِ سعي
متى قصدتُك في سوءِ المقالِ	فليس تضيرُك الجعلانُ يوماً
ليعلنَ بالجميلِ من الخصالِ	وليس لعابدِ الأبقارِ قدرٌ

وكيف له هجاءُ الشمسِ جهلاً
وهامتُهُ إلى البقراتِ تُحنى
يلطُّخُ بالأذى كَفًّا ووجهًا
نقولُ لطغمةِ الهندوسِ قولاً
فقبُلِ الهجوَ للعلياءِ كونوا
وكونوا من بني الإنسانِ حتى
فلستمُ بعدُ من بشرٍ وأنتمُ
فإن صرتمُ أناسيَ بعد دهرٍ

لتصبحَ منه في غرضِ النَّبالِ
ويشربُ في الزحامِ من المبالِ
ويبدو بالخضوعِ من الجلالِ
تفوهُ به الحقيقةُ في الجدالِ
ذوي عقلٍ يُصانُ من الخبالِ
تصحَّ لكم مخاطبةُ الرجالِ
عبادُ للقطيعِ مدى الليالي
سننحوُ نحوَ تغييرِ المقالِ

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية...

ماذا قال عنه أصحابه؟⁽¹⁾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، إن رسولنا محمداً ﷺ نور أرسله الله هدايتنا، ونعمة عظيمة أنعم الله بها علينا، فبدينه ارتقت الأمة وعلت، وهابها عدوها فسادت، وذلك

يوم أن سارت على منهاج رسولها، وتمسكت بشريعته في جميع شؤونها.

فكان من حق هذا النبي على أتباع ملته -مع الإيمان به واتباعه-: أن يحبوه ويعظموه، ويشنوا عليه ويمدحوه، ويدافعوا عنه ويحموه.

وقد قام بهذه الحقوق لنبينا محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أحسن قيام: أصحابه الكرام **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، فكانوا أشد الأمة حبا له وتعظيما، وإجلالا وتكريما، وإيمانا وتسليما، وكانوا

(1) أُلقيت في جامع الأنوار في: 25/3/1444هـ، 21/10/2022م.

أعظم الأمة دفاعاً عنه وحماية، وخوفاً على حياته ووقاية؛ فبسيوفهم ذادوا عنه كل عدو، فكانت نحورهم دون نحره، وصدورهم دون صدره.

سامعين مطيعين قول الله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾

[الفتح:9].

فنالوا بما فعلوا هذا الوصف العظيم، والجزاء الكريم في قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:157].

وسنعرض اليوم -بعون الله تعالى- بعض الأقوال التي قالها الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** في تعظيم رسول الله وإجلاله، ومدحه والثناء عليه، وحبه وحمايته، ورثائه وشدة الألم لفقده.

أيها المؤمنون، لقد كان للصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أقوال عديدة تدل على تعظيمهم الكبير له، وإجلالهم العظيم لجنابه الكريم.

روى البخاري في صحيحه أن عروة بن مسعود الثقفي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كان وافد قريش - قبل أن يسلم - إلى صلح الحديبية، فلما رجع إلى قريش أخبرهم عن تعظيم الصحابة للنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فكان مما قال: (أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضْئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحْدِثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ).

وكان من ضمن ما حدث في ذلك اللقاء: أن عروة قال: (أَيُّ مُحَمَّدٌ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاكَ أَهْلُهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وَجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِظُرِّ اللَّاتِ، أَنْحَنُ نَفْرُ عَنْهُ وَنَدْعُهُ؟!).

(وكان المغيرة بن شعبة قائمًا على رأس النبي ﷺ، ومعه السيف وعليه المغفر، فكلَّمَا أهوى عروة بيده إلى حية النبي ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخَّرَ يَدَكَ عَنْ حَيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

وهذه أم معبد الخزاعية لما وصفت رسول الله ﷺ عندما مر بخيمتها يوم الهجرة بمن معه؛ كان من ضمن ذلك قولها: "له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، محفود محشود" (1).

والمحفود: الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته. والمحشود: الذي يجتمع إليه الناس.

أيها الإخوة الكرام، إن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حين عاشوا مع رسوله الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نعمت عيونهم برؤية عظمتهم وجلاله، ورأوا حسن أقواله وأفعاله، ونظروا إلى جميل صفاته وخلاله؛ لم يملكوا ألسنتهم من مدحه والثناء عليه حقًا وصدقًا.

فقد كان أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

أَمِينَ مُصْطَفَى بِالْخَيْرِ يَدْعُو كِضْوَةَ الْبَدْرِ زَايِلَهُ الظَّلَامُ

وَكَانَ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينشد فيه قول زهير بن أبي سلمى في هَرَمِ بن سِنَان:

لو كنت من شيء سوى بشرٍ كنت المضيء لليلة البدر⁽¹⁾.
وهذا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يثني على رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعظمة الشجاعة فيقول:
 "كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَكُونُ أَحَدٌ مِنَّا
 أَذْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ"⁽²⁾.

ومثل هذا قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ففي البخاري عنه قال: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الْحَبَرَ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِيٍّ، وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: (لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا). أَي: لَا فَزَعَ عَلَيْكُمْ وَلَا خَوْفَ.

وهذا كعب بن زهير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمدح النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأبيات من قصيدته
 اللامية المشهورة، ومن ذلك قوله بمدحه بالشجاعة ونور الهداية:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكُ
 أَغْرُ أَبْلَجٍ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ كَأَنَّ طَلْعَتَهُ فِي اللَّيْلِ قَنَدِيلُ⁽³⁾.

أما شاعر رسول الله حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد كان له في مدح رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والثناء عليه بشعره؛ القِدْحُ الْمُعَلَّى، والخط الأوفى.

(1) المختصر الكبير في سيرة الرسول (ص: 72).

(2) رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم، وإسناده صحيح.

(3) نهاية الأرب في فنون الأدب (437/16).

ومن ذلك يمدحه بالجمال والكمال في صفاته:

وأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَرْقُطْ عَيْنِي وَأَفْضَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مَبْرُءًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ⁽¹⁾.
ويقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في النبي عليه الصلاة مبيِّنًا عظمة النعمة به، وسمو مكانته:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ بِآيَاتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْجَدُ
أَغْرُّ عَلَيْهِ لِلنَّبُوءَةِ خَاتَمٌ مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يُلَوِّحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَالَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخُمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلِّهَ فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ
نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفِتْرَةٍ مِنَ الدِّينِ وَالْأَوْثَانِ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ
وَأَرْسَلَهُ ضَوْءًا مُنِيرًا وَهَادِيًا يَلَوِّحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمَهْنَدُ
وَأَنْذَرَنَا نَارًا وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ، فَاللَّهُ نَحْمَدُ⁽²⁾.

أيها المسلمون، أما إذا تحدثنا عن مدى حب الصحابة رسول الله ﷺ ومواقفهم في

ذلك؛ فهذا شيء يفوق الحصر، ولكن سنكتفي ببعض أقوالهم الشاهدة على ذلك:

فإنه لما قدم زيد بن الدثينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليُقتل في مكة قال له أبو سفيان: "أَنْشُدْكَ اللَّهَ يَا زَيْدُ، أَتُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِكَ نَضْرِبُ عَنْقَهُ، وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تَصِيْبُهُ شَوْكَةٌ تَوْذِيهِ، وَأَنْتَى جَالِسٌ فِي

(1) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 236).

(2) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى (1/225). مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول

(ص: 19).

أَهْلِي. قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا⁽¹⁾.

بل إن حب النبي ﷺ لدى الصحابة مقدم على كل محبوب من البشر.

فهذا المناق عبد الله بن أبي كان له ابن صالح اسمه عبد الله من صالحى الصحابة وكان ضد أبيه.

فلما حصل من أبيه ما حصل في غزوة بني المصطلق، وقفل الناس راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه، فجعل الناس يَمْرُونَ عليه، فلما جاء أبو عبد الله ابن أبي ابن سلول، قال له ابنه وراءك؟ فقال: مالك ويلك؟ فقال: "والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ؛ فإنه العزيز وأنت الذليل"، فلما جاء رسول الله ﷺ شكَا إليه عبد الله بن أبي ابنه، فقال ابنه عبد الله: "والله يا رسول الله، لا يدخلها حتى تأذن له"، فأذن له رسول الله ﷺ فقال: "أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ، فجزِ الآن"⁽²⁾.

وقال عبد الله يوماً للنبي ﷺ: "يا رسول الله، إن كنت تريد أن تقتل أبي فيما بلغك عنه، فمرني به، فوالله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا"⁽³⁾.

هذا في الرجال، وأما حب الصحابيَّات لسلامة رسول الله فاسمعوا هذين القولين من هاتين الصحابيتين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

(1) الروض الأنف (6/166).

(2) تفسير ابن كثير (8/157).

(3) إمتناع الأسماع (1/209).

مر الناس بامرأة من بني دينار عند رجوعهم من غزوة أحد، وقد قتل زوجها وأخوها وأبوها بأحد، فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحيين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير إليها، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جلل (1) - تريد صغيرة -.

وجاءت أم سعد بن معاذ تعدو إلى رسول الله، وسعد أخذ بلجام فرسه، فقال: يا رسول الله، أُمِّي، فقال: مرحبًا بها. ووقف لها. فلما دنت عزّاها بابنها عمرو بن معاذ. فقالت: أما إذا رأيتك سالمًا، فقد اشتويتُ المصيبة أي: استقلتُها (2).

معشر المسلمين، لقد أنتج هذا الحب العظيم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للنبي الكريم أنهم سعوا في حمايته والدفاع عنه، وفدوه بأنفسهم وآبائهم وأمهاتهم، ولا أدل على ذلك من موقفهم يوم أحد؛ فقد قتل بين يدي رسول الله أحد عشر صحابيًا دفاعًا عنه، ثم خلفهم طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقاتل قتال الأحد عشر؛ لقوته وبسالته، حتى قيل: إنه جرح يوم أحد تسعًا وثلاثين، أو خمسًا وثلاثين، وشلت إصبعه السبابة والتي تليها (3).

قال طلحة: لما كان يوم أحد ارتجزت بهذا الشعر:

نحنُ حمّةٌ غالبٍ ومالكٍ نذبُّ عن رسولنا المباركِ
نصرفُ عنه القوم في المعاركِ صرفَ صفاحِ الكُومِ في المباركِ

(1) الروض الأنف (6/29).

(2) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (2/345).

(3) الرحيق المختوم (ص: 244).

وما انصرف النبي ﷺ يوم أحد حتى قال لحسان: قل في طلحة فقال:

وطلحة يوم الشعب آسى محمداً على ساعة ضاقت عليه وشقت
 يقيه بكفيه الرماح وأسلمت أشاجعه تحت السيوف فشلت
 وكان إمام الناس إلا محمداً أقام رحي الإسلام حتى استقلت⁽¹⁾.

وفي ذلك اليوم البطولي لطلحة قال رسول الله فيه: (أَوْجَبَ طَلْحَةُ)⁽²⁾. أي:
 وجبت له الجنة.

وهذا الصحابي الجليل أبو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يروي أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقفه يوم أحد
 فيقول: (كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ
 الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجَعْبَةٍ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: (انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ) قَالَ: وَيُشْرِفُ النَّبِيُّ ﷺ
 يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ، يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ
 الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ)⁽³⁾.

وهذا حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدافع عن رسول الله ﷺ بشعره، فيهجو المشركين ويحييهم
 بقصائد كثيرة، ومن ذلك قوله في جواب أبي سفيان بن الحارث - وكان أبو سفيان ممن
 يهجو النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بشعره، ثم أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يقول حسان:

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي مُغْلَغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ
 بَأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَّتْكَ عَبْدًا وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتْهَا الْإِمَاءُ

(1) مختصر تاريخ دمشق (203/11).

(2) رواه أحمد والترمذي وابن حبان بسند صحيح.

(3) متفق عليه.

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
 أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ؟! فَشَرَّكُمْ لِحَيْرِكُمْ الْفِدَاءُ
 هَجَوْتُ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينَ اللَّهِ شَيْمَةً الْوَفَاءُ
 أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ!
 فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ⁽¹⁾.
 نسأل الله أن يجعلنا من أحباب رسول الله ومحبيه، وتابعيه ومعظميه.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

(1) الروض الأنف (254/7).

الخطبة الثانية

الحمد لله حقاً حقاً، والشكر له صدقاً صدقاً، والصلاة والسلام على نبينا محمد أعظم الخلق صدقاً، وأحسنهم فضلاً وخُلُقاً، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد:

فإن وفاة نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كان مصيبة عظيمة، وفاجعة كبرى، فقد قال رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: (إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتِي؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ) ⁽¹⁾.

ولا ريب أن مصيبة الصحابة بموت رسول الله كانت أشد عليهم من سائر الأمة.

وقد قيل:

كَأَنَّ جَمِيعَ الصَّحْبِ يَوْمَ وَفَاتِهِ نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
فَمَاذَا قَالَ الصَّحَابَةُ فِي هَذَا الْمَصَابِ الْعَظِيمِ؟

هذه سيدة نساء العالمين فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي كان مصابها بفقد أبيها **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**

أشد من غيرها، اسمعوا ماذا تقول؟

روى البخاري في صحيحه عن أنسٍ، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ **ﷺ** جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَكَرَبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: (لَيْسَ عَلَيَّ أَيْبُكَ كَرَبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ)، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَاوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ نُنْعَاهُ، فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا

(1) رواه البيهقي والدارمي والطبراني، بسند صحيح.

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التَّرَابُ؟).

إنها كلمات تذيب الصخر، وتسيل الدمع من ابنة في فقد أبيها الحبيب.

وروي عنها أنه لما دُفِنَ رسول الله ﷺ -وَرَجَعَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ إِلَى رِحَالِهِمْ، وَرَجَعَتْ فَاطِمَةُ إِلَى بَيْتِهَا- اجْتَمَعَ إِلَيْهَا نِسَاؤُهَا، فَقَالَتْ:

اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيَّةٌ أَسْفًا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجْفَانِ
فَلْيَكِهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلْتَبْكِهِ مُضْرٌّ وَكُلُّ يَمَانٍ
وَلْيَكِهِ الطَّوْدُ الْمُعْظَمُ ضَوْوَهُ وَالْبَيْتُ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ
يَا خَاتَمَ الرِّسَالِ الْمُبَارَكِ ضَوْوَهُ صَلَّى عَلَيْكَ مُنْزِلُ الْفُرْقَانِ (1).

وهذا أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: "مَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَحْسَنَ، وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا يَوْمًا أَقْبَحَ وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ﷺ" (2).

وأما المؤيد بروح القدس في قوله حسان الإسلام فقد رثى رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

بأكثر من قصيدة، فمن ذلك قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصيدة طويلة منها:

فَبُورِكَتْ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ بِلَادُ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
وَبُورِكَتْ لَحْدُ مِنْكَ ضَمَنَ طَيِّبًا عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحِ مُنْضَدٍّ
لَقَدْ غَيَّوْا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً عَشِيَّةَ عَلَوُهُ الثَّرَى لَا يُوسَدُ
وَرَا حُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ بَبِيْهِمْ وَقَدْ وَهَنْتَ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ

(1) عيون الأثر (2/409).

(2) رواه أحمد وأحمد والبخاري بإسناد صحيح.

يُكُونُ مَنْ تَبَكَّى السَّمَاوَاتُ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هَالِكٍ
فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا
فَأَصْبَحَ مُحَمَّدًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
فَبَكَّى رَسُولُ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً
وَمَا لَكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدَّمْعِ وَأَعْوِي
وَمَا فَقَدَ الْمَأْضُونُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
وَمَنْ قَدْ بَكَتَهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
رَزِيَّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ
يُبْكِيهِ حَقُّ الْمُرْسَلَاتِ وَيُحْمَدُ
وَلَا أَعْرِفَنَّكَ الدَّهْرُ دَمْعَكَ يَحْمَدُ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ⁽¹⁾.

رضي الله عن حسان الإسلام، وعن صحابة رسول الله الكرام.

فيا عباد الله، لنكن على الدوام من محبي رسول الله ومعظيمه التعظيم الذي يرضاه ربنا، ودعانا إليه نبينا، ولنبرهن على حبنا له باتباعه، واقتفاء آثاره، والسير على منواله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]. وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

نسأل الله أن ينفعنا بها سمعنا، وأن يلهمنا رشدنا.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية....

الأخلاق الحسنة التي أثنى الله بها على أنبيائه ورسله في القرآن

(دعوة للاقتداء)⁽¹⁾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أما بعد :

أيها المسلمون، رسل الله هم صفوة الخليقة، وأحسن الناس هدياً وطريقة، اصطفاهم الله لرسالته، وبعثهم لهداية عباده؛ فظهر نفوسهم بأحمد الأخلاق وأحسنها، وزادهم زكاء باكتساب أفضلها وأكملها، فصاروا منارات هدى يهتدى بضيائها، ونجوم رشاد يسترشد بسنائها، فمن أراد معرفة الخلق القويم، والظفر بالسلوك المستقيم فليقتد بخلاهم، وليترسم خطى شيمهم، وبهذا أمر الله تعالى على العموم والخصوص:

(1) 1443/2/17 هـ، 2021/9/24 م.

فعلى العموم قال تعالى -بعد أن ذكر عدداً من أنبيائه ورسله الكرام- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: 90].

وعلى الخصوص قال لنا في رسولنا محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

عباد الله، إن الأخلاق الحسنة من أعظم ما اتفقت على فضله الرسالات السماوية، ودعت إليه العقول النقية الزكية. وأكملها ما كانت أخلاقاً مع الله تعالى، وأخلاقاً مع النفس، وأخلاقاً مع الخلق، وبذلك يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة.

فالخلق مع الله : أن يتحلى الإنسان بالصفات التي يحبها الله بينه وبينه، فيكون على حال حسنة في العبادات، وصفة محمودة في القربات.

والخلق مع النفس : أن يحلي المرء نفسه بالشيم العذبة التي تجعل نفسه شريفة كريمة، زاكية مستقيمة.

والخلق مع الناس : بذل صنوف المعروف لهم، وكف ضروب الأذى عنهم.

ولا غرابة حينئذ أن يجعل النبي ﷺ غاية بعثته في الدعوة إلى محاسن الأخلاق حين نفهم عن الأخلاق هذا المعنى الجمعي الشامل؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) (1).

وفي رواية للبزار والبيهقي: (مكارم الأخلاق).

وفي رواية للبيهقي والطبراني: (وَأِنَّمَا بُعِثْتُ عَلَى تَمَامِ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ).

وفي رواية لمالك في الموطأ: (بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ).

(1) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبيهقي والحاكم، وهو صحيح.

وَإِذَا تَأَمَّلْتُمْ - معشر المسلمين - في القرآن الكريم وجدتم ثناء كثيراً من الله تعالى على بعض أنبيائه ورسله بتحليلهم بتلك الأخلاق الحسنة الكاملة.

فما أجمل أن نسرِّح الطرف ونشنف السمع في عرض تلك الأخلاق النبوية القرآنية التي أثنى الله تعالى بها على رسله الكرام وأنبيائه العظام؛ حتى نقتدي بهم فيها، ونسعى إلى التحلي بها؛ ليرضى خالقنا عنا، ولنوفي الناس حقوقهم منا، ونذوق بالاتصاف بها الراحة والسعادة، وننال بها في الناس الرفعة والسيادة.

فَتَشَبَّهُوا إِن لَّمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكَرَامِ فَلَاحُ
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، ذكر الله تعالى عن أنبيائه ورسله أخلاقاً حميدة مدحهم بها في القرآن، سواء أخلاقهم معه سبحانه، أم مع أنفسهم، أم مع الناس.

ففي أخلاقهم مع الله : فقد مدح سبحانه إبراهيم بسلامة معتقده من الشرك بالله فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67].

وفي هذا دعوة للاقتداء بإبراهيم في التوحيد، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120]، أي: كان إماماً في الخير.

ومن أخلاق الأنبياء مع الله : الشكر له جل وعلا، قال الله عن نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3]، وقال عن إبراهيم: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 121].

وشكر الله حافظ للنعم الموجودة، وجالب للنعم المفقودة.

ومن أخلاق الأنبياء مع الله: حسن عبوديتهم لله تعالى، وكمال الأوبة إليه، وما أعظمهما من نعتين كريمين، وخلقين عظيمين، قال سبحانه عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:30]، وقال عن أيوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:44].

ومن أخلاق الأنبياء مع الله: تقواهم له سبحانه، فالتقوى كلمة جامعة تجعل العبد في وقاية من كل ما يَسْخَطُ مولاه ويأباه، وتدعوه إلى فعل كل ما يحبه ويرضاه، قال تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَرَكَاهَ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:13].

ومن أخلاق الأنبياء مع الله: الصبر على أقداره المؤلمة؛ وبهذا الخلق يظهر الإيمان الذي يحمل المؤمن على الصبر على المصيبة بلا سخط ولا جزع؛ لأنه يعلم أن اختيار الله له ذلك خير من اختياره لنفسه، قال تعالى عن نبيه أيوب عليه السلام الذي عظم بلاؤه فعظم صبره: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص:44].

ومن أخلاق الأنبياء مع الله: المسارعة إلى الخيرات، وكثرة دعاء الله وكمال الخوف منه، قال الله تعالى عن زكريا ويحيى ووالدته، أو عن جميع الأنبياء الذين ذكرهم الله في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:90].

ونلاحظ في هذه الآية الكريمة المتحدثة عن هذه الأخلاق الثلاثة أنها جاءت تعليلاً لما حصل من الخير العاجل والآجل لزكريا ويحيى وأمه، أو الأنبياء السابق ذكرهم، مما يبين أن هذه الخلال الكريمة طريق سالك إلى كل خير في الدنيا والآخرة.

فما أحسن - يا عباد الله - أن نتخلق بصفاء العقيدة بالتوحيد، وشكر الله الكريم المجيد، وحسن عبادته وسرعة التوبة إليه، وما أجمل أن نتمسك بتقواه، والصبر على مُرِّ

بلواه، والمصارعة إلى مرضيه، ودعائه والخوف منه.

أيها المسلمون، إن خلق الإنسان مع نفسه متى ما حسن واستقام بلغ به الشرف والثناء، وغدا محل المدح والثناء، وبقي له في الناس صفة حميدة تسوق له حسن الذكر والدعاء.

قال ابن أبي الدنيا: أنشدني أبو جعفر القرشي:

كُلُّ الْأُمُورِ تَزُولُ عَنْكَ وَتَنْقُضِي إِلَّا الشَّاءَ فَإِنَّهُ لَكَ بِاقٍ
وَلَوْ أَنَّ نِيَّ خَيْرَتْ كُلَّ فَضِيلَةٍ مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ مُحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ (1).

وما أعظم أن يكون ذلك الشاء من رب الأرض والسماء؛ لأنه ثناء صادق لا كذب فيه، وحق لا باطل معه، ويترتب عليه الثواب الجزيل من الرب الجليل.

وقد ظفر بذلك أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام؛ حيث أثنى الله تعالى على

نبيه يعقوب عليه السلام بالعلم النافع، الذي به زكاء النفس واستقامتها، وطمأنيتها وراحتها، وحسن التصرف في الأمور والنجاح فيها، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمَهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 68].

وأثنى الله تعالى على يوسف عليه السلام بخلق العفة الذي نجا به من كيد امرأة

العزیز وصواحبها، وغوائل الفاحشة وعواقبها، ونال به ثناء الله ورضاه، وحسن ثواب دنياه وأخراه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]، "أي: الله

(1) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص: 30).

أَخْلَصَهُمْ مِنَ الْأَسْوَءِ وَالْفَوَاحِشِ فَصَارُوا مُخْلِصِينَ⁽¹⁾.

بل جو القصة يتحدث بمعناه عن عفة يوسف وثواب الله العاجل له على ذلك بحسن السمعة، وبراءة الساحة من التهمة، ونيل المنازل الأنيقة في قلوب العباد. وأثنى الله تعالى على أنبيائه: إسماعيل وإدريس وذي الكفل بالصبر والصلاح، فكل منهم صبر نفسه على لزوم ما تكره النفس البشرية بطبيعتها فنجحوا في ذلك، وكل منهم امرؤ صالح في نفسه قد ألزمها طاعة الله تعالى فامتثلت، وقادها إلى مرضاته فانقادت.

فقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: 85-86].

ولم يحك لنا القرآن صبر إدريس وذي الكفل، ولكنه حكى لنا صبر إسماعيل عليه السلام حين سمع من أبيه إرادة ذبحه، فلم تجزع نفسه، بل صبرت ورضيت حتى فداه الله بذبح عظيم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

ألا فلنلزم -عباد الله- نفوسنا على الرباط في حصون العلم والعفاف، والصبر والصلاح، فما أجملها من نعوت عليّة جميلة، وما أعظمها من خلال زكية جليلة. جعلنا الله وإياكم من أهل الاتصاف بها، حتى نلقى الله جل وعلا. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

أيها المسلمون، وتتسع دائرة الخلق الكريم حتى تصل إلى المعاملة الحسنة مع الناس، إيصالاً لخير النفس إليهم، وكفّاً لشرها عنهم.

وكما وجدنا ثناء الله تعالى على أنبيائه ورسله بالأخلاق الحسنة معه نجده كذلك يثني عليهم بالأخلاق الكريمة التي خالطوا بها الناس من الموافقين والمخالفين.

فلو تأملت -أيها المسلم- في كتاب الله فسترى أن الله تعالى أثنى على بعض أنبيائه بخلق البر بالوالدين، هذا الخلق الذي هو أعظم الأخلاق الحسنة مع أقرب الناس إلى الإنسان، بل هو من أحسن الأخلاق الموصلة إلى الخير والرضوان، فطوبى للبارين، الذين قدوتهم خيرة الخلق من الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى عن يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: 100]، وقال عن يحيى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: 14]، وقال عن عيسى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: 32].

ولو أجلت النظر في القرآن -أيها الأخ الكريم- فستلقي من أخلاق الأنبياء والمرسلين: الحلم الذي هو احتمال الأذى مع القدرة على الانتقام من المؤذي، وإمساك النفس عند الغضب وإرادة الانتقام، وهو من القوة المحمودة التي لا يملكها إلا قلة من الناس، قال رسول الله ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) (1).

(1) متفق عليه.

يقول الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود:75]، ومن حلم إبراهيم: لينه مع أبيه رغم شدة أبيه عليه، وعدم دعوته على قومه حيث قال: ﴿رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم:36]، **ومن حلمه:** مجادلته الملائكة في شأن إهلاك قوم لوط.

ومتى نظرت -أيها المسلم- في الذكر الحكيم فستجد من الأخلاق الممدوح بها الأنبياء والمرسلون: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتيسير على الناس، قال تعالى عن نبينا محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:157]، وتزداد أهمية هذا الخلق الكريم مع الأهل والأقربين كما قال تعالى عن نبيه إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم:55].

وحين تقرأ في المصحف الشريف سيقابلك من أخلاق الرسل الكرام: الرأفة والرحمة بالأنام، قال الله تعالى عن نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:128].

وعند قراءتك ستجد ثناء الله على بعض أنبيائه بالإحسان إلى الناس، قال تعالى عن يوسف عليه السلام الذي أحسن إلى الفتيين في السجن، وإلى إخوته يوم الميرة، وإلى أهل مصر عند السلطة: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:36]، وقال: ﴿وكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:56] وقال: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ

أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ [يوسف: 78].

وعند مرورك بسورة مريم سيأتيك خبر نبي الله إسماعيل عليه السلام، وثناء الله عليه بصدق الوعد، حيث كان لا يخلف وعداً وعده، ولا عقداً وعده، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 54].

ولو استمررت في التلاوة المتدبرة وافتتحت سورة القلم فستجد آية فيها وصف كريم، وثناء عظيم على نبينا محمد الذي اجتمعت فيه مكارم الأخلاق ومحاسنها، وبرقت عليه طيب الصفات وكواملها، فمدحه الله بوصف واحد يلئم شعثها ويجمع متفرقها، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

ألا فلنتخلق - يا عباد الله - مع ربنا، ومع أنفسنا، ومع بني جنسنا بأخلاق الأنبياء والمرسلين، ولنكن بهم فيها من المقتدين، ولنحرص على لزومها حتى نلقى الله رب العالمين.

نسأل الله تعالى أن يهدينا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا هو، وأن يصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا هو.

هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير، والسراج المنير..

أحكام زينة المرأة في الشريعة الإسلامية⁽¹⁾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

أيها المسلمون، نحن أمة مسلمة رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، ومن أساسيات هذا الرضا: أن نقبل كل ما جاء به شرعنا عن الله تعالى أو عن رسوله **عليه الصلاة والسلام**، وأن نمثل أوامر ديننا، ونكف عن نواهيه، عن تسليم ورضا كاملين، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36].

(1) أُلقيت في مسجد الشوكاني في: 17/4/1444هـ، 11/11/2022م.

ومقتضى هذا الإيمان: أن لا نقدم أهواءنا ولا آراءنا، ولا الرغبة في نيل محبة الناس وإعجابهم ورضاهم على رضا الله تعالى واتباع ما جاء به نبيه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: (مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ) (1).

عباد الله، التزين وحب التحلي والظهور بالصورة الحسنة طبع في المرأة، وعادة جرى عليها عالم الأنوثة الإنسانية، بل يبدأ ذلك مع البنت من صغرها وأول نشأتها؛ قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ [الزخرف: 18].

لهذا لا مانع أن تتزين المرأة بكل مباح لا ضرر فيه، وتظهر به أمام من يجوز له أن يراها على ذلك، بل الزوجة مطالبة بالتزين لزوجها؛ حتى يقوى عود المودة بينهما، ولا يلتفت زوجها إلى غيرها للبحث عن تكميل النقص الذي يريد تمامه.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (مَدَّتْ امْرَأَةٌ يَدَهَا إِلَى النَّبِيِّ **ﷺ** بِكِتَابٍ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ فَقَبَضَ يَدَهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ بِكِتَابٍ فَلَمْ تَأْخُذْهُ؟، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَذِرْ أَيْدِ امْرَأَةٍ هِيَ أَوْ رَجُلٍ. قَالَتْ: بَلْ يَدُ امْرَأَةٍ، قَالَ: لَوْ كُنْتَ امْرَأَةً لَغَيَّرْتُ أَظْفَارَكَ بِالْحِنَاءِ) (2).

أيها المؤمنون، من الزينة المباحة للمرأة: التزين بالجواهر على اختلاف أنواعها؛ من ذهب وماس وألماس وكرستال وغير ذلك، من غير إسراف ولا تبذير.

(1) رواه الترمذي وابن حبان بسند صحيح.

(2) رواه أبو داود والنسائي بسند حسن.

ويجوز لها التزين بالحناء والبخور والعطر والكحل.

ويجوز لها أن تصبغ شعر رأسها بالأحمر أو الأصفر أو البني أو غير ذلك من الألوان، إلا الأسود فلا يجوز، على القول الراجح.

ويجوز أن تصبغ وجهها بالمساحيق المشروعة كالمكياج، وأن تلون شفتيها بأي لون من الأحمر والأسود وما شاءت من الألوان. ما لم يكن في ذلك ضرر على بشرتها.

ويجوز لها أن تزيل شعر ساقها ويديها.

ويجوز لها أن تستعمل القرط في أذنيها، وأما جعله في أنفها فيجوز إذا جرت العادة بذلك.

ويشترط في هذه المباحات للمرأة شرطان:

الأول: أن لا يراها منها إلا زوجها ومحارمها.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا⁽¹⁾ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: 31].

والثاني: أن لا يكون في ذلك تشبه بالكافرات، أو الفاسقات؛ فقد يكون التزين على هيئة تعرف بها كافرة أو فاجرة أو فاسقة، فإذا تزينت بها المرأة تذكر من يراها تلك

(1) الظاهر من الزينة: هو الثياب الظاهرة وما جرت العادة بلبسه للنساء بين الرجال للتستر كالجلباب، ما لم يكن في ذلك فتنة.

النساء العاصيات، فإذا كان ذلك فلا يجوز.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ) ⁽¹⁾.

أيها الإخوة الفضلاء، هناك صور من الزينة المحرمة على المرأة، يجب عليها اجتنابها؛ طاعة لله ولرسوله.

فقد تتزين بتلك الزينة المحرمة بعض النساء؛ إما جهلاً بحكمها - وهذه أمرها أهون -، وإما تساهلاً، وتماذياً في الخطيئة؛ وطلباً لإرضاء الخلق ومخالفة الخالق، وهذه هي المصيبة؛ لأن المرأة الجاهلة معذورة بجهلها، وأما من تعلم الحكم ثم تخالفه فهي واقعة في العصيان.

فمن تلك الزينة المحرمة:

أولاً: ما يتعلق بشعر الرأس:

فيحرم على المرأة وصل شعرها بشعر آخر.

وهذا الفعل قد تفعله بعض النساء من أجل التزين والتحسين، أو لأجل إخفاء الشيب، وهو صنع فيه تغيير لخلق الله تعالى، وكذب وخداع وتدليس؛ فلهذا كان هذا الفعل كبيرة من كبائر الذنوب.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ) ⁽²⁾.

والواصلّة: هي التي تصل شعر غيرها، والمستوصلة المعمول بها ذلك.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن جارية من الأنصار تزوجت، وأنها مرضت، فتمعّط

(1) رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح.

(2) متفق عليه.

شعرها - أي: تناثر - فأرادوا أن يصلوها، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (لعن الله الواصلة والمستوصلة) (1).

ولكن استثنى بعض العلماء من تحريم وصل الشعر: من خلقت بلا شعر، ويكون ذلك معيياً بين الناس، فيجوز لها لبس الشعر الصناعي أو غيره، وإن كان الأفضل تغطية رأسها من غير لجوء إلى الوصل.

وقد قال بعض العلماء: التحسين نوعان: الأول: لإزالة عيب، فهذا لا بأس به، والثاني: لزيادة تجميل، وهذا لا يجوز.

وأما حلق المرأة شعر رأسها حتى يظهر الجلد فإنه لا يجوز - على القول الراجح -؛ لما في ذلك من إذهاب بعض جمال المرأة، وما فيه من التشبه بالرجال. إلا إذا دعت ضرورة للحلق كمرض ونحوه فلا بأس.

أما تقصير المرأة شعر رأسها فيجوز؛ كأن يكون طويلاً فتشق عليها العناية به، أو تخشى على نفسها العين، أو غير ذلك.

وقد (كَانَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ يَأْخُذْنَ مِنْ رُءُوسِهِنَّ حَتَّى تَكُونَ كَالْوَفْرَةِ) (2).

والوفرة من الشعر: ما كان إلى الأذنين ولا يجاوزهما.

قال النووي: "وفيه دليل على جواز تخفيف الشعور للنساء، والله أعلم" (3).

(1) متفق عليه.

(2) رواه مسلم.

(3) شرح النووي على مسلم (5/4).

ثانياً : ما يتعلق بشعر الحاجبين :

يحرم على المرأة أن تنمص شعر حاجبيها بتفنه أو تدقيقه أو تقصيره أو حلقه، وقد تزيل بعض النساء شعر حاجبيها كله وتستبدل ذلك برسم خط بقلم المكياج، وهذا لا يجوز، بل هو كبيرة من الكبائر؛ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ، وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ، وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالنَّامِصَةَ، وَالْمُتَمِصَّةَ) (1).

وأما تشقير الحاجبين -وهو: صبغ شعر الحواجب بلون ما بحيث يبدو محدداً مرسوماً، وليس فيه إزالة لشعر من الحاجبين- فهو مسألة مختلف فيها بين أهل العلم، فأجازها بعضهم، وكرهها آخرون.

وتركه أولى؛ لأنه قد تكون فيه أضرار طبية، وفي بعض صورهِ مادة عازلة تمنع وصول الماء إلى ما تحته.

ثالثاً : ما يتعلق بالعينين ورموشهما :

يحرم على المرأة تركيب الرموش الصناعية؛ لأنها تدخل في وصل الشعر الذي لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعله.

فعن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي ابْنَةً عَرِيْسًا أَصَابَتْهَا حَصْبَةٌ فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا أَفْأَصِلُهُ، فَقَالَ: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ) (2).

كما لا يجوز للمرأة تنف شعر رموشها ولا تقصيره ولا حلقه؛ لأن ذلك من النمص

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه.

المنهي عنه. كما تقدم.

ويجوز لها صبغه بالكحل أو المسكرة أو غير ذلك من الأصباغ، ولكن بشروط:

1- أن لا تظهر به المرأة أمام الرجال الأجانب عنها.

2- وإذا كان الصبغ مما يمنع وصول الماء إلى الرموش لزم إزالته قبل الوضوء أو الغسل الواجب.

3- أن تتأكد من خلو هذه الأصباغ من الأضرار؛ فإن منها ما يسبب التهاب الجفون وتساقط الرموش.

وأما استعمال عدسات العين للتزوين فقد أجازها بعض أهل العلم بشروط:

1- أن لا يكون فيها ضرر على العين.

2- أن لا يكون لبسها أمام الرجال الأجانب.

3- أن لا يكون فيها غش للخطاب.

4- أن لا يكون في شرائها إسراف.

رابعاً: ما يتعلق بالفم والأسنان:

يحرم على المرأة أن تفلج أسنانها.

والتفلج: أن تبرد المرأة ما بين أسنانها الثنايا والرباعيات، وتفعل ذلك العجوز ومن قاربته في السن؛ إظهاراً للصغر وحسن الأسنان؛ لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار، فإذا عجزت المرأة كبرت سنّها وتوحشت، فتبردها لتصير لطيفة حسنة المنظر، وتوهم كونها صغيرة.

وهذا الفعل كبيرة من الكبائر؛ فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيَّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ) فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: مَا هَذَا؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ فَمَا وَجَدْتُهُ، قَالَ: "وَاللَّهِ لَئِنْ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:7]" (1).

أما إذا كان في أسنان المرأة تشوه واضح، فلا محذور في أن تزيل المرأة ذلك التشوه، إما بقلع وإما بتعديل وإما بإصلاح.

ومما يحرم على المرأة فيما يتعلق بزينة الفم: تكبير الشفتين بعمليات جراحية تجميلية أو مرطبات لتكونا كذلك دائماً؛ من أجل التزين والتجمل؛ لأن هذا من تغيير خلق الله تعالى الذي يدعو إليه الشيطان؛ قال الله عز وجل: ﴿وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا مُرْتَبِّينَهُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ اللَّهُ وَفِيَّ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء:119].

نسأل الله أن يهدي نساء المسلمين، إلى اتباع شرع رب العالمين، وعصيان أولياء الشياطين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه الأخيار الأوفياء.

أما بعد :

أيها المسلمون، ومما يتصل بالمحرمات على النساء في أمر الزينة - وهو الأمر الخامس - : أنه يحرم على المرأة تكبير الشدين أو تصغيرهما لأجل التجميل عن طريق العمليات الجراحية؛ لأن هذا من تغيير خلق الله، وقد تترتب عليه أضرار على جسم المرأة.

أما إذا كان تكبيرهما عن طريق بعض العقاقير الطبية فقد أجاز ذلك بعض أهل العلم إذا سلمت العاقبة وأمن الضرر.

سادساً : ما يتعلق بالأظفار :

فيحرم على المرأة إطالة أظافرها أكثر من أربعين يوماً.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (وَقَّتْ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَتَنْفِ الْإِبْطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ⁽¹⁾.

والموقت لهم هو النبي **عليه الصلاة والسلام**.

قال النووي رحمه الله: "معنى هذا الحديث: أنهم لا يؤخرون فعل هذه الأشياء عن وقتها، فإن أخروها فلا يؤخرونها أكثر من أربعين يوماً، وليس معناه الإذن في التأخير

(1) رواه مسلم.

أربعين مطلقاً" (1).

ولهذا قال بعض أهل العلم: "الأَفْضَلُ أَنْ يُقْلَمَ أَظْفَارُهُ وَيَقْصَّ شَارِبُهُ وَيُحْلَقَ عَانَتُهُ وَيُنْظَفَ بَدَنُهُ بِالْإِغْتِسَالِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ، وَإِلَّا فَبِئْسَ كُلِّ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا، وَلَا عُذْرَ فِي تَرْكِهِ وَرَاءَ الْأَرْبَعِينَ، وَيَسْتَحِقُّ الْوَعِيدَ" (2).

ومما يتعلق بالأظفار: أنه يحرم على المرأة تركيب الأظافر الصناعية للزينة؛ لأنه من الوصل، وقد لعن الله الواصلة والمستوصلة.

أما إذا كان تركيب الأظافر الصناعية لغرض صحيح وهو التداوي؛ كأن تقلع المرأة بعض أظافرها لمرض أو غيره فتحتاج إلى زراعة أظافر صناعية مكانها أو وضعها، فهذا لا حرج فيه.

ومما يتعلق بالأظفار: أنه يجوز للمرأة أن تصبغ أظافرها بما يسمى بالمناكير بأي لون، لكن بشرط أن تزيل ذلك عند إرادة الوضوء أو الغسل الواجب؛ لأن ذلك الطلاء يمنع وصول الماء، وكل ما منع وصول الماء إلى عضو الوضوء لم تصح الطهارة بذلك، وإذا لم تصح الطهارة لم تصح الصلاة.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: "إذا كان على بعض أعضائه شمع أو عجين أو حناء وأشباه ذلك فممنوع وصول الماء إلى شيء من العضو لم تصح طهارته، سواء كثر ذلك أم قل. ولو بقي على اليد وغيرها أثر الحناء ولونه دون عينه أو أثر دهن مائع - بحيث يمس الماء بشرة العضو ويجري عليها لكن لا يثبت -: صحت طهارته" (3).

(1) المجموع شرح المذهب (287/1).

(2) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (181/2).

(3) المجموع شرح المذهب (467/1).

عباد الله: ومما يتصل بالمحرمات على النساء في أمر الزينة:

ما يتعلق بالجسد:

فيحرم على المرأة صبغ جسدها بالوشم، سواء كان وشماً كاملاً أم غير كامل.

والوشم هو: غرز شيء من الألوان تحت الجلد بإبرة أو غيرها، وهو كبيرة من كبائر الذنوب يستحق فاعله والمفعول به اللعن، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (لَعَنَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ) ⁽¹⁾.

ومما يحرم على المرأة في يديها وقدميها: استعمال النقش أو الخضاب إذا كان يمنع وصول الماء إلى البشرة، فأَيُّ نقش أسود أو غيره تكون له كثافة لا تمكن إزالتها إلا بمشقة بحكه أو قشره فلا يصح للمرأة أن تستعمله حال طهارتها أو قرب طهارتها؛ لأن التطهر لا يصح وهناك أعضاء عليها ما يمنع وصول الماء.

قال البلقيني: "الخضاب المذكور الذي يغطي جرم البشرة إن كان لا يمكن زواله بالماء عند الطهارة المذكورة؛ فإنه يحرم فعله قبل دخول الوقت وبعده" ⁽²⁾.

أيها المؤمنون، على المرأة المسلمة أن تتقي الله في زينتها؛ فما كان فيه مخالفة لشرع الله تركته، وما كان مباحاً فعلته، وأن تغلب جانب الحشمة والحياء، والظهور بأخلاق صالحات النساء، وأن لا تلهث وراء تقليد الكافرات والفاسقات في تزينها، وأن تكون معتزة بدينها غير منهزمة النفس في تجملها، وعليها أن لا تضع مالها ومال زوجها وأقاربها في كثرة التزين وشراء وسائله؛ فإن النفس لا تشبع، ومصنوعات التجميل

(1) متفق عليه.

(2) أسنى المطالب في شرح روض الطالب (1/69).

وصوره لا نهاية لها، وأن تعلم أن الإسراف في هذا الباب قد يضر جسدها وجمالها الخلقي؛ لاحتواء كثير من أدوات التجميل على ما يضر صحة الجسد، كما تحدث بذلك أهل الاختصاص.

وعلى المرأة التي تعمل فيما يسمى بالكوافير أن تجتنب كل ما نهى عنه الشارع عنه مما يحرم في زينة النساء، وتكتفي بعمل المباح، فلا خير في مال يسوق إلى غضب الله وعقابه.

نسأل الله أن يصلح أحوال نساءنا، وأن يلهمهن السداد، والسير على طريق الرشاد.

هذا وصلوا على النبي الهادي...

الحفلات النسائية من منظور شرعي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

أيها المسلمون، فإن من سمات شريعتنا الغراء: التيسير وعدم التعسير، ورفع الحرج والآصار التي كانت على الأمم قبلنا؛ قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: 6]، وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 157].

ومن مظاهر ذلك التيسير: أن المحرمات في ديننا محصورة معدودة، وما سوى ذلك فهو على الإباحة والجواز، قال تعالى: ﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ [النساء: 24].

ألا وإن مما أباح الله تعالى: استحباب إعلان الفرح بالأمور السارة، والاحتفال بها؛

إظهاراً للابتهاج بما يسعد النفوس ويفرحها.

ولكن ذلك مرهون بالضوابط الشرعية التي تحرس النعمة من الزوال، وتحفظ أهلها من الآثام.

ومما يدل على عناية شرعنا بالفرح ودعوته إليه: أنه جعل إدخاله على المسلم من العبادات؛ قال رسول الله ﷺ: (وأحب الأعمال إلى الله عز وجل: سرور تدخله على مسلم؛ تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد -يعني: مسجد المدينة- شهراً⁽¹⁾).

عباد الله، غير أن بعض المسلمين والمسلمات تجاوزوا حدود المباح إلى ارتكاب بعض المحرمات في حفلات أفراحهم، ومناسبات سرورهم، ومن ذلك: حفلات النساء في الأعراس وغيرها.

فكم تحصل فيها من مخالفات شرعية، وأعمال تخرج عن حدود الحياء والفضيلة، وكم قد نتج عن التهادي في تلك المخالفات من آثار سيئة على المجتمع. صحا عندها بعض الناس وأيقن أن شرع الله تعالى هو سبيل السلامة، ومنهج الحفاظ على الكرامة، وحراسة الفضيلة، وصيانة العرض.

لهذا سيكون موضوعنا في هذا اليوم الحديث عن حفلات النساء من منظور شرعي.

أيها المؤمنون، إن المتأمل فيما يبلغه عن الحفلات النسائية اليوم في المجتمعات الإسلامية؛ يرى أن كثيراً منها لم تعد يعني أهلها الخوف من الله ولا اتباع دينه فيما

(1) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والأصبهاني، وهو صحيح.

يكون فيها، وإنما غرضها إطلاق العنان للأهواء والشهوات أن تصنع لأجل الفرح ما تشاء؛ فلذلك ظهرت منكرات كثيرة في الأعراس وغيرها من حفلات النساء.

فدعونا اليوم نسلط الضوء على بعض ذلك حتى نبين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز.

فمن تلك المنكرات:

الاختلاط بين الرجال والنساء، وهو معصية كبيرة تفسد عفاف المجتمع وحياءه، وتلد كثيراً من المشكلات والشرور، فكيف إذا كان هذا الاختلاط في مكان تكون فيه النساء في كامل زيتهن وسفورهن، وأصوات الغناء تضحج في جميع النواحي؟.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 53].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيسِهِنَّ ذَلِكُمْ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59].

هذا الاختلاط قد يكون بين الرجال والنساء من الأقارب والأباعد، والأصدقاء والصديقات، والمزملاء والمزملات، والجيران والجارات، كما هو حاصل في بعض البلدان الإسلامية.

وقد يكون هذا الاختلاط محصوراً في نطاق الأسر المتقاربة نسباً أو صهراً بين رجالها ونسائها، وذلك بحضور أبناء الأعمام والأخوال وإخوة الزوج وأعمامه وأخواله؛ فيرى الرجل زوجة أخيه، أو زوجة ابن أخيه، أو زوجة ابن أخته، ويرى ابنة عمه، وابنة خاله، وهن في أبهى زينة وأحسن حلة، في موطن تتأجج فيه الشهوات

وتستعر فيه الرغبات.

وقد يكون الاختلاط في الحفلة النسائية بدخول الزوج إلى محتفل النساء ليجلس بجانب زوجته بين النساء، وربما تحصل أفعال وحركات يندى منها جبين الحياء؛ كأن يقبل زوجته وتقبله بين النساء، ويحضنها وتحضنه، أو يقوم يرقص معها، أو يسقي كل واحد منها الآخر العصير!

أليس في النساء رغبة وشهوة -معشر المسلمين-؟

وربما يكون فيهن نساء يبغثن عن زوج ولا يجدنه، فكيف يكون شعورهن وهن يرين هذه المشاهد البعيدة عن الحشمة؟

ومن المنكرات التي تحدث في حفلات النساء: استماع الغناء المصحوب بالموسيقى، وهذا من اللهو غير المباح، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هَوَاَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الفن: 6].

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب" (1).

عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يُسأل عن هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود: الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات. وكذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد، ومكحول وعمرو بن شعيب (2).

(1) تفسير ابن كثير (295/6).

(2) تفسير ابن كثير (295/6-296).

وعن أبي مالكٍ الأشعرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ وَالْحَرِيرَ، وَالْحَمْرَ وَالْمَعَارِفَ) ⁽¹⁾.

ويمكن للنساء أن يغنين أو يسمعن الغناء البعيد عن الموسيقى، السالم من الفحش وتهيج الغرائز، المشتمل على ما يجلب السعادة والفرح المشروعين.

ولهن كذلك أن يضربن بالدف-وهو المسمى بالطار- أو يستمعن له فهو من خصائص النساء في الأفراح.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (فَصُلِّ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فِي النِّكَاحِ الصَّوْتُ بِالدُّفِّ) ⁽²⁾.
وأما ما يسمى بالأناشيد فإن خلت من الموسيقى، وكانت الكلمات لا محذور فيها؛ فلا بأس بها في الأعراس وغيرها.

ومن المنكرات في هذه المخالفة: استعمال مكبرات الصوت التي تؤذي الحي والجيران، وربما استمر ذلك عدة أيام، وأحياناً يكون في الليل أو أول الصباح، وهناك نائم أو مريض، وهناك عامل أو موظف أو طالب يريد أن يستيقظ مبكراً، فلا يراعي أهل الفرح شعورهم.

وهذا من إيذاء المؤمنين، والله تعالى قد قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 58].

أيها الإخوة الفضلاء، ومن المنكرات في حفلات النساء: التزين بالألبسة الضيقة أو الشفافة والرقيقة التي تصف تفاصيل الجسد، خاصة ما يكون على العورة المغلظة، أو

(1) رواه البخاري.

(2) رواه النسائي وابن ماجه والحاكم، وهو صحيح.

الملابس التي تكون فوق الركبتين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ. وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلَاتٌ مُيَلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا) (1).

ومن المنكرات في حفلات النساء: التشبه بالرجال في اللباس وغيره، ومن ذلك ما تفعله بعض النساء في الحفلات من تمثيلات ترفيهية وقيام بعض النساء بدور الرجل في كلامه ولباسه وأعماله، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَلَعَنَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ) (2).

وعنه أيضاً قال: (لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ) (3).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ" (4).

وكما يحرم تشبه المرأة بالرجال يحرم عليها أيضاً: التشبه بالنساء الكافرات أو الفاسقات في لبسة يعرفن بها، أو زينة إذا رُأيت على المرأة المسلمة قيل: إنها قلدت فلانة الكافرة أو المغنية أو الممثلة أو غيرهن من سيئات النساء، اللاتي لسن قدوة صالحة للمرأة المسلمة العفيفة.

(1) رواه مسلم.

(2) رواه أحمد وأبو داود والطبراني بإسناد صحيح.

(3) رواه البخاري.

(4) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان والبيهقي بإسناد صحيح.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ) (1).

أيها الأحباب الفضلاء: ومن المنكرات في حفلات النساء أيضاً: خروج النساء من بيوتهن بكامل زينتهن إلى مكان الحفلة في صالة أو بيت مع ظهور تلك الزينة للرجال في الطرقات أو وسائل المواصلات ذهاباً وإياباً؛ فقد تتزين المرأة في وجهها ويديها ولا تحسن تغطية ذلك أمام الرجال؛ فتبدو جوانب عينيها وهي متجملة، أو يظهر جزء من وجهها المزين، أو كفاها وعليهما شيء من الزينة، وهذا فيه من المخالفة الشرعية والفتنة ما فيه.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31].

بل من المصائب الكبيرة: أن تتعطر المرأة أو تتبخر، ثم تخرج في الشوارع وتركب وسائل المواصلات فيشم الرجال عطرها وبخورها.

فهذه المرأة مرتكبة لذنوب كبيرة؛ عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِذَا اسْتَعْطَرَتِ الْمَرْأَةُ، فَامَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا، فَهِيَ كَذَا وَكَذَا) قَالَ قَوْلًا شَدِيدًا (2).

ومن المنكرات في حفلات النساء كذلك: تصوير النساء في تلك الحفلات وهن في كامل

(1) رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح.

(2) رواه أبو داود وابن حبان والبيهقي بإسناد صحيح.

زينتهن، وهذه مصيبة كبيرة، وعمل قد تكون له عواقب وخيمة، وقد حصلت؛ فحافظات الصور والمقاطع، أو الجوالات قد تضيع أو تسرق أو تعرض على المهندسين أو ترسل منه صور ومقاطع بالغلط، وكم قد طُلقت امرأة بسبب صورها، وكم هُتكت عرض وقتلت أنفس بسبب صور النساء!

أفلا يعتبر الغيارى بما يسمعون في الواقع، ويعي من لم يعوا بعد، ويمنعوا النساء من التصوير، فالسعيد من اعتبر بغيره، والشقي من لم يعتبر إلا بنفسه.

نسأل الله أن يصون نساء المسلمين من كل سوء، ويحمي أعراضهم من كل مكروه.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

أيها المسلمون، ليس على النساء حرج في حفلاتهن البعيدة عن أسمع الرجال وأبصارهم: أن يصفقن، ويزغردن، ويضحكن، ويرقصن رقصاً لا تهتك فيه، وأن يغنين الغناء المباح الذي لا تصحبه موسيقى ولا كلام مثير للغرائز.

ولهن أيضاً أن يلبسن ما يردن من لباس النساء بالضوابط الشرعية التي ذكرناها في الخطبة الأولى.

وأما البنطال فهو في الأصل من ألبسة الرجال، لكن قد جرت العادة بلبسه في عصرنا للنساء، فلذلك يجوز لبسه للمرأة بين النساء بشرط أن يكون فضفاضاً سميكاً لا يحجم العورة ولا يصفها بسبب ضيقه أو رقيقته، ولكن لا تلبسه المرأة أمام محارمها من أب أو أخ أو عم أو خال؛ لأنه يحرك غرائز الرجال، خاصة إذا كان ضيقاً.

وأما الزوج فيجوز لها أن تلبسه أمامه على أية صفة كانت.

أيها المؤمنون، يجوز للمسلمة أن تلبس أمام أختها المسلمة من الألبسة ما يظهر معه: ساقاها ويدها وصدرها ولو جزء من بطنها وظهرها، وهذا مقام الجواز.

لكن الأدب الإسلامي يقتضي أن تبقى المرأة المسلمة في مجالس المسلمات ملازمة للحشمة والحياء، فلا تلبس ما فيه سفور زائد، وضعف حياء، خاصة إذا كانت قدوة

صالحة بين النساء؛ فإن حشمتها وحياءها من الإيثار، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْحَيَاءُ وَالْإِيثَارُ قُرْنَانُ جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا، رُفِعَ الْآخَرُ) (1).

وهذا الجواز الذي ذكرناه للمرأة في كشف صدرها بين النساء وساقها ونحو ذلك مشروط بشرطين: أمن الفتنة، فإذا افتتنت بعض النساء ببعض فعلها تغطية ذلك، والشرط الثاني: أن تأمن أن لا يراها رجال ولا يكون هناك تصوير، فإن ظنت ذلك وجب عليها تغطية ذلك.

فانتقوا الله -عباد الله- فيمن ولاكم الله عليهن من النساء، ألزموهن شرع الله في كل شيء ومن ذلك ما يتعلق بالزينة وحضور الحفلات، فبذلك تحفظون أنفسكم، وتحفظونهن من كل مكروه.

وعلى النساء أن يتقين الله، ويقدمن شرعه على أهوائهن ورغبات الناس، وأن يعلمن أن لزوم الحياء والحشمة عزة وكرامة ومثوبة، ولا يغرن فساد المجتمع فيدعوهن ذلك إلى مجاراته فيما يجرح الديانة والحياء.

نسأل الله أن يحفظ على المسلمات دينهن، ويزيد فيهن حياءهن، ويجعلهن مؤمنات قانتات تائبات صالحات مصلحات.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد والحاكم وسنده صحيح.

حديث القرآن العظيم عن صحابة النبي الكريم

(الجزء الأول)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، إن القرآن الكريم هو النص المتفق عليه بين طوائف المسلمين المختلفة في كل زمان، ولا جدال في سلامته من الزيادة والتغيير والنقصان، فكان مقتضى هذا الاتفاق عليه أن يُصدَّق في كل ما فيه، ويُقبل كل ما يحتويه؛ فهو كلام الله تعالى الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

فأوامره محل للامتثال، ونواهيه تُجتنب في الأقوال والأفعال، ومواعظه وزواجره مدعاة للاعتبار والانزجار، وأخباره تُتلقى بالقبول والتصديق، فمتى تحدث عن الناس

أفراداً أو جماعات فإن مقتضى التصديق به: أن نذم ونكره من ذمهم في خبره، ونُثني ونحب من أثنى عليهم في حديثه، ونقدّم من قدّمهم، ونؤخر من أخرهم في محكم آياته. ألا وإن من حديث القرآن عن الناس: حديثه عن صحابة رسوله محمد ﷺ؛ فقد تحدث عنهم في كثير من السور المكية والمدنية، مثنيًا عليهم، ومبينًا بعض فضائلهم، وذاكرًا شيئًا من أعمالهم الصالحة التي قدموها في نصره الإسلام، وحماية نبينا محمد ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ونحن سندكر -بعون الله تعالى- في خطب ثلاث حديث القرآن العظيم عن صحابة نبينا الكريم؛ حتى نعلم سمو منزلتهم من خلال القرآن الكريم، قبل أن ننظر إلى الأحاديث الشريفة، والسيرة النبوية المنيفة، وتاريخهم الناصع المشرق على كل أفق. عباد الله، إن من حديث القرآن الكريم عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: حديثه عن صبرهم، وهجرتهم، وجهادهم في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى.

فأنت تعلم -أيها المسلم- أن المرحلة المكية للدعوة الإسلامية التي دامت ثلاث عشرة سنة كانت مرحلة أليمة على رسول الله ﷺ وعلى من معه من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم؛ فقد لقوا من المشركين من صنوف الأذى الحسية والمعنوية شيئًا كثيرًا، حتى إن منهم من قتله المشركون، ومنهم من عذبوه أشد العذاب، أما الأقوال والشتائم والسباب والسخرية التي لقوها فلا يحصي ذلك إلا الله تعالى.

ولقد لجأ المشركون بعد ذلك إلى العزل الاجتماعي، والحصار الاقتصادي لهم المتمثل في حصار الشعب الذي دام ثلاث سنوات، حتى بلغ المسلمين الجهد "والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود، وحتى كانت تُسمع من وراء الشعب أصواتُ نسائهم

وصبيانهم يتضاغون من شدة الجوع⁽¹⁾.

وفي هذه الأواء العصبية، والشدائد المستمرة المديدة لم يزدد الصحابة رضوان الله عليهم إلا تمسكاً بالإسلام، وثباتاً على الإيمان، وجلداً أمام العدوان، وصبراً ومصابرة في وجه الطغيان.

وكان رسول الله ﷺ تنزل عليه آيات كثيرة فيها الحديث عن الصبر وفضله وأهميته، وحسن عاقبة أهله، فتنزل عليه قصص الأنبياء والمؤمنين بهم فتحكي ما لقوا من البلاء والاستهزاء، وكيف قابلوا ذلك بالصبر والمصابرة، فيتلو النبي ﷺ ذلك على الصحابة، فيهنون عليهم الخطب، ويزدادون صبراً إلى صبرهم في كل صعب. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 110].

فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية أن جزاءهم على صبرهم على فتنة المشركين وأذاهم، وعلى هجرتهم وجهادهم: المغفرة والرحمة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [المطففين: 29-32].

وقد كان مشركو مكة يصنعون هذا بصحابة رسول الله ﷺ.

فعن حَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ، قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: (كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ

(1) الرحيق المختوم (ص: 97).

يُخَفِّرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيَجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ حَوَمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لِيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ⁽¹⁾.

واسمع بعض أخبار الرعيل الأول في مكة وما لقوه من البلاء:

- **كان** عم عثمان بن عفان يلفّه في حصير من أوراق النخيل ثم يدخنه من تحته.

- **وكان** أمية بن خلف يشد بلاً شديداً ثم يضربه بالعصا، وكان يلجئه إلى الجلوس في حر الشمس، كما كان يكرهه على الجوع، وأشد من ذلك كله أنه كان يخرج به إذا حميت الظهيرة فيطرحه في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره.

- **وكان** عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى لبني مخزوم، أسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون - وعلى رأسهم أبو جهل - يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرضاء، فيعذبونهم بحرّها. ومر بهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم يُعَذَّبُونَ فقال: صبرا آل ياسر! فإن موعدكم الجنة.

- **وكان** خباب بن الارت مولى لأم أنمار بنت سباع الخزاعية، فكان المشركون يذيقونه أنواعاً من التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذباً، ويلوون عنقه تلوية عنيفة وأضجعوه مرات عديدة على فحامٍ ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجراً؛ حتى لا يستطيع أن يقوم.

- **وقائمة** المعذبين في الله طويلة ومؤلة جداً، فما من أحد علموا بإسلامه إلا

تصدوا له وأذوه⁽¹⁾.

أيها المؤمنون، ومن أعمال الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** التي نصرُوا بها الإسلام، وأعلت منزلتهم عند الملك العلام: هجرتهم من مكة مهوى أفئدتهم، ومسكن أرواحهم. إن ترك الأهل والأقارب والجيران، ومفارقة الأموال والخلان والأوطان؛ ليس بالأمر اليسير على النفوس، بل هو من المكاره التي تسيل لها الدموع، وتضيق بها الصدور، ويتكدر بها العيش مهما طاب.

ولهذا كانت الهجرة في سبيل الله -حفاظاً على الدين من الفتنة- من أفضل الأعمال الصالحة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْهَجْرَةُ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا)⁽²⁾.

وَقَالَ ﷺ: (إِنَّ لِلْمُهَاجِرِينَ مَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ، يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَدْ أَمِنُوا مِنَ الْفَزَعِ)⁽³⁾.

وأصحاب رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في مكة هم أول المهاجرين في هذه الأمة؛ فإنهم لما اشتد الأذى عليهم أذن الله تعالى لهم بالهجرة: أولاً: إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، فتركوا آباءهم وأبناءهم وأمهاتهم وإخوانهم وأخواتهم وزوجاتهم وكل دنياهم، ضحوا بكل ذلك طلباً لرضوان الله تعالى، وحفاظاً على إيمانهم.

عَنْ أَبِي عُمَرَ النَّهْدِيِّ قَالَ: إِنَّ صُحْبِيَّ حِينَ أَرَادَ الْهَجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ لَهُ كُفَّارُ

(1) الرحيق المختوم (ص: 78-79) بتصرف.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه ابن حبان والحاكم بسند صحيح.

قُرَيْشٍ: أَتَيْتَنَا صُغُلُوكَا فَكَثُرَ مَا لَكَ عِنْدَنَا، وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ، ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ؟، وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ مَالِي، أَتَخْلُونَ سَبِيلِي؟، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "رَبِّحَ صُهَيْبٌ، رَبِّحَ صُهَيْبٌ" (1).

واقروا قصص المهاجرين الأولين من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين لتنظروا قدر البذل والعطاء الذي قدمه أولئك العظماء، وخذوا مثلاً على ذلك: هجرة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. اقرأوها لتروا سطورها تنبض بالآلام، والعزيمة الإيمانية المتقدة التي انتصرت على كل تلك الأوجاع.

ولهذا- معشر المسلمين -تحدث القرآن الكريم عن هجرة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في القرآن، مثنيًا عليهم بها، ومبينًا ثوابه لهم عليها.

فمن ذلك: أن الله تعالى ذكر أن الصحابة المهاجرين هم المؤمنون حقاً، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74].

وذكر عز وجل أنهم هم الصادقون في إيمانهم، المبتغون بهجرتهم رضوان الله ونصرته ونصرة رسوله، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: 8].

وأخبر جل وعلا أنه سيجازي أولئك المهاجرين المكرمين بتكفير سيئاتهم، ونيل

(1) رواه ابن حبان والحاكم بسند صحيح.

الفوز العظيم، ودخول جنات النعيم، فقال جل وعز: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: 195].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: 20-22].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ * لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: 58-59].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوَّتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 42].

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما سمعنا.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

أيها المسلمون، ومن الأعمال العظيمة التي قدمها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ونالوا بها الخير والفضل، وتحدث بها القرآن عنهم: الجهاد في سبيل الله.

فجهاد الكفار الصادين عن دين الله - بنية خالصة - من أعظم الأعمال في الإسلام، ومن أربح التجارات مع الله تعالى، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: 10-13].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا أَجِدُهُ، هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ؟ وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: مَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِثْلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمِثْلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بآيَاتِ اللَّهِ الْخَاشِعِ، الرَّائِعِ السَّاجِدِ لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى أَهْلِهِ بِمَا رَجَعَ مِنْ غَنِيمَةٍ، أَوْ يَتَوَقَّاهُ اللَّهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ) (1).

(1) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي والترمذي.

وليس بخاف على كل عاقل كم جاهد أصحاب رسول الله ﷺ في سبيل نصرته هذا الدين حتى بلغوا به مشارق الأرض ومغاربها، وما نحن عليه من الدين ما هو إلا ثمرة من ثمرات جهادهم ودعوتهم.

فكم معركة خاضوها، وغزوة جالدوا فيها، وكم دماء أهرقوها، وجراح فيها أصيبوا بها، وأطفال لهم بفقدهم يتموا، وزوجات لهم تأيمنت، وآباء وأمهات باستشهادهم ثكلوا!

فعلى يد من نصر الله المسلمين في يوم بدر؟ ومن الذي دفع عن رسول الله الأعداء يوم أحد ورد المشركين بلا نصر، ومن الذي حمى المدينة وساكنها يوم الأحزاب، ومن الذي فتح مكة، ومن الذي غلب ثقيف وهوازن ومن معهم يوم حنين، ومن الذي كسر الأكاسرة وقصر القياصرة حتى علت راية الإسلام خفاقة فوق الرايات ودخل الناس في دين الله أفواجا؟

أليسوا صحابة محمد بن عبد الله ﷺ؟

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 62-63].

فمن هم المؤمنون الذين أيد الله رسوله بهم غير صحابته الكرام؟

وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْحَيَرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 89].

فمن هم الذين جاهدوا مع رسوله الأمين؟ إلا صحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

لذلك ذكر الله تعالى آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن جهاد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وثنائه سبحانه عليهم هنالك، وجزائه العظيم لهم على ذلك.

وخذوا مثالا واحداً وهو ما تحدث الله به عنهم في سورة الأحزاب عن معركة الأحزاب:

فقد وصفهم الله بالإيمان، وذكر نعمته عليهم بتأييدهم بالملائكة، فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 9].

ووصفهم سبحانه في هذه الغزوة باليقين والتصديق لوعده ووعد رسوله، وأثنى عليهم بالصدق وزيادة الإيمان بالله والتسليم لقضائه وأمره، والوفاء بعهده، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 22-23].

أيها الإخوة الفضلاء، لقد تحدث القرآن الكريم عن استشهاد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وجزاء الله لهم عليه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 169-171].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ، تَرْدُ أَمْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى فَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَا كُلِّهِمْ، وَمَشَرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا، أَنَا أَحْيَاءُ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ؛ لِيَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكَلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ"، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا...﴾ [آل عمران: 169] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (1).

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ، هذا شيء يسير من حديث القرآن عن صبر الصحابة وتحملهم أذى المشركين، ومن حديثه عن هجرتهم وتركهم محبوباتهم طلباً لمرضاة رب العالمين، ومن حديثه عن جهادهم الذي سطوروا به أروع الملاحم من أجل نصره هذا الدين، وتبليغه إلى العالمين، "فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم" (2).

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية...

(1) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم.

(2) قاله ابن مسعود رضي الله عنه. جامع بيان العلم وفضله (947/2).

حديث القرآن العظيم عن صحابة النبي الكريم (الجزء الثاني)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، تناولنا في خطبة سابقة حديث القرآن عن صحابة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذكرنا فيها: صبرهم ومصابرتهم، وهجرتهم، وجهادهم.

وفي هذه الخطبة -بعون الله- سستكلم عن حديث القرآن عنهم بالذكر الحسن، والثناء الجميل على الخصال الحسنة التي تحلَّوْا بها، والخلال العذبة التي كانوا عليها.

فستحدث عن أمهات المؤمنين، وعن الأنصار والمهاجرين، ونتحدث عن صور من صفات الصحابة التي مدحهم بها كتاب رب العالمين.

أيها المؤمنون، لقد تحدث القرآن الكريم عن زوجات رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فوصفهن بأمهات المؤمنين، وفي هذا مزية لهن تدعو إلى تعظيمهن وحسن القول فيهن،

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:7]، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا فَهِنَّ أُمَّهَاتُهُ: تَبْجِيلًا وَتَعْظِيمًا، وَتَقْدِيرًا وَتَكْرِيمًا.

وَتَحَدَّثَ عَنْهُنَّ بِأَنَّهُنَّ اخْتَرَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُنَّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنَ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا طَلَبْنَ زِيَادَةَ النِّفَقَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَادَةِ النِّسَاءِ، فَخَيَّرَهُنَّ بَيْنَ الْبَقَاءِ مَعَهُ صَابِرَاتٍ عَلَى شُظْفِ الْعَيْشِ، وَبَيْنَ الطَّلَاقِ، فَاخْتَرْنَ مَا ذَكَرْنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:28-29].

وَأَمْرُهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى وَنَهَاهُنَّ عَنْ بَعْضِ الْأُمُور، وَبَيَّنَّ أَنَّ لَهُنَّ أَجْرَيْنَ بِالْإِمْتِثَالِ، وَذَكَرَ أَنَّهُنَّ مِنْ آلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ الَّذِينَ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَزْكِيَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، خَاصَّةً أَنْ يُوْتِيَهُنَّ مَهَبَطُ الْوَحْيِ الَّذِي هُوَ مَعِينُ الصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى.

فَكَانَتْ زَوْجَاتُ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ عَلَى أَرْقَى دَرَجَاتِ الْإِسْتِجَابَةِ وَالْإِمْتِثَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُصَافَقْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:31-34].

وَلِهَذَا لَمَّا كُنَّ طَيِّبَاتٍ مَطْيَّاتٍ، طَاهِرَاتٍ قَانِتَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ؛ كُنَّ زَوْجَاتِ نَبِيِّهِ فِي

الآخرة كما كن زوجاته في الدنيا.

ومن حديث القرآن عن زوجات نبيه ﷺ: حديثه عن براءة أم المؤمنين الحصان الرزان حبيبة قلب رسول الله: عائشة الصديقة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، فقد برأها القرآن من الفاحشة التي تولى كبر القول فيها المنافقون، فتحدث عن هذه القضية في ست عشرة آية، ابتداء من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 11]. إلى قوله تعالى: ﴿الْحَيْثَاتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: 26].

قال حسان بن ثابت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**:

حَصَانُ رَزَانُ مَا تَزَنُ بِرِيَّةٍ	وَتُصْبِحُ غَرَثِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
عَقِيلَةٌ حَيٍّ مِنْ لُؤَيٍّ بِنِ غَالِبٍ	كَرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلٍ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا	وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلٍ

أيها الأحباب الكرام، اقرأوا القرآن وتأملوا فيه ستجدون الثناء الكبير على المهاجرين والأنصار، الذين قام الإسلام على أكتافهم، وبسقت شجرة الإسلام على طاهر دمائهم، وحرسوها طوال حياتهم، حتى طاب جناها، وثبت في المجد علاها، فامتدت فروعها بعد موتهم حتى شرقت وغربت، وأنجدت وأتهمت، وأيمنت وأشأمت، وأبحرت وأصحرت.

فمن ثناء القرآن الكريم: ثناؤه على المهاجرين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بصلاح النية في الهجرة،

وكمال الصدق فيها، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: 8].

ومن ثناء القرآن: ثناؤه على الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بمحبة المؤمنين، وإيثارهم ومواساتهم مع عظم فاقتهم وحاجتهم، وهذا من دلائل قوة إيمانهم التي نالوا بها الفلاح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

ولما كان المهاجرون والأنصار من السابقين إلى الإيمان دعا الله تعالى من أتى بعدهم إلى الدعاء لهم؛ فقال عقب الآيتين السابقتين: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

ومن ثناء القرآن: ثناؤه على الصحابة الذين أسلموا قبل الفتح، والذين أسلموا بعد الفتح بعلو الدرجة عند الله؛ لإنفاقهم وقتالهم في سبيل الله، مع رجحان ميزان الذين أسلموا قبل الفتح في ذلك، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10].

ومن المهاجرين: أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رفيق رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حضره وسفره، وحياته ومدفنه، وباذل كل ماله في إعانته ونصره، وحارسه الشخصي

في هجرته، وأحب أصحابه إلى قلبه، الذي أثنى عليه نبي الله في مشهده ومغيبه، فقد ذكر الله صحبته لرسوله في القرآن، وشمله ما أيّد الله به نبيه في رحلة الهجرة من المعية والسكينة، فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: 40].

وعن أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأَانَا، قَالَ: (مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا) (1).

ومن الأنصار: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فندموا على ذلك، وصدقوا في الاعتذار، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى توبته عليهم من السماء وذكرها في القرآن، ووصفهم بالصدق، ودعا إلى مصاحبة مثلهم من الصادقين، فقال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿[التوبة: 119].

نسأل الله أن يرزقنا كمال حبه نبيه، وحب أصحاب نبيه، وأن يجمعنا بهم في جنات النعيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدرّ فهدى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وأصحابه الأخيار الأوفياء.

أما بعد.

أيها المسلمون، لقد أثنى الله تعالى على صحابة نبيه الكرام في القرآن لصفات حسنة قامت فيهم، وأعمال طيبة جاءت منهم، فمن ذلك:

أن الله تعالى أثنى عليهم بأنهم أشداء على الكافرين، رحماء بالمؤمنين، طالبون لفضل الله ورضوانه، تبدو آثار العبادة على وجوههم، وهذه صفاتهم التي ذكرتها التوراة مدحاً لهم قبل خلقهم، وأما وصفهم الحسن في الإنجيل فهو كونهم نصروا رسول الله ﷺ، وآزروه وأيدوه فهم معه كالشطاء مع الزرع، وبأنهم بهذه النعوت البديعة إغاظة للكافرين، وأنهم موعودون بالمغفرة والأجر العظيم، فقال تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُهم فِي وُجُوهِهم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ (1) فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29].

ومن ثناء الله على صحابة رسوله في كتابه: سرعة استجابتهم لدعوة رسوله لملاحقة المشركين عقب غزوة أحد إلى "حمراء الأسد"، رغم ما كانوا عليه من الجراح والآلام،

(1) شَطْأُ الزرع: ورقه وصغاره.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 172].

وكذلك سرعة استجابتهم للنفير إلى غزوة تبوك مع بعد الشِّقة، وعظمة المشقة، وضعف الحال، وسوء الأحوال؛ فلهذا وفَّقهم الله للإجابة إلى أمره وطاعته، وذكر ذلك بوصف التوبة، وبين أنه رؤوف رحيم بهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 117].

ومن ثناء الله على صحابة رسوله في كتابه: اتباعهم رضوان الله، واكتفاؤهم بالله في مواجهة عدوهم، وعدم نكوصهم عن لقاءه، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 173-174].

ومن ثناء الله على صحابة رسوله في كتابه: أن رسول الله أمر بتصير نفسه للبقاء مع صحابته الضعفاء تكريماً لهم، وهم الذين وصفهم بقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

ومن ثناء الله على صحابة رسوله في كتابه: أنه أثنى عليهم بمحبة التطهر -الحسي والمعنوي- ووعدهم على ذلك بحبه لهم فقال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: 108].

ومن ثناء الله على صحابة رسوله في كتابه: ثناؤه عليهم بطلب ثوابه وحرصهم عليه؛
فلذلك أمرهم بملاحقة عدوه فاستجابوا لذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ
الْقَوْمِ إِنَّ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 104].

ومن ثناء الله على صحابة رسوله في كتابه: طاعتهم لرسوله؛ فهم إن كانوا مع النبي
صلى الله عليه وآله وسلم على أمر جمعهم له في مصلحة المسلمين، لم ينصرف أحد منهم حتى يستأذنه،
وشهد لهم لذلك بالإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا
كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 62].

ولكنهم لقوة إيمانهم لا يطلبون إذن رسوله في التخلف عن الجهاد، بل يسارعون
إليه ويحرصون عليه، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 44].

فيا عباد الله، هذا شيء من الثناء في القرآن العظيم على صحابة نبيه الكريم:

فوقروهم وبرّوهم واعرفوا حقهم، واقتدوا بهم، وأحسنوا الثناء عليهم،
واستغفروا لهم، واذكروهم بأوصافهم الجميلة، وانشروا عنهم كل فضيلة، فما ذكرهم
الله تعالى بهذه الصفات الحسنة إلا لأنه راضٍ عنهم، محبٌّ لهم، فرضي الله عنهم
وأرضاهم، وأعلى منازل سموهم وعلياهم.

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار...

حديث القرآن العظيم عن صحابة النبي الكريم (الجزء الثالث)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، لقد تحدثنا في خطبتين سابقتين عن حديث القرآن عن صبر الصحابة وهجرتهم، وجهادهم، وحسن صفاتهم، وثناء القرآن على جميل شئائهم وأعمالهم.

وفي هذه الخطبة -بعون الله- سنكمل الحديث عنهم بذكر حديث القرآن عن شهادته لهم بالإيمان، وحسن جزائه لهم على ذلك في الدنيا والآخرة.

أيها المؤمنون، إن الإيمان حلية جميلة، وصفة حسنة جليلة، ودرجة راقية في معراج نيل رضوان الله وعطائه، واستحقاق مدحه وثنائه، فمن ناله ومات عليه فما أعظم ما سيلقى عند الله من التكريم، ونيل الفوز العظيم.

ولقد كان صحابة رسول الله ﷺ في أسمى مراتبه، وأجمل رياضه، وكيف لا يكونون كذلك وهم قد استقوا ماءه من معينه العذب الرقاق، وسلسيل نميره الرويِّ الدِّفاق، أخذوه عن رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً بلا واسطة، فصاروا بالإيمان يُعرفون، وبه يحيون، وإليه يدعون فيما يقولون ويفعلون.

وهذا كتاب الله العزيز يصفهم بالإيمان، ويشهد لهم به في مقامات كثيرة، ومن أحسن من الله شهادةً وحكماً.

فقد ذكرهم الله تعالى بوصف الإيمان عندما تحدث عن كذب المنافقين في دعوى الإيمان التي يظهرونها أمام الصحابة ويخالفونها إذا غابوا عنهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 14-15].

وذكرهم بوصف الإيمان عند الحديث عن تمنى أهل الكتاب ردهم عن إيمانهم، فقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109].

وجعل الله تعالى إيمان الصحابة هو النموذج الأرقى الذي من آمن مثله فقد نال تمام الهدى، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: 137].

وشهد لهم بالإيمان في مقام تنظيم رسول الله صفوفهم قبيل غزوة أحد، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 121].

ووصفهم بالإيمان حين ذكّرهم بنعمته عليهم بإمدادهم بالملائكة في غزوة بدر، فقال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ [آل عمران: 124].

وذكرهم بوصف الإيمان وزيادته حين بلغهم أن المشركين يريدون الرجوع إليهم لاستئصال شأفتهم عقب غزوة أحد، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173].

ونعتهم بنعت الإيمان عندما أخبر أن اليهود جعلوا المشركين أهدي سبيلاً منهم، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: 51].

ووصفهم بالإيمان حين تحدث عن غزوة حنين، وما منّ الله به على رسوله وعليهم في هذه الغزوة، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 26].

وذكرهم بوصف الإيمان في مقام بيان أن الله كافي رسوله، وكافيهم شرّ أعدائهم، وفي مقام أمر رسوله لهم بالقتال، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: 64-65].

ونعتهم بالإيمان عندما تحدث عن غزوة الأحزاب وحالهم فيها:

ففي مقام التذكير بنعمة التأييد بالملائكة قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ [الأحزاب:9].

وفي مقام الحديث عن شدة ما لقوا من البلاء قال: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب:11].

وفي مقام رؤية الأحزاب المتحزبة على المدينة قال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:22].

وفي مقام الإخبار عن صدق الوفاء بالعهد في صدق اللقاء عند قتال أعداء الله، قال في أنس بن النضر وأمثاله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:23].

ونعتهم بالإيمان وزيادته عندما تحدث عن إنزال الطمأنينة على قلوبهم يوم الحديبية لما استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكم الله ورسوله، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:4].

وفي سورة الحجرات بين أنه تعالى قد حَبَّبَ إليهم الإيمان ورَسَّخه وحَسَّنَه في قلوبهم فضلاً منه ونعمة، فقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات:7-8].

وفي سورة الحشر وصف المهاجرين والأنصار بالإيمان وسابقتهم فيه فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿الحشر: 10-11﴾.

أيها الإخوة الكرام، إن صحابة رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لما كانوا أوعية الإيمان، وأهل التقوى والإذعان لله ولرسوله؛ فإن الله تعالى جازاهم في الدنيا بخيرات كثيرة، ومنها:

أنه قد دافع عنهم، فدفع عنهم سيوف المشركين واليهود أن تستأصلهم، وردّ عنهم قيل المنافقين فيهم.

ففي نصره لهم على الكفار: أذن لهم بالقتال ووعدهم بالنصر فيه، ووفّى لهم سبحانه، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وَالَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿الحج: 39-40﴾.

وحين حثهم على الجهاد ووعدهم عليه المغفرة والجنة؛ وعدهم أيضًا بالنصر والفتح، وأنجز لهم ذلك، فقال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ مُجِيبُهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: 13].

وفي غزوة بدر التي هي يوم الفرقان الذي علت عقبه راية الإسلام خفاقة في سماء العز والمجد؛ نصرهم الله سبحانه وهم قلة أمام كثرة، وقد تحدث عن هذا النصر

والتذكير به في سورتي آل عمران والأنفال:

ففي آل عمران ذكرهم بالنصر والتأييد بالملائكة وجعل ذلك سبباً لتبشيرهم وتطمين قلوبهم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿[آل عمران: 123-126].

وفي سورة الأنفال بين جل وعلا استجابته لاستغاثتهم، وتأيدهم بالملائكة، والنعاس، والمطر، وإرهاب قلوب عدوهم منهم، والمن عليهم بالغنائم، فقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّدُكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿[الأنفال: 9-12].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَأَوَّاكُمْ وَأَيْدِيكُمْ بَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿[الأنفال: 26].

وفي سورة الأحزاب ذكرهم بنصره لهم يوم الخندق، وإنجائهم من ذلك البحر الهائج من المشركين الذين بلغوا عشرة آلاف، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ﴿[الأحزاب: 9].

وفي سورة الفتح ذكر الله تعالى وعده الكريم لهم في الحديبية بالفتوح الكبيرة، والغنائم الكثيرة، وجعل في قلوب عدوهم المهابة منهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا * وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح: 22].

وأما دفاع الله سبحانه عن صحابة رسوله عما قاله المنافقون فيهم من الهمز واللمز؛ فقد ذكره تعالى في سورتي البقرة والتوبة:

ففي سورة البقرة وصم المنافقون الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** بالسفه -وهو ضعف الرأي وقلة المعرفة- فرد الله على المنافقين ذلك بأبلغ رد وأحكمه، وجعل ذلك الوصف مقصوداً عليهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13].

وفي سورة التوبة ذكر تعالى أن المنافقين يسخرون من متصديقي الصحابة، فردّ الله عليهم سخريتهم، وتوعدهم بالعذاب الموجه، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 79].

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما سمعنا.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

أيها المسلمون، لقد آمن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وصبروا على البلاء، وصابروا جميع قوى الأعداء، وجاهدوا في الله حق جهاده، وهاجر المهاجرون منهم ابتغاء وجهه، وآوى الأنصار رسول الله والمسلمين ونصروهم، وواسوهم وكفّوهم، وأثنى الله على جمع الصحابة في كتابه على أعمالهم الجليلة، وصفاتهم النبيلة الجميلة، وشهد لهم بالإيمان، ودافع عنهم جموع الكفر والطغيان، فهذا ما كان منهم ولهم في الدنيا.

فماذا لهم في الآخرة عند الله تعالى؟

إذا تأملنا في القرآن الكريم سنجد أنه قد ذكر ما لهم في الآخرة من الجزاء الحسن، والثواب الكريم، فمن جزاء الله العظيم للصحابة الذي ذكره:

-المغفرة لذنوبهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74].

وقد أمر الله رسوله بالاستغفار لهم فقال الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 62]. وقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

وقد فعل رسول الله ﷺ فدعا لهم بالمغفرة:

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَحْفِرُ الْحَنْدَقَ، وَنَنْقُلُ

التُّرَابَ عَلَى أَكْتَانِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اللَّهُمَّ، لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَاعْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)⁽¹⁾.

- **ومن جزاء الله للصحابه على حسن بلائهم:** الفوز والفلاح، قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 88-89]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: 20-22].

- **ومن جزاء الله للصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:** رضا الله عنهم، ودخول الجنة، والنجاة من النار: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18].

وقال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُتَحَرِّصُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

وقال جل وعلا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: 103].

(1) متفق عليه.

وقال تبارك وتعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10]. والحسنى: الجنة.

فيا معشر المسلمين، هذا حديث قرأنا عن أصحاب نبينا، فمن خلاله عرفنا فضلهم عند الله سبحانه، فمن كان موقفاً بذلك فليزد إيقانه، ومن كان عنده شيء من الأضعان فليزل أضعانه، فهذا فضلهم قد تلونا من القرآن برهانه، فما بقي إلا الانقياد لكتاب ربنا العزيز فهو الحجة التي لا خلاف فيها، والدليل الذي يجب التسليم له عند كل مسلم.

قال ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: "إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَأَبْتَعَتْهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ" (1).

نسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا، ويذهب سخائم صدورنا، وينير آفاق عقولنا.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

كورونا الغول الجديد (□)(□)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله، ^{صلى الله عليه وسلم} وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، في زحمة الحياة وانهماك أهلها في مصالحهم الدنيوية، وتناسي حياة الأبد الآخروية؛ يذكّر الله تعالى عباده الغافلين بين حين وآخر بِرَجْزٍ يحل بهم؛ لكي يعودوا إلى ربهم، ويؤبوا إلى رشدهم من غفلتهم، وينتشلوا نفوسهم الغارقة في هوى الدنيا الفانية، وهذا من رحمة الله بهم، وفضله عليهم.

(1) الغول: "كل ما أخذ الإنسان من حيث لا يدري فأهلكه". المعجم الوسيط (2/667).

(2) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في: 1441/7/18هـ، 2020/3/13م.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41].

غير أن أكثر الناس مهما نزلت بساحاتهم البلياء، وحلَّت في دورهم الرزايا، وعمت بينهم المنايا؛ فإنهم لم يزالوا في متاهات الغي سادرين، وعن الاعتبار والتذكر معرضين.

بل الأدهى من هذا أن يفسروا البلاء تفسيراً دنيوياً بجعله ظاهرة طبيعية سببها مادي بحت!.

هكذا يتيه الإنسان غير المؤمن في أودية البعد عن الله، ويفهم من الأيدي التي تمتد إليه محاولة إرجاعه إلى ربه، وإنقاذه من ضياعه.

عباد الله، إن الخوف اليوم يحتاج العالم، وينشر في ربوعه نُذُرُ الهلاك، والضحايا يتساقطون هنا وهناك، وحالة الاستنفار القصوى في الدول على أشدها، ونشاطات الحياة تعيش انحسار مدها، والرعب القادم من الشرق مازال يجتاز كل الحدود، فيسيح من دولة إلى دولة، ومن جسد إلى آخر في سعي حثيث دون أن يراه أحد، وهو ما فتى يفتك في الناس مرضاً وموتاً، وعلماء المهنة وقفوا عاجزين عن إيقاف خطاه، ومعرفة نهاية مداه.

إنه كورونا ذلك الفيروس الخفي في مرآه، الجلي في صرعاه وضحاياه.

أيها الأحباب الكرام، إن هذا الفيروس المعدي وباء عام تتناقله الأجسام مع مرور الساعات والأيام، وله أمد محدود سيتهيئ إليه بلا شك، ولكن لا يعلم ذلك إلا الله تعالى.

وليس غريباً على أهل هذه الحياة أن يصابوا بالموت العام في مكانٍ ما مدةً معينة من الزمن يسقط خلالها عدد كبير من الناس مصابين أو موتى.

فمن يرجع إلى تاريخ الإنسانية العام سيرى أن البشرية عموماً قد مروا بطواعين وأوبئة أفنت آلافًا ومئات الآلاف منهم.

لكن لعلمكم تلاحظون -معشر المسلمين- أن الوباء أو الطاعون في الأزمنة الماضية كان ينحصر في منطقة معينة من بلاد محددة؛ فطاعون عمواس في تاريخنا الإسلامي ظهر في السنة الثامنة عشرة من الهجرة في منطقة عمواس التي تقع قرب القدس ثم فشا في الشام ولم يتجاوزها إلى غيرها.

أما كورونا اليوم فقد أضحى يحوب دول العالم من الشرق إلى الغرب في وقت قصير، ومازال شوطه بطينا، وفمه الواسع فاغراً لالتهام المزيد مرضاً وموتاً. ولعل سبب ذلك: كثرة تنقل الناس بين الدول؛ نظراً لسهولة السفر في عصرنا بخلاف العصور الماضية، أو لأسباب أخرى.

أيها المسلمون، إن المتأمل في فيروس كورونا يمكن أن يضيفه إلى قائمة أنواع الطاعون التي تصيب الكائن الحي؛ نظراً لعدواه وسرعة انتقاله وحصول الموت العام الناتج عن الإصابة به.

ولقد ورد عن نبينا ﷺ نصوص عديدة تتحدث عن الطاعون مبيّنة سببه، والتدابير الوقائية عند فشوه، والحال التي ينبغي أن يكون عليها المسلم فيه، وماذا يكون له عند الله إذا مات بسببه وقد عمل بما أمره رسول الله ﷺ.

فأما عن سببه -في الغالب- فهو المعاصي، جاء عن عائشة **رضي الله عنها**، قالت: سألت

رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرني (أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين) (1).

وقال رسول الله ﷺ: (ذا بُخْسِ الْمِكْيَالِ حُبْسَ الْقَطْرِ، وَإِذَا كَثُرَ الزَّنَا كَثُرَ الْقَتْلُ وَوَقَعَ الطَّاعُونُ) (2).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (ما ظهر في قوم الزنا والربا إلَّا أحلّوا بأنفسهم عقاب الله) **وفي رواية:** (مَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ) (3). يعني: الموت العام.

ومصدق هذا في كتاب الله تعالى أيضًا في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: 48].

فَالذُّنُوبُ - يا عباد الله - هي سبب حلول البلاء وزوال النعماء.

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَرُغْهَا طَوِيلٌ وَأَغْصَانُهَا بِاسْقَةٍ

فَحُطُّهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ دِفْءٌ فِي الْمَعَاصِي لَهَا مَاحِقَةٌ

وأما عن التدابير الوقائية عند فشوه فقد أمر النبي ﷺ بعدم الخروج من المكان الذي ينتشر فيه الطاعون، ونهى عن الفرار منه وعن القدوم إلى تلك الأرض من أرض سالمة منه، قال رسول الله ﷺ عن الطاعون: (فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا؛ فراراً منه) (4).

(1) رواه البخاري.

(2) رواه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(3) رواه أبو يعلى والحاكم في مستدركه وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(4) متفق عليه.

وعن عبد الله بن عامر - أن عمر خرج إلى الشام، فلما كان بسرغ بلغه أن الوباء قد وقع بالشام - فأخبره عبد الرحمن بن عوف: أن رسول الله ﷺ قال: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فراراً منه) (1).

وقال رسول الله ﷺ: (الفار من الطاعون كالفار من الزحف، والصابر فيه كالصابر في الزحف) (2).

وهذا ما يسمى الآن بالْحَجْرِ الصَّحِي، وهو سابقة إسلامية نبوية عظيمة صدّقها الطب الحديث.

وأما عن الحال التي ينبغي أن يكون عليها المسلم فيه عند إصابته به فهي الصبر والاحتساب، ولزوم مكانه الذي أصيب فيه، قال رسول الله ﷺ: (ليس من أحد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له؛ إلا كان له مثل أجر شهيد) (3).

عباد الله، إن الطاعون إذا أصيب به المؤمن فهو رحمة من الله به؛ لأن فيه تكفيراً لذنوبه، وتزكية لعمله، ونقله سعيدة إلى ربه، فإذا مات به فهو شهيد.

فعن عبد الرحمن بن غنم قال: لما وقع الطاعون بالشام خطب عمرو بن العاص الناس فقال: إن هذا الطاعون رجس فتفرقوا عنه في هذه الشعاب وفي هذه الأودية فبلغ ذلك شرحبيل بن حسنة قال: فغضب فجاء يجر ثوبه معلق نعليه بيده فقال: صحبت رسول الله ﷺ وعمرؤ أضلُّ من حمار أهله، ولكنه رحمة من ربكم، ودعوة

(1) متفق عليه.

(2) رواه أحمد وعبد بن حميد في مسنديهما، وهو صحيح.

(3) رواه البخاري.

نبيكم، وموت الصالحين قبلكم⁽¹⁾.

وقال صلى الله عليه وسلم: (وفيه تزكية أعمالهم، وهو لكل مسلم شهادة)⁽²⁾.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (المطعون شهيد)⁽³⁾.

نسأل الله تعالى أن يجنبنا وإياكم كل شر، ويمن علينا بكل خير.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(1) رواه أحمد وإسناداه صحيح.

(2) رواه البزار، وهو حسن.

(3) رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وأصله في الصحيحين.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، **أما بعد:**

أيها المسلمون، إننا أمام هذه النازلة العصرية التي غدت حديث الساعة نحتاج إلى معرفة الموقف الشرعي الصحيح الذي يمليه علينا ديننا الحنيف؛ حتى لا يصغي المسلم إلى الأصوات المباينة للإسلام والتي تنسب هذا الحدث إلى أسباب غير شرعية، وتبثُّ في النفوس الخوف والقلق، والضجر والجزع، وتعلّق آمالها بالبشر والأسباب، قاطعةً صلّتها بالله خالق البشر والأسباب.

فعلينا -معشر المسلمين-: أن ننزل في قلوبنا السكينة والاطمئنان، ونسكب فيها الثقة والأمان بيقيننا بأن كل شيء بقضاء الله وقدره، فما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وهذا يعين المسلم على الصبر والرضا والتسليم بكل ما نزل به من عند الله قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11].

"وهذا الخبر في قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ إيماء إلى الأمر بالثبات والصبر عند حلول المصائب لأنه يلزم من هدى الله قلب المؤمن عند المصيبة ترغيب المؤمنين في الثبات والتصبر عند حلول المصائب" (1).

-ولنقوِّ في قلوبنا عبادة التوكل على الله تعالى، فمن توكل على الله كفاه ووقاه وحماه.

وعلى المسلم كذلك: البعد عن أماكن الإصابة بهذا الداء وأسبابه، وعليه العملُ

بالإرشادات الوقائية التي تقي من الإصابة ؛ فإن هذا من التوكل على الله تعالى .

وليس بخافٍ عليكم -أيها الأحبة- أن هناك تهويلاً كبيراً، وإرجافاً واسعاً لتخويف الناس من هذا الوباء، ولا شك أن الخوف إذا تمكن من الناس قد يضرهم أكثر من نزول الأمر المخوف بهم، فلا بد حينئذ من نشر التفاؤل، وبث التبشير والتطمين، مع الأخذ بالاحتياطات اللازمة.

وعلينا -عباد الله- في هذه النازلة أيضاً: أن نكثر من المحافظة على أذكار طرفي الليل والنهار، ونزيد من الدعاء والتضرع بين يدي الله بأن يكشف عنا هذا البلاء، وأن يحمينا من شر هذا الوباء، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: 43].

ومع الدعاء والتضرع لا بد من استغفار كثير وعودة صادقة إلى الله، وتوبة نصوح من كل ذنوبنا؛ فما ينزل البلاء إلا بذنب ولا يرفع إلا بتوبة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 64].

أيها الأحياء الكرام، ومتى أصيب المؤمن بهذا الوباء فعليه أن لا يجزع ولا يسخط من قدر الله، بل يصبر ويحتسب، ويعلم أن الخير فيما اختاره الله؛ فإن البلاء رحمة بعباد الله المؤمنين.

وعليه أن يستعمل الدواء الذي ينصح به أهل الاختصاص، فما أنزل الله من داء إلا وله دواء، فإن لم ينفع الدواء مع شخص فقد ينفع مع آخر، وما العلاج إلا سبب مشروع قد يوافق الداء فيشفيه بإذن الله، وقد لا يشفيه؛ لحكمة يعلمها الله.

جاء بعض الأعراب فسألوا رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فقالوا: يا رسول الله،

نتداوى؟ قال: (نعم، تداووا؛ فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم)⁽¹⁾.

فيا أيها الناس، اربطوا الأسباب بمسببها، واعلموا الأسباب الحقيقية لما ينزل بنا، فما كورونا وأمثاله إلا بلاء يدعو الناس إلى الرجوع إلى الله تعالى.

ووثقوا صلتكم بالله؛ فهو الذي بيده الأمر كله، واعلموا -رحمكم الله- أن لكل بلاء نهاية، فلا تيأسوا من فرج الله، ولا تقنطوا من رحمته.

فيا لسعادة المؤمنين المطمئنين، الذين على ربهم يتوكلون، وبه يعتصمون، وإليه في كل شؤنهم يرجعون.

نسأل الله تعالى أن يدافع عنا ويحمينا ويكفيننا ضر ما نزل بنا، وأن يرفع عنا الشرور، ويصلح لنا جميع الأمور، وأن يصرف عن بلادنا وسائر بلاد المسلمين هذا الوباء، وغيره من صنوف البلاء.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

(1) رواه أحمد، وهو صحيح.

الخاسرون الرابعون (□)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أما بعد :

أيها المسلمون، كل الناس في هذه الحياة يحبون الأرباح ويبحثون عنها، ويكرهون الخسارات ويهربون منها، ولأجل ذلك يتحملون المشقات، ويدعون بعض الملذات؛ طمعاً في الربح، وسلامةً من الخسارة.

غير أن الكثيرين منهم يتصورون ما ليس فيه ربح ربحاً، وما ليس فيه خسارة خسارة؛ لقصر نظرهم، ولحبهم المصلحة العاجلة، ولغشاوة بصائرهم التي لا يريهم ظلامها إلا ما وافق الهوى والشهوات، وفي غالب الأحوال أن تلك الموافقة خسارة، والمخالفة لها ربح.

(1) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في: 1442/5/24 هـ، 2021/1/8 م.

أما العقلاء من الناس فإنهم لا يعرفون الأرباح إلا بالنظر في مآلات الأمور وعواقبها واستمرارها، وإن خسروا للوصول إلى تلك الغاية السعيدة بعض الخسارات المنقطعة؛ لأنهم يوقنون أن تلك الأرباح الباقية مرة الأوائل، لكنها حلوة العواقب. فليست الخسارات التي بذلوها إلا قرباناً كريماً بين أيدي تلك الأرباح المستمرة، وهي لا تقبل بغير ذلك.

تَهَوَّنْ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ طَلَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِبْهَا الْمَهْرُ
عباد الله، إن الخسارة التي تسوق إلى الربح الكبير ليست خسارة؛ يقول الله -جل وعلا-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: 70].

فهذه الآية نزلت في أسرى بدر من المشركين بين فيها تعالى أنهم إن كان في قلوبهم حب للدخول في الإسلام فأسلموا؛ فإن الله سيعطيهم خيراً مما أخذ منهم من الفداء، وقد حصل ذلك لمن أسلم؛ حيث نالوا من الغنائم والعطايا في الإسلام شيئاً كثيراً، ولما حصلوا عليه من الإيمان وحلاوته أعظم ذلك الخير كله.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "كان فداء كل واحد أربعين أوقية، فجعل على العباس مائة أوقية وعلى عقيل ثمانين، فقال له العباس: ألقرا بة صنعت هذا؟ قال: فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: 70]، فقال العباس: وددت لو كنت أخذت مني أضعافها؛ لقوله تعالى: ﴿يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ (1).

(1) رواه أبو نعيم في الأوائل، وحسنه ابن حجر.

وفي رواية عند الطبراني بإسناد صحيح: "فقال العباس: فيّ والله نزلت حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي وجدت معي، فأعطاني بها عشرين عبداً كلهم تاجر بهال في يده، مع ما أرجو من مغفرة الله جل ذكره"

وجاء في مسند أحمد بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: (إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله إلا أعطاك الله خيراً منه).

فهذا الحديث الشريف يعد قاعدة عظيمة في بيان أن المسلم إذا ترك شيئاً تهواه نفسه مما حرم الله عليه؛ فإن ذلك الترك ربح عظيم؛ لأن الله سيعوضه عنه خيراً كثيراً.

فتعالوا اليوم -معشر الفضلاء- إلى سماع صور من الخسارة التي تعد ربحاً، والخسارة القليلة التي تسوق إلى الربح الكثير، فتكون النهاية أن الخاسر - في نظر الناس، أو في نظر نفسه أول الأمر - رابح في الحقيقة ربحاً عظيماً.

أيها المؤمنون، إن الذنوب تنشأ عن شبهة أو شهوة، وتركها عن شهوة ثقيل جداً على كثير من النفوس؛ لأنها ستخسر بتركها لذة من لذاتها.

أما النفوس الزكية فإنها تعد السلامة من الآثام ونيل مرضاة الله هي ربحها الذي تحرص عليه ولو خسرت الحصول على لذة بدنية.

فتارك الفاحشة -وإن كان خاسراً ترك تلبية شهوته، أو خاسراً مصالح دنيوية من وراء موقعة الفاحشة- إلا أنه رابح الحفاظ على عفته، والفوز برضا خالقه.

فهذا يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ لما راودته امرأة العزيز على الفاحشة فامتنع عنها خسر رضا مولاته، والبقاء في قصر العزيز، بل دخل بسبب امتناعه السجن، فلبث فيه بضع سنين، لكن هذه الخسارة لا تساوي شيئاً أمام الربح العظيم الذي ناله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ؛

من رضوان الله، وحسن السمعة ورفعة المنزلة بين الناس من ذلك اليوم إلى يوم القيامة، ونيله إكرام الملك وتوليته خزائن إياه مصر، ولقائه بوالده بعد ذلك، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ * وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿يوسف: 56-57﴾.

وتارك النظر إلى ما حرم الله - وإن خسر متعة النظر إلى المحاسن، والتلذذ برؤية المفاتن -؛ إلا أنه ربح السلامة من الإثم، وراحة القلب، والتلذذ بالانتصار على هواه. وتارك الرشوة - وإن خسر مالا أو وظيفة أو مزايا دنيوية - إلا أنه ربح دينه، وطيب سمعته بين الناس، وكم من نفوس تضعف فتؤثر ربح مال الرشوة - وهو الخسارة عينها - على الترفع عن ذلك وهو الربح الكبير.

وانظروا - رعاكم الله - إلى العرض المغربي الذي قدمه هرتزل زعيم اليهودية العالمية في وقته لسلطان المسلمين في حينه عبد الحميد الثاني من أجل أن يتنازل عن فلسطين، وكان من ضمن العرض: "مائة وخمسون مليون ليرة إنجليزية رشوة خاصة للسلطان عبد الحميد"، لكن عبد الحميد **رَحِمَهُ اللَّهُ** رفض ذلك العرض برمته. فربح بذلك الخير الكثير.

والتارك للعمل أو الوظيفة - إذا كان فيها حرام ولم يستطع التخلص منه إلا بترك ذلك وإن خسر سبب رزق -؛ إلا أنه ربح إرضاء ربه، وتنزيه نفسه ومن يعولهم عن الحرام. **وكم من إنسان** - معشر المسلمين - يبقى في ذلك العمل الذي فيه معصية لربه؛ خوفاً من انقطاع رزقه.

وكأن رزقه ليس إلا في ذلك الحرام!!

فأين اليقين بأن الله هو الرزاق الكريم، وأين الثقة بأن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وأين حسن الظن بمن قال واعداً ووعداً لا يخلف: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا﴾ [الطلاق: 2-3].

أيها الفضلاء، إن الأمين على أموال الناس الذي لا يخونهم فيها بجحد أو غش أو مغالطة أو التقاط بقصد الاستحواذ، وإن خسر مالا قليلاً أو كثيراً؛ إلا أنه ربح ربحاً عظيماً، حيث ربح صيانة نفسه عن المال الحرام، وخلّصها من أشرار الخطيئة الكبيرة، وفاز بسمو المكانة بين الناس، وربما نال تعويضاً مالياً من الله تعالى جزاء أمانته:

حكى ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ عن نفسه قال: "حججت، فالتقطت عقد لؤلؤ في خيط أحمر، فإذا شيخ أعمى ينشده، ويذل لملتقطه مئة دينار، فرددته عليه، فقال: خذ الدنانير، فامتنعت، وخرجت إلى الشام، وزرت القدس، وقصدت بغداد، فأويت بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع، فقدموني فصليت بهم، فأطعموني، وكان أول رمضان، فقالوا: إمامنا توفي؛ فصل بنا هذا الشهر، ففعلت، فقالوا: لإمامنا بنت، فزوجتُ بها، فأقمت معها سنة، وأولدتها ولداً ذكراً -، فمرضت في نفاسها، فتأملتُها يوماً فإذا في عنقها العقد بعينه بخيطه الأحمر، فقلت لها: لهذا قصة، وحكى لها، فبكت، وقالت: أنت هو والله، لقد كان أبي يبكي، ويقول: اللهم ارزق بنتي مثل الذي ردّ العقد علي، وقد استجاب الله منه، ثم ماتت، فأخذت العقد والميراث، وعدت إلى بغداد" (1).

نسأل الله أن يجعلنا من أهل الفوز بجنته ورضوانه، والنجاة من غضبه ونيранه.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

أيها المسلمون، إن فعل الطاعات ابتغاء وجه الله تعالى ربح عظيم، وغنم دنيوي وأخروي كريم، لكن الإقدام على بعض الطاعات قد يعده بعض قصيري النظر خسارة، وقد تكون هناك طاعات لا بد للوصول إلى غنمها من غرم، وللحصول على ربحها من خسارة.

غير أن تلك الأرباح العاجلة والآجلة يهون في طريقها كل خسارة دنيوية عاجلة، وانظروا -رعاكم الله- في هذه الطاعات:

فالذي يتوضأ ويسبغ الوضوء في شدة البرد - وإن خسر الدفء والراحة ووجد الألم - لكنه ربح ربحاً عظيماً، قال رسول الله ﷺ قال: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط) (1).

والناهض لصلاة الفجر في المسجد في البرد - وإن خسر لذة النفس في دفء الفراش - لكنه رابح.

وتارك أعماله الدنيوية، وهاجر لذاته الحسية حين ينطلق إلى بيوت الله - وإن خسر شيئاً من فوات الشهوات - إلا أن ربحه عند الله عظيم.

والمزكي والمتصدق - وإن كانا في الظاهر قد خسرا جزءاً من المال - لكنها سلكتا بذلك الإنفاق في الحقيقة طريق الربح العظيم في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39].

وقال رسول الله ﷺ : (ما نقصت صدقة من مال) (1).

وقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أيضاً: (لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيرببها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوّصه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم) (2).

ومن عفا عمن أساء إليه، وكظم غيظه عنه؛ طلباً لثواب الله مع قدرته على استيفاء حقه - وإن قال الناس عنه: إنه جبان أو عاجز أو ضعيف -؛ إلا أنه قد ربح ربها كثيراً:

قال رسول الله ﷺ : (من كظم غيظاً - وهو قادر على أن ينفذه - دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء) (3).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كذلك: (وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً) (4).

أيها المؤمنون، وغير بعيد عن الربح الكثير، والفوز الكبير من نزل به بلاء؛ بحصول مكروه أو فقد محبوب؛ فصبر عند ذلك واحتسب؛ فإن تلك الخسارة مع الصبر هي عين الربح:

قال النبي ﷺ : (يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه

(1) رواه مسلم.

(2) متفق عليه.

(3) رواه الترمذي.

(4) رواه مسلم.

من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة⁽¹⁾.

وقال ﷺ (إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيتيه فصبر - يريد عينيه - عوضته منها الجنة)⁽²⁾.

أما الشهداء في سبيل الله - وإن خسروا نفوسهم التي هي أغلى ما يملكون - إلا أنهم قد نالوا ربحاً لم ينله غيرهم، فكانت شهادتهم هي الربح العظيم الذي خرجوا به من الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 169-171].

والمهاجرون في سبيل الله الذين فروا بدينهم - وإن خسروا المال وفراق الأهل والأحباب والوطن - إلا أنهم ربحوا سلامة الدين والعوض الكريم من الرب العظيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 100].

عن عكرمة قال: لما خرج صهيب مهاجراً تبعه أهل مكة، فثل كنانته، فأخرج منها أربعين سهماً فقال: لا تصلون إليّ حتى أضع في كل رجل منكم سهماً ثم أصير بعده إلى

(1) رواه البخاري.

(2) رواه البخاري.

السيف، فتعلمون أني رجل وقد خلفت بمكة قيتتين فهما لكم. وعن أنس: ونزلت على النبي ﷺ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴿١﴾ الآية فلما رآه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (أبا يحيى ربح البيع) قال وتلا عليه الآية (١).

فيا عباد الله، زنوا الربح والخسارة في هذه الحياة بميزان الآخرة لا بميزان الدنيا؛ فإذا كانت الخسارة في ميزان الله ربحاً فاحرصوا عليها، وإذا كان الربح الدنيوي عند الله خسارة فابتعدوا عنه.

واعلموا -رحمكم الله- أن أرباح المعاصي هي في الحقيقة خسارة في الدنيا والآخرة، وأن الخسارة في سبيل الطاعة هي ربح عظيم في حياة الإنسان وبعد مماته. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الفوز ويرزقنا مصير الفائزين، وأن يصرفنا عن الخسارة ومآل الخاسرين.

وصلوا وسلموا على خير البرية، كما أمركم الله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

(١) رواه الحاكم، وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه".

أعمال يسيرة بها أجور كبيرة

(الجزء الأول)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أما بعد :

أيها المسلمون، إن هناك تجارة رابحة آتية بالجهد اليسير، الذي يؤول إلى الربح الوفير، وهي معروضة للمتنافسين، وكافية لكل المتقدمين، من دخل فيها ربح بلا خسران، ونال ما وعد بلا حرمان، فأين التجار الحريصون، وأين الراغبون المحبون؟ إنها تجارة ليس لطلبها رأس مالي، ولا للفوز فيها خبرة ولا ذكاء تجاري، وإنما لطلبها حرص إيماني، وللغفوز فيها يقين بالموعود النبوي.

هذه التجارة ميدانها، الأعمال، وليس الأموال، ويتاجر فيها صلحاء المخلوقين مع رب العالمين، ليأخذوا ربح تجارتهم منه سبحانه يوم لقائه الذي يرجون فيه: ﴿تِجَارَةٌ لَنْ

تَبَوَّرَ * لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْوَرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿فاطر: 29-30﴾.

عباد الله، إن هذه التجارة هي تجارة الأجور الكثيرة، على أعمال يسيرة، في أبواب صالحة عديدة؛ في العلم والهدى، والصلاة والصدقة، والصلاح والصبر، وغير ذلك. وأرباح هذه التجارة منها ما لا يعلم قدر ربحه إلا الله، ومنها ما يكون مقدراً بأجرين، أو خمسين أجراً، ومنها ما يكون مقدراً بأجر عمل صالح كبير لا يكون أهله إلا قلة من الناس.

فتعالوا اليوم -معشر المسلمين- إلى التعرف على هذه الأعمال الصالحة وأجورها الكبيرة؛ حتى نحث أنفسنا على هذه التجارة الربحة وحياتنا مازالت في فرصة الإمهال، وأعضاؤنا مادامت قادرة على الأعمال، وتلك نعمة لا يشكرها إلا أولو الألباب.

أيها المؤمنون، من الأعمال اليسيرة التي بها أجور كبيرة: أن يتدبّر المسلم بعمل خير له أصل في الشرع فيدعو لفعله بقول أو فعل أو إعانة عليه، أو فعله فيعمله الناس اقتداءً به.

قال رسول الله ﷺ: (من سن خيراً فاستن به، كان له أجره كاملاً، ومن أجور من استن به لا ينقص من أجورهم شيئاً) ⁽¹⁾.

وقال عليه الصلاة والسلام: (من سن سنة خير فاتبّع عليها فله أجره، ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئاً) ⁽²⁾.

(1) رواه أحمد بسند صحيح.

(2) رواه الترمذي، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

ومن الأمثلة على هذا: أن قومًا وفدوا على النبي ﷺ والحاجة عليهم بادية، فحث على الصدقة عليهم، فابتدأ رجل من الأنصار بالصدقة فجاء بِصُرَّةٍ كادت كفه تعجز عنها، فتتابع الناس بعده على الصدقة، فعند ذلك قال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء) (1).

وجاء رجل إلى رسول الله يطلب منه راحلة ليجاهد عليها؛ لكون راحلته قد هلكت، فلم يجد عنده، فذله رجل على من يعطيه راحلة، فعند ذلك قال رسول الله ﷺ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) (2).

ألا فانظروا- يا عباد الله -يمنة ويسرة فاعملوا، أو ادعوا، أو دلوا إلى أعمال صالحة يتأسى الناس بكم فيها؛ لتنالوا الأجر الكبير الذي قد لا ينقطع، فإن لم تجدوا فاعملوا ذلك بين أهليكم وأولادكم، ليستنوا بكم في حياتكم وبعد مماتكم.

ومن الأعمال اليسيرة التي بها أجور كبيرة: العلم النافع الذي يُعمل به من بعد معلّمه، والصدقة الجارية، وترك ولد صالح، والمرابطة في سبيل الله. قال رسول الله ﷺ: (أربع من عمل الأحياء يجري للأموات: رجل ترك عقبًا صالحًا فيدعو، فيبلغه دعاؤهم، ورجل تصدق بصدقة جارية، له أجرها من بعده ما جرت، ورجل علّم علمًا، فعُمل به من بعده، فله مثل أجر من عمل به، من غير أن ينتقص من أجر من عمل به شيء، ورجل مرابط يُنمى له عمَلُهُ إلى يوم الحساب) (3).

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه أحمد، والطبراني، وهو صحيح.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له) ⁽¹⁾.

فيا سعادة من ربّي أولاده على التقوى والصلاح فكانوا بعده كذلك؛ فإن صلاحهم لن ينسيهم فضل أبيهم عليهم؛ فلذلك لن ينسوه من دعائهم بعد موته، ومن رأى استقامتهم دعا لأبيهم حين خلف بعده هذه الذرية الصالحة. وما يقال في الأب يقال في الأم الحريصة على استقامة أولادها، وتربيتهم التربية الصالحة.

ألا فصلوا أجوركم من حياتكم إلى ما بعد وفاتكم بإصلاح أولادكم. **ويا ربج** من قدم من ماله بين يديه فجعله نفعاً مستمراً للعباد؛ كأن أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو بنى مسجداً، أو مركز علم نافع، أو داراً لليتيم والأرملة والمساكين، أو شرى مصاحف، أو طبع كتباً نافعة ووزّعها، فأجرها يصل إلى قبره ما بقي خيره بين عباد الله.

ويا فلاح من علم علماً نافعاً فأودعه في كتاب جيد باقٍ بعد موته، أو جعله في أسماع الناس فحملوه من بعده، فتقربوا إلى الله بسببه، فكم من الأجور التي تصل إليه على الأعمال الصالحة التي يعملها من استفاد من علمه!.

وكم ندعو اليوم لعلمائنا السابقين بالمغفرة كلما مر بنا أثرٌ من آثارهم العلمية وقد فارقوا الحياة منذ قرون، وما زالت دعوات الناس بالرحمة تبلغهم.

وما مات من يهدى الأنام بعلمه ولو صار في الرّمس البعيد قرونا

وكيف يموتُ المرءُ والأجرُ سائرٌ ويبقى لسانُ الصدقِ فيه هَتونا
وأما الرابع في الحديث الأول الذي يجري له أجره بعد موته فهو: الذي مات مرابطاً في
 سبيل الله على ثغر من ثغور الإسلام، إذا قصد بذلك حراسة الدين ونصرة الإسلام
 والمسلمين، وإعلاء كلمة الله تعالى، وإلا لم يحصل له الثواب الموعود.

وفي فضل هذا العمل قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيضاً: (كل ميت يختم على عمله إلا الذي
 مات مرابطاً في سبيل الله؛ فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتان القبر) ⁽¹⁾.
 أيها الإخوة الفضلاء، ومن الأعمال اليسيرة التي بها أجور كبيرة: حفر قبرٍ لميتٍ
 مسلم، أو شراؤه له، أو استئجار من يحفره له؛ فإن هذا العمل قلماً ينتبه له الناس مع
 أن ثوابه عظيم؛ قال رسول الله ﷺ: (من حفر لميت قبراً فأجنته فيه؛ أجرى الله له
 من الأجر كأجر مسكنٍ أسكنه إلى يوم القيامة) ⁽²⁾.

فيا له من أجر جزيل! فأين أهل الدثور، الراغبون في الأجور؟ وأين أين من يحفر
 قبوراً ليجعلها لأموال المسلمين يتغي بذلك وجه الله تعالى؟
 أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

(1) رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح.

(2) رواه البيهقي والحاكم وقال: "حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

أيها المسلمون، يا من ترغبون في الثواب، وتحبون جوائز الملك الوهاب؛ لا تنسوا أن الطاعم -مما أحل الله- الشاكر لله على ذلك يُنَزَّلَ منزل الصائم الصابر في الأجر، فهل شكرنا الله بقلوبنا وألستنا عندما نتمتع بما أحل لنا الله من الطعام والشراب؟

قال رسول الله ﷺ (الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر)⁽¹⁾.

قال بعض العلماء : "إن الشاكر لما رأى النعمة من الله وحبس نفسه على محبة المنعم بالقلب، وإظهارها باللسان؛ نال درجة الصابر، فالتشبيه واقع في حبس النفس بالمحبة"⁽²⁾.

وقال بعض أهل العلم : "شكر الطاعم الذي يقوم بإزاء أجر الصائم الصابر هو: أن يطعم المسلم، ثم لا يعصي باريه، ويتم شكره بإتيان طاعاته بجوارحه؛ لأن الصائم قرن به الصبر لصبره عن المحظورات، وكذلك قرن بالطاعم الشكر، فيجب أن يكون هذا الشكر الذي يقوم بإزاء ذلك الصبر يقاربه أو يشاكله، وهو ترك المحظورات على ما ذكرناه"⁽³⁾.

(1) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

(2) فيض القدير (285/4).

(3) صحيح ابن حبان (18/2).

أيها الإخوة الكرام، إن الصبر على قدر الله وعلى طاعته من الأعمال التي تُنال بها الأجور الكثيرة، ومن مواطنه في ذلك: الصبر في أيام الفتن على فعل الأعمال الصالحة التي يشق عملها فيها بسبب خوف، أو حرب، أو قلة، أو انشغال بال، أو انصراف كبير إلى الدنيا، أو غير ذلك من الفتن التي تصرف الناس عن الدين.

قال رسول الله ﷺ: (فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبضٍ على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله) قيل: يا رسول الله: أجر خمسين منهم؟ قال: (أجر خمسين منكم) (1).

ومن مواطن الصبر التي تنال فيه الأجور: الصبر على البقاء في بلد الطاعون؛ قال رسول الله ﷺ: (ليس من أحد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له؛ إلا كان له مثل أجر شهيد) (2).

فيا أيها الناس، سابقوا إلى هذه الأعمال اليسيرة؛ فإن وراءها أجوراً كبيرة، وازرعوا اليوم كي تحصدوا غداً أجراً باقياً، وتنالوا ثواباً وافياً:

غَدًا تُوقَى النُّفُوسُ مَا كَسَبَتْ وَيَخْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا
 إِنَّ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لَأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ أَسَاؤُوا فِئْسَ مَا صَنَعُوا
 هذا وصلوا وسلموا على النبي المصطفى...

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه البخاري.

أعمال يسيرة بها أجور كبيرة

(الجزء الثاني)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أما بعد :

أيها المسلمون، إن هناك أجوراً كبيرة تنتظر أصحاب الهمم الحريصين، وتنادي أهل العزائم السابقين، الذين لا يرون أو يسمعون عن غنيمة أخروية إلا طاروا إليها مسرعين.

ألا وإن من فضل الله علينا-ولله الحمد والشكر-: أن جعل تلك الأجور موزعة في أبواب شتى من أبواب الدين، وجعلها صالحة للتنافس بين المسلمين، على اختلاف أحوالهم وظروفهم، وقواهم وقدراتهم.

ومن تلك الأبواب التي فيها الأجور الكثيرة: بابا الصلاة، وإنفاق المال في مرضاة الله؛

فقد ذكر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أعمالاً جعل أجرها كأجور أعمال عظيمة؛ حثاً على

عملها والمسابقة إليها.

فمن الأعمال اليسيرة التي بها أجور كبيرة مما يتعلق بالصلاة: صلاة الفجر في جماعة، والبقاء لذكر الله تعالى في المسجد عقب تلك الصلاة حتى تطلع الشمس، ثم صلاة ركعتين.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (من صلى الغداة - أي: الفجر - في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة، تامة تامة تامة) (1).

وفي معناه قال رسول الله ﷺ أيضاً: (مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الْغَدَاةِ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ؛ انْقَلَبَ بِأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ) (2).

أرأيتم هذا الفضل العظيم، من الرب الكريم! وقت يسير يقضيه المسلم بعد صلاة الفجر في ذكر الله تعالى - الأذكار المطلقة وأذكار الصباح - وفي قراءة القرآن، ثم ينتظر بعد شروق الشمس عشر دقائق ثم يصلي ركعتين، هذا كله يُنيله أجر حجة وعمرة.

فيا من حيل بينه وبين الحج أو العمرة، ولم يستطع بلوغ ذلك: لقد أعطاك الله عبادة يسيرة، تنال بها أجر تلك العبادة المأمولة، ولو أردت ذلك كل يوم لاستطعت إلى ذلك سبيلاً.

(1) رواه الترمذي، وهو حسن.

(2) رواه الطبراني، وإسناده جيد.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في هذه العبادة بعد صلاة الفجر:

فعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (إن النبي ﷺ كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسناء)⁽¹⁾.

ولو بقي في تعلم العلم النافع أو تعليمه في المسجد بعد صلاة الفجر ثم صلى ركعتين فلعله يُرجى له هذا الثواب المذكور، خاصة مع ما جاء في قول النبي ﷺ: (من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه، كان له كأجر حاجٍّ، تاماً حجه)⁽²⁾.

أيها المؤمنون، ومن الأعمال اليسيرة التي بها أجور كبيرة مما يتعلق بالصلاة: إحسان الرجل الوضوء في البيت، والذهاب إلى المسجد للصلاة، وفوات الجماعة عليه من غير تقصير منه.

قال رسول الله ﷺ: (من توضأ فأحسن وضوءه، ثم راح فوجد الناس قد صلّوا أعطاه الله عز وجل مثل أجر من صلاها، وحضرها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)⁽³⁾.

"هذا إذا لم يكن منه تقصيرٌ في تأخير الصلاة من غير عذر، أما لو أخر حضور الجماعة بغير عذر حتى تفوته الجماعة، لم يكن له هذا الثواب"⁽⁴⁾.

وهذا الأجر الجزيل رحمةً من الله تعالى بعبده الحريص على الصلاة في المسجد، فأعطاه ذلك؛ لصدق نيته، وجبراً للنقص الذي حصل له بسبب فوات الجماعة عليه،

(1) رواه مسلم.

(2) رواه الطبراني في "الكبير" بإسناد لا بأس به.

(3) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم، وهو صحيح.

(4) شرح المصابيح لابن الملك (130/2).

والله ذو فضل عظيم.

ومن الأعمال اليسيرة التي بها أجور كبيرة مما يتعلق بالصلاة: ما جاء في حديث أبي أمامة الباهلي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن مشى إلى صلاة تطوع -وفي رواية-: ومن مشى إلى سبحة الضحى لا يُنصبه إلا إياه -أي: لا يتعبه ولا يشق عليه-، فأجره كأجر المعتمر) ⁽¹⁾.

فقد جعل رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أجرة الخارج إلى المسجد للصلاة كأجر الحاج، فيا خسارة الذين لا يصلون في المساجد؛ كم يفوتهم من الثواب والمنافع! فهلا انتصروا على كسلهم وفتورهم، واستطاعوا أن يخرجوا طغيان الدنيا من قلوبهم، وانشغلهم بها في جوارحهم؟

كم تشكو المساجد اليوم من قلة المصلين فيها، مع شكوى البيوت والأسواق والشوارع والملاهي من اكتظاظ جموع الناس فيها!

كم يحرصون لدنياهم ولو حرصوا بعضاً من الحرص للأخرى بها ظفروا أين الذين يرجون الله والدار الآخرة من هذا الثواب الذي لم يبذلوا لأجله أموالاً كثيرة كما يبذلون لو أرادوا الحج، ولم يتحملوا المشاق للوصول إليه كما يتحملون لبلوغ البقاع المقدسة؟!

إنه التوفيق -يا عباد الله- الذي لا يناله إلا قليل من الخلق، وغيرهم حبسهم عنه الخذلان، بسبب الانهماك في العصيان، فماذا بعد ذلك إلا الخيبة والخسران!.

(1) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح.

وفي الحديث نفسه جعل النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أجر الذهاب لصلاة التطوع، وصلاة الضحى في المسجد كأجر المعتمر، بشرط أن لا يكون تعبته وذهابه إلى المسجد إلا لذلك،

وهذا النبا النبوي العظيم يعلمنا ويحثنا في الوقت عينه؛ فيعلمنا أن صلاة الضحى في المساجد أفضل من صلاتها في البيوت، ويحثنا على فعلها هنالك ولو تحملنا لأجل ذلك المشقات.

فهل لنا -معشر المسلمين- في هذه الأجور الجزيلة على أعمال قليلة في عبادة الصلاة فرضها ونفلها؟ وهل استجبنا لهذا التحفيز النبوي الكريم حتى نكون من المقبلين على المساجد على الدوام، فكم من مريض يرجو ما أنتم قادرون عليه، وكم من ميت يتمنى العودة إلى الدنيا للظفر بما تدعون إليه!.

اغتنم في الفراغ فضل ركوع
فعمسى أن يكون موثك بغته
كم صحيح رأيت من غير سقم
ذهبت نفسه الصحيحة فلته
جعلني الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم الوهاب، والصلاة والسلام على النبي الأمين الأبواب، وعلى آله وصحبه أولي الفضائل والألباب، أما بعد:

أيها المسلمون، إن إنفاق المال الحلال في وجوه البر من سبل الوصول إلى الأجر العظيم، وقد فتح النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أبواباً للوصول إلى ذلك الخير العميم، فهل لأرباب الأموال أن يكونوا من الوالجين؛ طلباً لثواب رب العالمين؟

ألا وإن من ذلك: تفتير الصائمين؛ ابتغاء وجه الله.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من فطر صائماً كُتِبَ له مثل أجره، لا ينقص من أجره شيء) ⁽¹⁾.

وهذا فيه دعوة إلى التكافل الاجتماعي، والإعانة على طاعة الله؛ حتى ينشط الناس إليها، كما أن فيه إشارة إلى أن تفتير الصائم لا يعني بالضرورة تفتيره حتى يشبع، فلو فطره أخوه المسلم بتمرات أو نحوها فإن الأجر الموعود يشملُه إن شاء الله. كما أن الحديث يشير من طرف خفي إلى اختيار الصائمين المتقين؛ لأن أجر صيامهم في العظم ليس كأجر من دونهم، فمن لم يجدهم فطر سواهم من سائر المسلمين.

أيها الأحبة الفضلاء، ومن الأعمال اليسيرة التي فيها أجور كبيرة مما يتعلق بإنفاق المال: السعي على الأرملة والمسكين واليتيم، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله - وأحسبه قال - وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر) ⁽²⁾.

(1) رواه أحمد وأحمد وابن حبان وابن ماجه، وهو صحيح.

(2) متفق عليه.

فالأرملة فقدت زوجها الكافل لها، واليتيم فقد أباه العائل له، والمسكين فقد السعة التي تغنيه، فما أعظم أن يقوم المسلم على الأرملة مقام الزوج في إنفاقه، وعلى اليتيم مقام الأب في اعتنائه وكفانيته، وعلى المسكين مقام المغني له في حاجاته.

وهذا الحديث حديث ما أعظمه، حتى قال فيه بعض العلماء السابقين: "من عجز عن الجهاد في سبيل الله، وعن قيام الليل وصيام النهار، فليعمل بهذا الحديث، وليسع على الأراامل والمساكين؛ ليحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سبيل الله دون أن يخطو في ذلك خطوة، أو ينفق درهماً، أو يلقي عدواً يرتاع بلقائه، أو ليحشر في زمرة الصائمين والقائمين، وينال درجتهم وهو طاعمٌ نائمٌ ليلة أيام حياته، فينبغي لكل مؤمن أن يحرص على هذه التجارة التي لا تبور، ويسعى على أرملة أو مسكين لوجه الله تعالى فيربح في تجارته درجات المجاهدين والصائمين والقائمين من غير تعب ولا نصب، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" (1).

ألافسارعوا-عباد الله-إلى هذه الأعمال الصالحة، ولا تلهينكم عنها دنيا ذاهبة، أو همة فاترة، أو شهوة عاجلة، أو شبهة صادة تغريكم بالعمل المفضول عن الفاضل، وتشغلكم عن الباقي بالزائل.

جعلنا الله وإياكم من ذوي الهمم العلية، والنفوس الزكية، التي تسابق إلى الأجور، قبل المصير إلى القبور.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشرية...

(1) شرح صحيح البخاري لابن بطال (218/9).

الجريمة (مظاهرها-أسبابها-آثارها-علاجها) (□)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أما بعد :

أيها المسلمون، إن الإسلام دين الفطرة السليمة، والأعمال السنية المستقيمة، ودين الطهارة المعنوية التي تنقي الباطن من الأدناس، والطهارة الحسية التي تصفي الظاهر من الأرجاس.

ودين يدعو إلى الحكمة وإصابة الحق في الأقوال والأفعال، وتحكيم راحة العقل في القرارات والأعمال، ويحرص على إكرام النفس البشرية والحفاظ على حياتها، ويحث على الصفات التي تعزها وتمنعها من الخروج عن استقامتها.

وهو دين يوفر لمحكومييه -بما جاء به من التشريعات المعصومة- الأمن على الدين

(1) أُلقيت في مسجد الشوكاني في: 1444/2/20 هـ، 2022/9/16 م.

والنفوس والأموال، والنسب والأعراض والعقول.

فأعظم به من دين يصلح الدنيا والآخرة أتم صلاح، ويُنيل من عمل به الظفر بالفلاح والنجاح.

غير أن الناس إذا حادوا عن التمسك بالإسلام، وجاوزوا حدود تشريعاته العظام؛ استشرى بينهم الفساد في جميع المجالات، ومدَّ بساطه على حياتهم في كل الجهات، حتى تفشو فيهم صور الجريمة، وتتكاثر بينهم الأعمال الأثيمة، فيقل المعروف والخير، ويكثر المنكر والشر.

وهناك يصبح الناس على جريمة تشيب من هولها الرؤوس، ويمسون على أخرى تضج من بشاعتها النفوس.

وتصرخ الكرامة الإنسانية مستعيذة من الاعتداءات البشرية عليها، وتستغيث الفضيلة الأدمية من كثرة الإساءة إليها، ويث الخوف سراياه في النفوس فتتسع قلقاً وفزعاً، وتميد مما تشاهد أو تسمع من الفواجع عجباً وهلعاً.

أيها الأحبة الكرام، في هذه السنوات الأخيرة صرنا نسمع بين آن وآخر عن جريمة بشعة هنا أو هناك، فيحزن المسلم من الحال السيئة التي وصل إليها مجتمعنا الإسلامي، الذي ينبغي أن يكون هو النموذج المشرق بين المجتمعات: حفاظاً على دينه، وتعظيماً لنفوس أهله، وتأميناً لأموال القاطنين فيه، وصيانة لعقولهم، وحراسة لطهارة أعراسهم.

فمن مظاهر تلك الجرائم البشعة: القتل الحرام.

فلقد كثرت بين الناس اليوم حوادث القتل وإزهاق النفوس المعصومة عمداً وعدواناً، من غير رادع من دين، ولا مانع من خلق، ولا خوف من قانون حكومي قائم.

أَلَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ أَوْ يَقْرَأُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: 33]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93].

وقول رسول الله ﷺ: (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً) (1).

بل إن الأمر تجاوز الحد؛ فغدا الاعتداء بالقتل ظاهرة في إزهاق أرواح الأصدقاء والخلان، والأقارب والجيران.

بل تجاوز هذا إلى قتل الزوجة زوجها، والزوج زوجته.

بل تجاوز هذا إلى قتل الأخ أخاه أو أخته أو ابن أخيه وعمه وابن عمه.

بل تجاوز هذا إلى قتل الابن أباه أو أمه، وقتل الأم أو الأب ابنه أو بنته.

وهذا علامة من علامات الساعة:

قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يفيض المال وتظهر الفتن، ويكثر الهرج،

قالوا: وما الهرج يا رسول الله، قال: القتل القتل القتل، ثلاثاً) (2).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ هَرْجًا)، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: (الْقَتْلُ)، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ وَأَبَاهُ وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلُ ابْنَ عَمِّهِ، وَذَا قَرَابَتِهِ)، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَعَنَا عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا، تُنَزِعُ عُقُولَ أَكْثَرِ

(1) رواه البخاري.

(2) رواه ابن ماجه، وهو صحيح.

ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخْلَفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ لَا عُقُولَ لَهُمْ⁽¹⁾.

عباد الله، ومن الجرائم التي فشت: جريمة الزنا.

هذه الجريمة التي تطفئ نور الإيمان، وتشعل نار الخيبة والخسران، وتدنس الأعراض، وتورث أشد الأمراض، وتخرب البيوت، وتفسد المجتمع، وتوجب على أهلها أشد العقوبات الشرعية.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32].

وقال رسول الله ﷺ: (لا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشَ فِيهِمْ وَلَدُ الزَّنا، فإذا فشا فيهم وَلَدُ الزَّنا فَأَوْشَكَ أَنْ يَعْصِمَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ)⁽²⁾.

ولم يقتصر الأمر على الفاحشة مع الغريبات، بل تعدى للفحش مع القريبات من البنات والأخوات، والصغيرات القاصرات!!!.

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل غدت هناك تجارة بالجنس، ومنازل دعارة، وعصابات قيادة.

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل نشرت بين بعض الناس مقاطع الفحش والدعوة إلى الرذيلة، والإغراء بها في مواقع الشبكة العنكبوتية، ووسائل التواصل الاجتماعي، وسقط في حماها الآسنة، وشباكها المهلكة رجال ونساء وصغار وكبار.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تبنى أعداء الفضيلة في العالم الدعوة إلى الشذوذ الجنسي وترويجها على نطاق إعلامي واسع، وإصدار قوانين تعين على انتشاره وحراسة أهله.

(1) رواه ابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

(2) رواه أحمد بإسناد صحيح.

فيا حزن الفضيلة والطهر والعفاف، ويا أسف الصيانة والمروءة والعقول الراجحة من هذا الانحراف، الذي يعبر على آفاق الفضاء المفتوح من غير حدود، ويتوثب على الضوابط والقيود، حتى يصل إلى كل إنسان يريد متى يريد.

أيها المؤمنون، ومن الجرائم التي فشت: جريمة إذهاب العقول بالمسكرات على اختلاف أنواعها.

هذه الجريمة التي تقضي على العقل والكرامة الإنسانية، حتى يصبح الإنسان المعاصر لها مثل الحيوان لا يدري ماذا يفعل.

فكم قَتْلٌ جرى لقريب وبعيد عبر نافذة هذه الجريمة!

وكم اعتداء جنسي حتى على محارم عبر بوابة هذه الجريمة!

وكم أموال كثيرة ضاعت عن طريق هذه الجريمة!

وكم صحة ذهبت، وأمراض نفسية حصلت عبر هذا السم القاتل!

قال رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: (لا يدخل الجنة مُدْمِنٌ خمرٍ)⁽¹⁾.

والخمر: كل ما خامر العقل وغطاه وأذهبه.

ويشمل هذا: الخمر والمخدرات، والحشيش والشبو، وغير ذلك من المسميات السُّمِّيَّات.

أيها المسلمون، لو سألنا هذا السؤال الكبير: ما الذي أدى إلى فشو هذه الجرائم في مجتمعنا بهذه الصورة المخيفة التي يفزع منها كل ذي عقل وغيره؟

(1) رواه أحمد والنسائي بسند صحيح.

إن هذه الظواهر المرعبة لها أسبابها التي ساقَت إليها، فما هذه الأسباب؟

الأسباب كثيرة، لكن على رأسها: غياب رادع الإيمان.

فالإيمان هو الذي يزع النفوس عن الغواية والضلال، ويحجزها عن مسالك الرذيلة وسيء الأفعال، ويحرسها من الاعتداء على الآخرين، ويمنعها من مخالفة شرائع الدين.

والخوفُ من الله وعقابه، ومراقبته ورجاءُ في ثوابه، والعفافُ والطهارة، والأخلاق الكريمة؛ كلها من أعمال الإيمان.

فإذا غابت هذه الأعمال ونحوها وقع الإنسان في الجريمة.

قال رسول الله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمنٌ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمنٌ) (1).

وقال رسول الله ﷺ: (الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمنٌ) (2).

والمعنى: إن الإيمان يمنع من القتل الحرام الذي هو الفتك.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى فشو الجرائم: الإعلام المفسد عبر وسائله المختلفة.

فنحن في عصر فسد فيه الإعلام -إلا القليل-، وغدا ترويج الجريمة والفواحش والدعوة إليها هي المادة التي يكثر روادها ومتابعوها، وتجنّى من ورائها الأموال الكثيرة، عبر القنوات، أو عبر الخدمات الشيطانية التي تقدمها شبكة الانترنت في مواقعها، أو عبر الفيسبوك أو اليوتيوب أو الواتساب أو التلجرام أو تويتر أو غيرها من

(1) متفق عليه.

(2) رواه أبو داود والحاكم، وهو صحيح.

مصدّرات الفساد والإفساد.

وصار الإنسان الذي ضعف دينه، وذبلت أخلاقه وحيأؤه يتتبع مواقع الشر في هذه المصادر الإبليسية، حتى شجعتة على ممارسة الرذيلة، ثم سقط بعضهم بعدها إلى هُوّة القيادة، ثم تتابع سقوط بعضهم إلى تكوين شبكات منظمة للجريمة.

عباد الله، ومن الأسباب التي تؤدي إلى فشو الجرائم: غياب الدور التربوي الصحيح للأسرة.

فهناك آباء وأمّهات يدعون بناتهم وأبناءهم يذهبون حيث شاءوا، ويجلسون ويتواصلون مع من أرادوا، ويشاهدون ويتابعون عبر جوالاتهم ما أحبوا، من غير رقابة أبوية، ولا متابعة أسرية.

وقد توجد بنات وأبناء يتامى، لكن أين دور الإخوة الكبار، وأين دور الأمّهات والأعمام والأخوال؟.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم:6].

نسأل الله أن يصلح مجتمعاتنا، ويدفع عنها عاديّات الفساد والمفسدين، وشر الجريمة والمجرمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي شرع الدين، لإصلاح شؤون العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين.

أما بعد :

أيها المسلمون، إن لفشو الجريمة آثاراً سيئة، وعواقب وخيمة، تدع العاقل إذا تأمل فيها حذراً من الإقدام على الإجرام، تائباً منيئاً إن كان واقعاً في تلك الآثام.

فمن أثار الجريمة: إثم صاحبها الكبير، واستحقاقه لعقاب الله الوييل، وكم من إثم يورد صاحبه نار جهنم.

قال رسول الله ﷺ: (لا يزال المؤمنُ مُعْنِقاً صالحاً ما لم يُصَب دماً حراماً، فإذا أصاب دماً حراماً بَلَحَ) (1).

ومعناه: يكون المسلم موفقاً للطاعات، خفيف الظهر من السيئات، ما لم يقتل نفساً بغير حق، فإذا قتلها انقطع عنه التوفيق للخيرات.

وقال ﷺ: (مُذْمَنُ الخمرِ إِنْ مَاتَ لَقِيَ اللهَ كعابِدٍ وَثْنٍ) (2).

أي: في إثمه وفساد قلبه. أو يكون مثله إن استحل الشرب.

وقال رسول الله ﷺ: (إذا زنا الرجلُ خَرَجَ منهُ الإيمانُ، فكانَ عليه كالظُّلَّةِ، فإذا أَقْلَعَ رَجَعَ إليه الإيمانُ) (3).

(1) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(2) رواه أحمد بإسناد صحيح.

(3) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

ومن الآثار السيئة نفشو الجريمة: خراب المجتمع في دينه وأخلاقه، وأمنه وسلامته، وسعادته وراحته.

وحينئذ تتوالى عليه العقوبات الربانية جزاء فساد، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41].

وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30].

ويغزو المجتمع الذي تفشو فيه الجريمة يسيطر عليه الخوف وذهاب السكينة، فلا يأمن الإنسان فيه على نفسه وولده وأهله وماله.

ويغزو المجتمع الذي تفشو فيه الجريمة: كثير المشكلات، متعدد النزاعات، تسوده الفوضى العارمة، والقلق المستمر.

أيها الإخوة الفضلاء، إن فشو الجريمة لابد من علاجه قبل أن يستفحل خطره، ويعظم أضراره، ويصعب علاجه بعد انتشاره واستفحاله.

فالجريمة مرض مجتمعي خطير، ولكنه لا يستعصي على العلاج الناجع الذي يتعاون عليه الجميع: الأسرة، والمجتمع، والدولة.

فمن العلاج لنفشو الجريمة: الاعتناء الكبير بأعمال الإيمان، والرجوع إلى الله في كل أن؛ بالمحافظة على الواجبات الشرعية، والابتعاد عن المنهيات الدنية، والإكثار من النوافل والمساورة إلى الخيرات؛ فإن للطاعة أثراً كبيراً في الإبعاد عن الجريمة، وإرشاد العقل إلى التصرف الحكيم عند الغضب والخصومة.

ومن العلوم للناس أن من يقوم بالجرائم: إنما هم البعيدون عن الله الذين تجرهم المعاصي من معصية إلى أخرى حتى تنتهي به إلى أبشع الجرائم، وأفظع المآثم.

ومن العلاج لفشو الجريمة: حضور دور النصيحة الصادقة، والإرشاد التربوي الصحيح؛ للحذر من الجريمة والمجرمين، عبر وسائل الإعلام المختلفة: مقروءة ومسموعة ومرئية، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، وعبر المساجد ودور التعليم في المدارس والجامعات والمعاهد؛ فإن هذا من التواصي بالحق الذي ينقذ سفينة المجتمع من الغرق في البلاء، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:3].

وقال رسول الله ﷺ: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً) (1).

ومن العلاج لفشو الجريمة: إقامة حدود الله تعالى على المجرمين في الجرائم التي فيها حدود؛ فالقاتل عمداً وعدواناً يقتل من غير تأجيل إذا لم يعف عنه أولياء الدم، والزاني البكر يُجلد، والزاني المحصن يُرجم حتى الموت، والشارب لأي نوع من المسكرات يُجلد حد الشرب. هذا حكم الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:50].

يقول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179].

وقال رسول الله ﷺ: (إِقَامَةُ حَدٍّ بَارِضٍ، خَيْرٌ لِأَهْلِهَا مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا) (1).

وقال: (أَقِيمُوا حُدُودَ اللَّهِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً) (2).

فيا عباد الله، إن الأمر عظيم، وإن الخطب جسيم، والقضية قضية المجتمع كله، فنجاته بسلامته من الجرائم، وعناؤه بفشوها فيه.

فاتقوا الله في أنفسكم، حافظوا على أعمال الإيمان، وسارعوا إلى طاعات الرحمن، واحذروا الأسباب المؤدية إلى الجريمة، السائقة إلى العواقب الوخيمة، واعتبروا بما جرى لمن أجرم من المأثم والمغرم، وشدة الحسرة والندم.

ولتتعاون جميعاً على الحفاظ على مجتمعنا هذا، فما زالت فيه بقية خير، مقارنة بغيره من المجتمعات التي قد اتسع فيها الفساد، وقل فيها الصالح من العباد.

نفعنا الله وإياكم بما سمعنا، وحفظ علينا ديننا ومجتمعنا من كل بلاء، وبلغنا تمام النعمة بالأمن والرخاء.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشرية...

(1) رواه ابن حبان، ورواته ثقات.

(2) رواه أحمد بإسناد حسن.

الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿١﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أما بعد :

أيها المسلمون، إن النفس البشرية نفس ضعيفة تؤثر فيها الأحوال المكروهة عجزاً وضعفاً، وتقطعها عن سرورها بسبب ذلك دهرًا ووقتاً، فبينا هي في لذاتها متمتعة إذا بها تتكدر عليها، وفي فرحها متسعة إذا بها تنقلب إلى ترح لديها.

وربما تكون في سعة، غير أن تلك السعة تتبدل إلى ضيق، وحينئذ تعيش النفس الإنسانية مع هذه المعكَّرات في حالة تفقدها راحتها التي ترجوها، ومُنيتها التي تطلبها وتقفوها.

ألا وإن من تلك الأحوال المكروهة التي تطرأ على النفس الإنسانية: الخوف والحزن، وهما أمران كثيراً ما يردان متلازمين؛ لتعلق أحدهما بالآخر؛ لأنها يجمعان جميع المكروه؛ "فإن المكروه الذي ينزل بالعبد متى علم بحصوله فهو خائف منه أن يقع به، وإذا وقع به فهو حزين على ما أصابه منه، فهو دائماً في خوف وحزن، فكل خائف حزين، وكل حزين خائف" (1).

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْتَقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ [القصص: 7]، وقال: ﴿وَلَمَّا أَنَّ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ [العنكبوت: 33].

فالخوف -أيها الفضلاء- هو: توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب في المستقبل، قال تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: 13].

وهذا التوقع لهذا المكروه يحدث في القلب فزعاً واضطراباً، وفي الذهن شروداً وغيباً جزئياً، وقد يورث البدن سقماً، والأعضاء ارتجافاً وتحركاً وألماً، وربما كسا الوجه شحوباً واصفراراً.

وبحصول هذا الانفعال النفسي لدى الإنسان فإنه يفقد راحته ولذاته، فلا يطيع له طعام، ولا يلذ له منام، ولعله يقطع ليله بالتفكير بحصول ذلك المكروه فتضيق حاله، ويطول ليله ويذهب عن عينيه نومه.

ولهذا -يا عباد الله- كان حصول الخوف من البلاء العظيم، قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ [البقرة: 155]، وكانت السلامة من هذا المكروه نعمة من أعظم نعم الله على الإنسان؛ ولذلك امتن الله تعالى بالأمن على بعض عباده فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 67].

وقال رسول الله ﷺ: (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكانها حيزت له الدنيا بحذافيرها) (1).

وأما الحزن -معشر المسلمين- فإنه الغم الحاصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي، قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 153].

فيصير الإنسان بالحزن على الماضي متحسراً، ومن الحاضر ضجراً، لا يسلم بسببه من ألم نفسي وذبول جسدي، وكُره لما هو عليه، وعند ذلك تضيق أحواله، وينقطع عن بعض مصالح دينه ودنياه؛ ولهذا نهى الله تعالى عن الحزن في كتابه في آيات عديدة؛ لما يحدثه من ضرر على الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "والمقصود أن النبي ﷺ جعل الحزن مما يستعاذ منه؛ وذلك لأن الحزن يُضعف القلب ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المجادلة: 10]، فالحزن مرض من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره، والثوابُ عليه ثواب المصائب التي يتلى العبد بها بغير اختياره؛ كالمرض

(1) رواه الترمذي وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

والألم ونحوهما، وأما أن يكون عبادةً مأموراً بتحصيلها وطلبها فلا" (1).

أيها المؤمنون، إن سلامة الإنسان من الخوف والحزن مطلب عظيم لنفسه، غير أنه لا يناله كل أحد، وإنما يناله أهل طاعة الله الذين نظروا إلى أوامره فاتبعوها، وإلى نواهيه فاجتنبوها.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أصنافاً من تلك الأعمال الصالحة التي كافأ تعالى أهلها عليها بأن سلمهم من الخوف والحزن.

فتعالوا بنا اليوم نسمع هذه الأعمال الصالحة لننظر هل نحن من أهلها المستمرين عليها حتى الممات لنحصل على السلامة من الخوف والحزن.

عباد الله، فمن تلك الأعمال الصالحة التي تبعد عن صاحبها الخوف والحزن: اتباع الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38].

"والمقصود أن الله سبحانه جعل اتباع هداه وعهده الذي عهدته إلى آدم سبباً ومقتضياً لعدم الخوف والحزن والضلال والشقاء، وهذا الجزاء ثابت بثبوت الشرط منتفٍ بانتفائه... فنفى الله سبحانه ذلك عن متبع هداه الذي أنزله على ألسنة رسله" (2).

ومن الأعمال التي تبعد الخوف والحزن عن صاحبها: الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62].

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتین (ص: 279).

(2) مفتاح دار السعادة (34/1).

ومن الأعمال التي تبعد الخوف والحزن عن صاحبها أيضًا: الإخلاص في عبادة الله والانقياد له مع الإحسان، قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 112].

فطوبى لعبد انقاد لشرع ربه، ولم يقدم على ذلك مطالب هواه وشهوته.

ومن الأعمال التي تبعد الخوف والحزن عن صاحبها كذلك: الإنفاق في مرضاة الله في السر والعلن من غير من على المعطى ولا أذى له، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 262]، وقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274].

فلا بد لتحصيل هذه الغاية المنشودة يوم القيامة: من البذل الخالص المستمر السالم من إيذاء المتصدق عليهم بقول أو فعل.

ومن الأعمال التي تبعد الخوف والحزن عن صاحبها أيضًا: الإيمان والعمل الصالح ومنه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 277]، وقال: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: 48]، وقال: ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: 35].

ومن الأعمال التي تبعد الخوف والحزن عن صاحبها: الشهادة في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: 169-170].

ومن الأعمال التي تبعد الخوف والحزن عن صاحبها: تقوى الله تعالى، وهي فعل الأوامر وترك النواهي، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 62-63].

فيا سعد المتقين يوم لقاء رب العالمين بسلامتهم من الخوف والحزن، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى)، قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم. قال: (هم قوم تحابوا بنور الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس) وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽¹⁾.

ومن الأعمال التي تبعد الخوف والحزن عن صاحبها: الاستقامة على شرع الله من غير انحراف عنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: 13].

كان الحسن رحمة الله إذا قرأ هذه الآية قال: "اللهم فأنت ربنا فارزقنا الاستقامة"⁽²⁾.

ونحن نسأل الله تعالى أن يرزقنا الاستقامة؛ لنأمن من الخوف والحزن يوم القيامة، فاللهم استجب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

(1) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وهو صحيح.

(2) تفسير الطبري (465/21).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

أيها المسلمون: إن هذا الخوف والحزن المنفيين عن أهل هذه الأعمال الصالحة التي ذكرناها في الخطبة الأولى إنما يكون ذلك في الآخرة؛ لأن "قرائن الكلام تدل على أن المراد نفيهما في الآخرة لا في الدنيا؛ ولذلك حكى الله عنهم أنهم قالوا حين دخلوا الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:34]، أي: أذهب عنا ما كنا فيه من الخوف والإشفاق في الدنيا من أن تفوتنا كرامة الله تعالى التي نلناها الآن" (1).

أما في الدنيا فإن الخوف والحزن عنصران ملازمان لهذه الحياة الفانية، ويصيبان الصالح والطالح والمؤمن والكافر؛ ولذلك لم يسلم من الخوف والحزن خيار عباد الله وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكم في القرآن من الآيات التي نهى الله فيها نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** عن الحزن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل:70]، وقال عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:28].

ف"أهل الجنة لا بد لهم من الخوف في الدنيا وفي البرزخ ويوم القيامة؛ حيث يقول آدم وغيره من الأنبياء: (نفسي نفسي)، فأخبر سبحانه أنهم وإن خافوا فلا خوف عليهم

(1) تفسير الرازي (473/3).

أي: لا يلحقهم الخوف الذي خافوا منه، وأتى في نفي الحزن بالفعل المضارع الدال على نفي التجدد والحدوث أي: لا يلحقهم حزن ولا يحدث لهم؛ إذ لم يذكروا ما سلف منهم، بل هم في سرور دائم لا يعرض لهم حزن على ما فات...⁽¹⁾.

غير أن المؤمنين -يا عباد الله- يخف لديهم الحزن والخوف في الدنيا إذا كمل لديهم التوكل على الله والثقة به تعالى، وعظم عندهم الإيمان بالقضاء والقدر، فهناك يعلمون أنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم، وأن الله تعالى قد يقدر عليهم حصول أسباب للخوف أو الحزن حتى يزدادوا عبودية وإيماناً بالله، ويكثر أجرهم عنده سبحانه.

فيا أيها المسلمون، إن السلامة التامة من الخوف والحزن بأن يعقبها الأمن التام والسرور التام؛ لا يكون ذلك إلا في الجنة، فأعدوا في الدنيا شهادة الحصول على ذلك، وسارعوا إلى الأعمال الصالحة، وتجنبوا الأعمال السيئة، واستشعروا شدة أثر الخوف والحزن اللذين تلقونها في الدنيا، فكيف بالخوف والحزن يوم القيامة؟ فخوف القيامة عظيم عظيم، وحزن يوم الدين أليم أليم، فهل من متعظ، هل من معتبر؟

نسأل الله تعالى أن يؤمننا من الخوف والحزن يوم لقائه، وأن يجعلنا من المطمئنين المسرورين عند جزائه.

هذا وصلوا وسلموا على من أمركم بالصلاة والسلام عليه فقال -ولم يزل قائلاً عليهما-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

الطلاق وما يترتب عليه في ضوء سورة الطلاق (الجزء الأول)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أما بعد :

أيها الناس، إن الحياة الزوجية، لا تسلم من المشكلات الأسرية، ولا من الخصام بعد الوئام، ولا من الاختلاف بعد الائتلاف، وربما تصل أحياناً إلى الانفصام بعد الائتئام، والحرب العائلية، بعد العيش في سلام الحياة الوردية.

وقد تكون النهاية لهذا التنازع والشقاق هي: اللجوء إلى الفراق والطلاق.

وفي هذه الحال التي آلت إليها الحياة الزوجية يسجل الإسلام أحكاماً وأدباً تختم بها هذه العشرة الإنسانية، وتقوِّض بها سوق هذه الشركة الصغيرة، هذا إن صار

الطلاق بائناً، وأما إن كان طلاقاً رجعيّاً فهي من أسباب عودة الصحبة، ومراعاة أمر الله فيها.

وفي كتاب الله تعالى سورة عُثِيت بهذا الموضوع، اسمها سورة الطلاق.

وتسمى هذه السورة أيضاً بسورة النساء القصرى، كما روى البخاري عن ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ لأنها تضمنت أحكاماً تتعلق بالنساء ذكرتها تمييزاً لما تناولته سورة النساء الطولى - وهي سورة البقرة - من أحكام العدد وغيرها من أحكام النساء.

وسورة الطلاق - معشر المسلمين - سورة مدنية قليلة في آياتها؛ إذ بلغت ثنتي عشرة آية، منها سبع آيات متواليات تتعلق بموضوعنا هذا.

قال بعض أهل العلم: "الغرض من آيات هذه السورة تحديد أحكام الطلاق وما يعقبه من العدة والإرضاع والإنفاق والإسكان. والإيحاء إلى حكمة شرع العدة. والنهي عن الإضرار بالمطلقات والتضييق عليهن. والإشهاد على التطلاق وعلى المراجعة. وإرضاع المطلقة ابنها بأجر. والأمر بالائتثار والتشاور بين الأبوين في شأن أولادهما. وتحلل ذلك الأمر بالمحافظة الوعد بأن الله يؤيد من يتقي الله ويتبع حدوده، ويجعل له من أمره يسراً، ويكفر عنه سيئاته. وأن الله وضع لكل شيء حكمه، لا يعجزه تنفيذ أحكامه..." (1).

وفي هذه الخطبة - بعون الله - ستناول الحديث عن الطلاق وما يترتب عليه من أحكام في ضوء هذه السورة الكريمة.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: 1].

(1) التحرير والتنوير (28/293-294).

عباد الله، إن الطلاق يعني: إنهاء العلاقة الزوجية، وتفكيك عرى رابطة مجتمعية، ويترتب عليه أضرار على الزوج والزوجة والأولاد- إن كان هناك أولاد-. بل يكون على الزوجة وأولادها أشد ضرراً؛ فالزوجة قد تبقى أيمًا بلا زوج، وفي هذه الحال تواجه أنواعاً من العناء، أو قد تتزوج، ولكن لن تصادف راحتها كما كانت، والأولاد لن يلقوا مثل أمهم في حرصها وعطفها وتربيتها.

ولهذا حرصت الشريعة على حفظ هذه الرابطة من الانفصال، إلا في الحالات الضيقة التي لا يكون الحل فيها إلا الطلاق، وآخر الدواء الكي.

فلذلك كان الطلاق المشروع مقيداً بثلاثة قيود:

1- أن يكون الطلاق لحاجة مقبولة، أما إذا كان بدون ذلك فلا، وقد اختلف الفقهاء: هل الأصل في الطلاق الحظر أو الإباحة؟ لكن على الزوج العاقل أن لا يوقع الطلاق إلا بموجب صحيح، وعلى الزوجة أيضاً أن لا تسأله إلا لسبب مقبول أيضاً.

والقيود الثاني: أن يكون مفرقاً ليس بأكثر من واحدة، فإذا جمع الزوج الطلقات الثلاث مرة واحدة بلفظ واحد فقد خالف المشروع، وقد اختلف العلماء في وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد، فذهب الجمهور إلى وقوعه، وذهب بعض العلماء إلى عدم وقوعه حتى يكون مفرقاً.

والقيود الثالث: أن يكون في طهر لم يجامعها فيه⁽¹⁾.

وهذا القيد هو الذي تحدث عنه أول آية في سورة الطلاق، فقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، **معناه:** طلقوهن عند ابتداء عدتهن وهو الطهر غير المجامع فيه،

(1) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته (376/9)، بتصرف.

"واللام في (لعدتهن) لام التوقيت وهي بمعنى عند" (1)، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾: لا يطلقها وهي حائض، ولا في طهر قد جامعها فيه، ولكن: يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة" (2).

قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبدالرحمن بن أيمن يسأل ابن عمر - وأبو الزبير يسمع ذلك -: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضاً؟ فقال: طلق ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر رسول الله ﷺ؟ فقال: إن عبدالله بن عمر طلق امرأته وهي حائض؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ليراجعها) فردها. وقال: (إذا طهرت فليطلق أو ليمسك) قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: 1] (3).

فتبين من هذا -معشر المسلمين- أن الطلاق ممنوع في حالين: في حال الحيض، وفي حال الطهر المجامع فيه، فإذا حصل الطلاق في أحدهما فهل يقع أو لا؟ قولان للفقهاء، والراجح أنه يقع، لكن مع الإثم.

والحيضة التي وقع فيها الطلاق لا تحسب من الثلاث، بل تستقبل المرأة ثلاث حيض بعدها.

وكذلك من طلقت في نفاسها فإنها تستقبل ثلاث حيض بعد طهارتها وبذلك تنتهي عدتها.

(1) التحرير والتنوير (28/295).

(2) تفسير الطبري (23/436).

(3) رواه مسلم.

وقد يقول قائل منكم: ما الحكمة في منع الطلاق أثناء الحيض، والطهر المجامع فيه؟

أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة منها أن المرأة: "إذا كانت حائضاً لم تعدد بأيام حيضها عن عدتها، بل تزيد على ثلاثة أقراء، فتطول العدة عليها حتى تصير كأنها أربعة أقراء، وهي في الحيض الذي طلقت فيه في صورة المعلقة التي لا هي معتدة ولا ذات بعل، والعقول تستقبح الإضرار، وإذا كانت طاهرة مجامعة لم يؤمن أن قد علقت من ذلك الجماع بولد، ولو علم الزوج لم يطلقها، وذلك أن الرجل قد يرغب في طلاق امرأته إذا لم يكن بينهما ولد، ولا يرغب في ذلك إذا كانت حاملاً منه بولد، فإذا طلقها وهي مجامعة - وعنده أنها حائل في ظاهر الحال ثم ظهر بها حمل - ندم على طلاقها. ففي طلاقه إياها في الحيض سوء نظر للمرأة، وفي الطلاق في الطهر الذي جامعها فيه - وقد حملت فيه - سوء نظر للزوج، فإذا طلقت وهي طاهر غير مجامعة أُنْ أَمِنْ هَذَا الْأَمْرَانِ (1).

وكذلك أن: زمان الحيض زمان النفرة وتغير أخلاق المرأة، فقد يحمل ذلك الزوج على الطلاق، وبالجماع مرة في الطهر تفر الرغبة فيؤدي ذلك إلى استسهال الطلاق (2).

فأما إذا كانت المرأة على طهر لم تجامع فيه، أو كانت حاملاً قد استبان حملها فيجوز طلاقها، وكذلك الزوجة إذا كانت غير مدخول بها؛ لأنه لا عدة عليها، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ [الأحزاب: 49].

عباد الله، ثم قال تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾، وهذا أمر من الله تعالى بإحصاء العدة، والمعنى: احفظوا ابتداءها وانتهاءها؛ حتى لا تزيد المدة ولا تنقص، والحكمة

(1) تفسير الرازي (559/30).

(2) الفقه الإسلامي وأدلته (379/9) بتصرف.

من ذلك: لما يترتب على العدة من أحكام كالرجعة والسكنى والميراث وحل الزواج.

والمخاطب بالإحصاء: الأزواج الذين تلزمهم الحقوق والمؤن، ولكن الزوجات داخلات في الأمر بالإلحاق بالزوج؛ لأن الزوج يحصي ليراجع، وينفق أو يقطع، وليُسكن أو يُخرج، ويلحق نسبه أو يقطع. وهذه كلها أمور مشتركة بينه وبين المرأة، وتنفرد المرأة دونه بغير ذلك⁽¹⁾.

وكذلك يدخل في الخطاب الزوجات وأولياؤهن.

ثم قال الله تعالى: ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ [الطلاق: 1].

تضمنت هذه الجملة من الآية النهي عن إخراج المطلقات أو خروجهن من بيت الزوجية، وبيان حكمة من حكم هذا النهي، وهذا فيه بالمفهوم الأمر بالسكنى للمطلقة.

وبيان ذلك على التفصيل الآتي:

أولاً: "مكان العدة من طلاق أو فسخ أو موت هو بيت الزوجية التي كانت تسكنه قبل مفارقة زوجها، وقبل موته، أو عندما بلغها خبر موته، وتستتر فيه عن سائر الورثة ممن ليس بمحرم لها. فإذا كانت في زيارة أهلها فطلقها أو مات، كان عليها أن تعود إلى منزلها الذي كانت تسكن فيه للاعتداد وإن كانت في غيره فالسكنى في بيت الزوجية وجبت بطريق التعبد، فلا تسقط ولا تتغير إلا بالأعذار"⁽²⁾.

ثانياً: لا يجوز للزوج إخراج مطلقته رجعيًا من منزل الزوجية حتى تنقضي عدتها، إلا بموجب شرعي سيأتي ذكره؛ فإن للزوجة حق السكنى وحق النفقة ما دامت في

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (8/143)، تفسير ابن جزي (3/186) تفسير القرطبي (18/153-154)، تفسير الرازي (30/559).

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية (29/347).

عدتها، و" إضافة البيوت إليهن إضافة سكن وقرار فيها مدة العدة، فلا يجوز في الشرع ولا في الأخلاق وحسن العشرة أن تطرد المطلقة الرجعية وتخرج من بيتها، إلا إذا ارتكبت ما يستوجب إخراجها" (1).

وقد أضاف البيوت إليهن أيضاً "مع أنها للأزواج؛ لتأكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكانها، كأنها أملاكهن" (2).

"فإذا كان البيت مكترى سكنته المطلقة وكراؤه على المطلق، وإذا انتهى أمد كرائه فعلى المطلق تجديده إلى انتهاء عدة المطلقة." (3).

وكما لا يجوز للزوج إخراج مطلقة الرجعية من البيت فكذا لا يجوز للزوجة الخروج بنفسها.

"لما في خروجها من إضاعة حق الزوج وعدم صونه" (4)، وهذا "يقتضي أنه حق على الزوجات لله تعالى ولأزواجهن، فالعدة حق الله تعالى، والحق الذي لله تعالى لا يسقط بالتراضي؛ لعدم قابليته للإسقاط، وهذا هو الأصل، إلا للأعذار وقضاء الحاجات" (5).

"ويستمر هذا النهي عن الخروج من البيوت، والإخراج إلى تمام العدة" (6).

"فإذا خرجت أثمت، وللزوج في حال الطلاق أو الفسخ منعها، ولورثته كذلك من بعده، ولا يجوز للزوج أو ورثته إخراجها من مسكن النكاح ما دامت في العدة وإلا

(1) فتاوى الشبكة الإسلامية (4044/3).

(2) البحر المديد (66/7).

(3) التحرير والتنوير (299/28).

(4) تفسير السعدي (ص: 869).

(5) الموسوعة الفقهية الكويتية (348/29).

(6) تفسير السعدي (ص: 869).

أثموا بذلك؛ لإضافة البيوت إليهن⁽¹⁾.

ثالثاً: خروج المرأة من بيت الزوجية أثناء العدة إما أن يكون خروجاً متصلاً بأن تفارق بيت زوجها إلى بيت أهلها، وإما أن يكون خروجاً متقطعاً بأن تخرج إلى بيوت الجيران أو الأسواق أو غير ذلك من الأماكن ثم تعود. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ يشمل النهي عن ذلك كله، فأما النهي عن الخروج إلى بيت أهلها فلما في البقاء في بيت زوجها أثناء العدة من أمل مراجعة الزوج، فقد يشاق إليها ويندم على طلاقها، ويحس بمضار فراقها، فعند ذلك يسارع إلى مراجعتها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ **قال** ابن عباس: يريد الندم على طلاقها والمحبة لرجعتها في العدة⁽²⁾. **أي:** يحدث رغبة للزوج بإرجاع زوجته، فأخراجها يقطع هذا الأمل ويضعفه، ويوسع فجوة الخلاف بحيث يصعب العلاج⁽³⁾.

وهو دليل على أن المستحب في التطليق أن يوقع متفرقاً، فإذا طلقها ثلاثاً في وقت واحد فلا معنى في قوله: ﴿وَلَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾⁽⁴⁾.

رابعاً: من الحكم أيضاً في النهي عن خروج الزوجة وخروجها من بيت الزوجية أثناء العدة: "أن المطلقة يكثر التفات العيون لها، وقد يتسرب سوء الظن إليها، فيكثر الاختلاف عليها، ولا تجد ذا عصمة يذب عنها؛ فلذلك شرعت لها السكنى، ولا تخرج إلا لحاجياتها، فهذه حكمة من قبيل المظنة، فإذا طرأ على الأحوال ما أوقعها في المشقة،

(1) الموسوعة الفقهية الكويتية (348/29).

(2) تفسير الرازي (561/30).

(3) فتاوى الشبكة الإسلامية (4044/3).

(4) تفسير الرازي (561/30).

أو أوقع الناس في مشقة من جرائها أخرجت من ذلك المسكن، وجرى على مكثها في المسكن الذي تنتقل إليه ما يجري عليها في مسكن مطلقها. ومن الحكم أيضاً في ذلك: أن المطلقة قد لا تجد مسكناً؛ لأن غالب النساء لم تكن لهن أموال، وإنما هن عيال على الرجال، فلما كانت المعتدة ممنوعة من التزوج كان إسكانها حقاً على مفارقتها؛ استصحاباً للحال حتى تحل للتزوج فتصير سكنها على من يتزوجها⁽¹⁾.

خامساً: يجوز للزوجة المطلقة رجعيّاً أن تخرج من بيت زوجها لضرورة كاستشفاء من مرض، أو حاجة؛ كدراسة أو وظيفة أو جلب حاجة لا يوصلها إليها غيرها، ثم تعود إليه.

لحديث جابر بن عبد الله قال: طلقت خالتي فأرادت أن تجد نخلها فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النبي ﷺ فقال: (بلى، فجدي نخلك؛ فإنك عسى أن تصدّقي أو تفعلي معروفاً)⁽²⁾.

ويكون خروجها "في الأوقات المأمونة، وذلك يختلف باختلاف البلاد والأزمنة، وفي غيرها في طرفي النهار، ولكن لا تبیت إلا في مسكنها"⁽³⁾.

سادساً: استثنى الله تعالى من جواز إخراج الزوجة من بيت الزوجية أثناء العدة حصول الفاحشة البينة منها فقال تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾، والفاحشة البينة هي: "المعصية، وذلك أن الفاحشة هي كل أمر قبيح تعدّى فيه حدّه، فالزنى من ذلك، والسرقة والبذاء على الأحماء، وخروجها متحوّلة عن منزلها الذي يلزمها أن تعتدّ فيه منه، فأی ذلك فعلت وهي في عدتها،

(1) التحرير والتنوير (304/28).

(2) رواه مسلم.

(3) الموسوعة الفقهية الكويتية (349/29).

فلزوجهها إخراجها من بيتها ذلك؛ لإتيانها بالفاحشة التي ركبها" (1).

ويكون إخراجها بسبب ذلك هو الصواب؛ لأن بقاءها "في جوار أهل البيت يفضي إلى تكرار الخصام، فيكون إخراجها من ارتكاب أخف الضررين" (2).

سابعاً: أن هذه الآية في المطلقة رجعيّاً؛ بدليل نهاية الآية: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ وهذا الأمر هو المراجعة. "عن ابن عباس، قال: هي المطلقة لا تخرج من بيتها، ما دام لزوجهما عليها رجعة، وكانت في عدّة" (3).

أما المطلقة طلاقاً بائنًا فلا نفقة لها ولا سكنى إلا أن تكون حاملاً؛ "ولأن السكنى تابعة للنفقة وجارية مجراها، فلما لم تجب للمبتوتة نفقة لم يجب لها سكنى" (4)؛ ولهذا لا ينهى عن إخراجها وخروجها من المنزل عند الطلاق البائن.

وذهب بعض العلماء إلى أن البائن تلزم بيت مطلقها حتى تنقضي عدتها، بشرط أن لا يلتقي بها؛ لأن ذلك أبعد عن اختلاط المياه، وإلحاق النسب بمن ليس له.

ولكن هذا في حق الزوجين اللذين لديهما خشية الله؛ لأن من لم يكن كذلك فقد يحضرهما الشيطان، ويرتكبان ما حرم الله بعد انفصال عقد الزوجية.

فلهذا كان الأولى أن يباعد بين الزوجين بعد حصول الطلاق البائن.

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في الدين، ويرزقنا العمل الكامل بشرع رب العالمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

(1) تفسير الطبري (440/23).

(2) التحرير والتنوير (301/28).

(3) تفسير الطبري (437/23).

(4) تفسير القرطبي (167/18).

الخطبة الثانية

الحمد لله لا شريك له، والصلاة والسلام على خير نبي أرسله، أما بعد:

أيها المسلمون، ثم يقول الله تعالى في سورة الطلاق: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق:2].

بعد أن ذكر الله في الآية الأولى ما ينبغي أثناء عدة الطلاق الرجعي؛ ذكر في هذه الآية أمرين:

الأمر الأول: ما على الزوج فعله إذا قاربت زوجته انتهاء عدتها.

والثاني: الإشهاد على الرجعة.

فأما الأمر الأول: فإنه سبحانه وتعالى قد أمر الأزواج المطلَّقين -أمر إباحة- أن يختاروا مع زوجاتهم المعتدات أحد الأمرين: إما الرجعة، وإما ترك الرجعة والفرار.

وتأملوا- أيها الأحباب -في الجمل الواردة في هذا الأمر في هذه الآية، تجدوا **الآتي:**

أولاً: قوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ ليس معناه: أمسكوهن أو فارقوهن بعد انقضاء عدتهن؛ لأن هذا لا يمكن؛ إذ قد انتهى وجه المراجعة بانتهاء العدة، و"لأنه لا تتصور المراجعة بعد بلوغ الأجل؛ لأن في ذلك رفع معنى التأجيل". ولكن المعنى: "شارف على انقضاء العدة وقارب ذلك، ولكن لم تفرغ العدة بالكلية، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها، وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده... وإما أن يعزم على مفارقتها" ⁽¹⁾ "والقاعدة: أن ما قارب الشيء يعطى حكمه كما

(1) تفسير ابن كثير (8/145).

في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]، ومثل الآية: الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)، مع أنه عند الإتيان أو أثناءه لا يحق له أن يقول ذلك، وإنما يقوله إذا قارب دخوله، فكَذلك هنا⁽¹⁾.

"وقد استعمل البلوغ في هذه الآية في مقاربة ذلك الانتهاء؛ مبالغة في عدم التسامح فيه"⁽²⁾.

ثانيًا: عبر عن المراجعة بالإمساك: "للإيماء إلى أن المطلقة الرجعية لها حكم الزوجة، فكأنه لما راجعها قد أمسكها أن لا تفارقه، فكأنه لم يفارقها؛ لأن الإمساك هو الضن بالشيء وعدم التفريط فيه"⁽³⁾.

ثالثًا: أنه تعالى قيد الإمساك والمفارقة بالمعروف. فالمعروف في الإمساك: أن يصير محسنًا إليها في صحبتها، وقائمًا بحُسن معاشرته وإنفاقٍ لائق، وحسن لقاء واعتذار لها عما فرط، وعودٍ إلى حسن الصلابة⁽⁴⁾.

وأما المفارقة بالمعروف فهي: أن يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن، من غير مقابحة ولا مشاقمة ولا تعنيف، وبلا ضرار. ويتصور الضرر بأن يراجعها في آخر العدة، ثم يطلقها تطويلًا للعدة وتعذيبًا لها. ومن المعروف: كف اللسان عن غيبتها وإظهار الاستراحة منها⁽⁵⁾.

(1) أضواء البيان (212/8).

(2) التحرير والتنوير (307/28).

(3) التحرير والتنوير (308/28).

(4) تفسير ابن كثير (145/8)، البحر المديد (67/7)، التحرير والتنوير (308/28).

(5) تفسير ابن كثير (145/8)، تفسير الرازي (561/30)، التحرير والتنوير (308/28).

رابعاً: قال بعض العلماء: "وتقديم الإمساك - أعني المراجعة - على إمضاء المفارقة؛ إيماء إلى أنه أَرْضَى اللهُ تعالى، وأوفق بمقاصد الشريعة، مع ما تقدم من التعبير عن المراجعة بالإمساك، ففهم أن المراجعة مندوب إليها" (1).

أيها الأحباب الفضلاء، والأمر الثاني في هذه الآية هو: الإشهاد على الرجعة، فقال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، وهذا الإشهاد مستحب على الصحيح، وليس بواجب، فتصح الرجعة ولو بدون إشهاد، لكن الإشهاد أحسن؛ قطعاً للنزاع، وسداً لباب الخصام، وحفظاً من النسيان.

فيا عباد الله، اعلّموا ما في هاتين الآيتين من الأحكام، ومن طلق زوجته طلاقاً رجعيّاً فليتق الله فيها، بأن يعمل بهذه الأحكام الشرعية في طلاقها وعدتها؛ فإن ذلك من تقوى الله تعالى.

وللحديث بقية، سنستوفيه - إن شاء الله - في خطبة الجمعة القادمة.

نسأل الله لنا ولكم العلم النافع، والعمل الصالح.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشر...

الطلاق وما يترتب عليه في ضوء سورة الطلاق (الجزء الثاني)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَقَاتِيهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أما بعد :

أيها المسلمون، تحدثنا في خطبة الجمعة الماضية عن الطلاق في سورة الطلاق، وذكرنا زمنه المشروع وزمنه الممنوع، وما على الزوج والزوجة عمله إذا حصل الطلاق الرجعي، وما ينبغي فعله وما لا ينبغي أثناء العدة واقترابها من الانتهاء. وقد أخذ ذلك من آيات السورة آيتين.

واليوم -بعون الله- سنأخذ بقية آيات السورة التي نتحدث عما يترتب عليه الطلاق، وسنجعل الكلام اليوم عن بقية الأحكام في هذا الموضوع، وعن الوصايا التي

حفلت بها الآيات السبع الأولى من هذه السورة، والتي أخلصت للحديث عن الطلاق وما يترتب عليه من أحكام.

أيها الأحبة الفضلاء، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:4].

تضمنت هذه الآية الكريمة من الأحكام: بيان عدة ثلاثة أنواع من النساء وهي عدد: الأيسة، والصغيرة، والحامل.

والنساء في باب العدة أنواع وهي: **المطلقة** غير الحامل، وعدتها ثلاثة قروء -أي: ثلاث حيض -كما قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة:228].

والمتوفى عنها زوجها وهي غير حامل، وعدتها: أربعة أشهر وعشر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:234].

والمختلعة، وعدتها حيضة واحدة؛ لحديث الربيع بنت عفاء في قصة امرأة ثابت بن قيس، وفيه: (... فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتربص حيضة واحدة فتلحق بأهلها) ⁽¹⁾.

وفي هذه الآية من سورة الطلاق بين الله تعالى عدد ثلاثة أنواع من النساء إذا طُلِّقن:

(1) رواه النسائي، وهو صحيح.

النوع الأول: الآيسات، -وهن اللاتي قد انقطع عنهن الحيض؛ لكبرهن- (1). "بأن كن يحضن، ثم ارتفع حيضهن، لكبر أو غيره، ولم يرج رجوعه، فإن عدتها ثلاثة أشهر، جعل لكل شهر مقابلة حيضة" (2). و"سواء كان اليأس منه بعد تعدده، أو كان بعدم ظهوره، أي: لم يكن انقطاعه لمرض أو إرضاع. وهذا السن يختلف تحديده باختلاف الذوات والأقطار، كما يختلف سن ابتداء الحيض كذلك" (3).

النوع الثاني: الصغيرات، وهن اللاتي لم يأتهن الحيض؛ لصغرهن، فطلقن بعد الدخول بهن، فعدة كل واحدة ثلاثة أشهر أيضاً.

النوع الثالث: الحوامل، والحامل هنا هي التي طلقها زوجها أو مات عنها أو اختلعت منه؛ فعدتها: وضع حملها، طالت المدة أو قصرت، ويدل على هذا من السنة أيضاً: حديث المسور بن مخرمة: أن سبيعة الأسلمية نفست بعد وفاة زوجها بليال، فجاءت النبي ﷺ فاستأذنته أن تنكح، فأذن لها، فنكحت (4).

ومعنى ذلك: أن المرأة إذا ولدت بعد طلاق زوجها أو موته أو خلعها؛ فقد انتهت عدتها، ويحل دخول من تزوجها بها بعد أن تطهر من دمها، بل يحل له أن يعقد عليها ولو كانت في نفاسها، لكن لا يدخل بها إلا بعد أن تطهر.

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾: إن شككتكم في حكم عدتهن فلم تدرؤا كم تكون العدة؟ بعد أن عرفتم عدة المطلقات اللاتي يحضن، وعدة المتوفى عنها زوجها في سورة

(1) تفسير ابن كثير (8/149).

(2) تفسير السعدي (ص: 871).

(3) التحرير والتنوير (28/315).

(4) متفق عليه.

البقرة من قبل؛ فهذه عدة بقية النساء وهن الصغيرات والكبيرات.

ويدل على هذا حديث عمرو بن سالم عن أبي بن كعب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من عدد النساء لم يُذكرن: الصغار والكبار، وذوات الأحمال، فأنزل الله عز وجل الآية: ﴿وَاللَّائِي يَرْضَيْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 4] ⁽¹⁾.

وعن إسماعيل ابن أبي خالد قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَاللَّائِي يَرْضَيْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾؛ سألوا النبي **ﷺ** فقالوا: يا رسول الله، أرايت التي لم تحض، والتي قد يئست من المحيض، فاختلفوا فيها؛ فأنزل الله - تعالى -: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ يقول: إن شككتن فعدتهن ثلاثة أشهر، واللّائِي لم يحضن بمنزلتهن، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ⁽²⁾.

أيها المسلمون، ثم يقول الله تعالى في هذه السورة الكريمة في بيان ما يترتب على الطلاق: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ فَسَرِّضْهُ لَهَا أُخْرَى﴾ [الطلاق: 6].

(1) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(2) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" وابن المنذر؛ كما في "الدر المنثور" وهذا مرسل صحيح الإسناد. ينظر:

الاستيعاب في بيان الأسباب (432/3).

تضمنت هذه الآية الكريمة من أحكام عدة المطلقات ثلاثة أحكام:

الحكم الأول: سكنى المطلقات، وقد قال فيه تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾، والمعنى: أسكنوا مطلقات نساءكم من الموضع الذي سكنتم، من سعتكم التي تجدون، أي: في البيوت التي تسكنونها، ولا يكلف المطلق بمكان للمطلقة غير بيته ولا يمنعها السكنى بيته. وهذا تأكيد لقوله: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾؛ فإن كان موسعاً عليه وسع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيراً فعلى قدر ذلك.

ثم أتبع الأمر بإسكان المطلقات بنهي عن الإضرار بهن في شيء مدة العدة: من ضيق محل، أو تقتير في الإنفاق - فيحتجن للخروج بسببه -، أو مراجعة يعقبها تطليق لتطويل العدة عليهن؛ قصداً للنكاح والتشفي (1).

واعلموا - معشر المسلمين - أن السكنى إنما تجب للمطلقة طلاقاً رجعيّاً، وليس للمطلقة طلاقاً بائناً - ما لم تكن حاملاً -؛ لحديث فاطمة بنت قيس قالت: "طلقني زوجي ثلاثاً فلم يجعل لي رسول الله ﷺ سكنى ولا نفقة" (2).

وفي رواية: (انظري يا بنت آل قيس، إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة، فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى) (3).

الحكم الثاني: حكم النفقة على المطلقة الحامل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ

(1) ينظر: التحرير والتنوير (28/326-327)، الوجيز للواحدي (ص: 1108)، تفسير الطبري (23/59)،

61، فتح القدير للشوكاني (5/292).

(2) متفق عليه.

(3) رواه أحمد والنسائي، وهو صحيح.

فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴿١﴾، والمقصود بالحامل هنا التي يجب لها النفقة: الحامل المطلقة طلاقاً بائناً، أما المطلقة طلاقاً رجعيّاً فتجب لها النفقة سواء كانت حائلاً أم حاملاً؛ لأنها ما زالت زوجة.

وأما إذا كانت الحامل متوفى عنها زوجها فلا تجب لها نفقة ولا سكنى على ورثة الميت ولا من تركته، وإنما النفقة والسكنى من نصيبها، ونصيب جنيها من التركة (١). لكن إن جرى العرف بين الناس على التسامح في النفقة عليها وسكناها ورضي الورثة بذلك، ورأوا ذلك من تمام المعروف فهو أفضل.

الحكم الثالث: نفقة الرضاع، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾.

فقد أمر الله تعالى -أيها الأحبة- في هذه الجمل من الآية الكريمة الزوج بإيتاء مطلقته البائن منه أجرة إرضاع مولوده، ويشمل ذلك النفقة على الزوجة المرضعة ومؤن الإرضاع؛ كالدواء واللباس وواقيات الأذى، وإذا انقطع حليب الأم -كما هو الحاصل غالباً في عصرنا- شرى الأب لولده حليياً صناعياً.

ثم أمر تبارك وتعالى بالائتمار بالمعروف بين الزوج وزوجته وأوليائها فقال: ﴿وَأَتِمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ **والعنى:** "ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف، والخطاب للأزواج من النساء والرجال، والمعروف هاهنا: أن لا يقصر الرجل في حق المرأة ونفقتها، ولا هي في حق الولد ورضاعه" (٢).

ثم بين تعالى بعد هذا الحَلَّ عند اختلاف الرجل ومطلقته في الإرضاع فقال تعالى:

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٦/٢٧٤)، فتاوى الشبكة الإسلامية (٣/٣٩٩٣).

(٢) تفسير الرازي (٣٠/٥٦٤).

﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَزْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾، **والمعنى:** "وإن تعاسر الرجل والمرأة في رضاع ولدها منه، فامتنعت من رضاعه، فلا سبيل له عليها، وليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبي مرضعة غير أمه البائدة منه" (1).

فمعنى ﴿تَعَاسَرْتُمْ﴾: اشتد الخلاف بينكم، ولم ترجعوا إلى وفاق، أي: فلا يبقى الولد بدون رضاعة" (2).

ولا يجوز إجبار الأم على رضاع ولدها من مطلقها، بل ذلك راجع إلى رضاها، **قال بعض العلماء:** "ولها حينئذ أن ترضع الولد، ولها أن تمتنع منه، ولكن بعد أن تغذيه باللبأ -وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للولد غالباً إلا به- فإن أرضعت استحقت أجر مثلها، ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجرة" (3).

أيها الأحباب الكرام، ثم قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7].

في هذه الآية الكريمة بيان دستور الإنفاق على المطلقات، فتأملوا -رحمكم الله- في هذا الحكم ماذا ذكر الله فيه وكيف ذكره؟

فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية الأمر بالإنفاق، وتحديد به باختلاف يسر المطلق وعسره، والعذر لمن كان فقيراً في إنفاقه على قدر حاله، والبشارة بتبدل العسر إلى يسر.

والمعنى: لينفق الزوج -أو وليه -على زوجته وولده الصغير على قدر وسعه إذا كان

(1) تفسير الطبري (461/23).

(2) التحرير والتنوير (330/28).

(3) تفسير ابن كثير (153/8).

موسعاً عليه، ومن ضُيِّقَ عليه رزقه فيقدر النفقة بحسب حال المنفق، والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة. وهي تختلف باختلاف أحوال الناس والأزمان والبلاد. فلا يكلف الزوج ما لا يطيق، ولا تضيع الزوجة، بل يكون الحال معتدلاً⁽¹⁾.

فاتقوا الله -عباد الله- في زوجاتكم؛ أدوا إليهن حقوقهن المشروعة؛ فإن ذلك أمر الله أنزله إليكم، وإياكم والتقصير في ذلك؛ فإن ذلك من الظلم الذي لا تقره شريعة، ولا خلق كريم.

ومن طلق زوجته فليعلم هذه الأحكام؛ حتى لا يقع في معصية الله وهو لا يشعر.

فرحم الله امرءاً علم فعمل، وسأل إن لم يعلم؛ فإنما شفاء العي السؤال.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

(1) تفسير الطبري (462/23)، التحرير والتنوير (331/28)، تفسير ابن جزي (192/3).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه المستكملين الشرفا، أما بعد:

أيها المسلمون، إنكم لو تدبرتم الآيات السبع الأولى من سورة الطلاق لرأيتم أن أحكامها قد سقت إلينا مصحوبة بوصايا إلهية تكون مرغبة في العمل بتلك الأحكام، ومرهبة من تركها والتهاون فيها.

وهذه لفظة مهمة تنبغي العناية بها في الأوامر والنواهي الشرعية الفقهية؛ لأنها تعين على امتثال الواجبات، وتبعد عن ركوب المنهيات.

فمن الوصايا المهمة التي ذكرتها الآيات الأولى من سورة الطلاق: التقوى، وهي إرشاد عظيم إلى ملازمتها في كل أحكام الطلاق، فمن اتقى الله فلن يخالف أمره ونهيه، ففي الآية الأولى لما ذكر الله تعالى الأمر بطلاق النساء في زمن مشروعيته، ونهى عن إخراجهن؛ ذكر أثناء ذلك قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾؛ تحذيراً من التساهل في أحكام الطلاق، ولزيادة التحذير ذكر بعد لفظ الجلالة قوله: ﴿رَبَّكُمْ﴾، ولأن "لفظ الرب ينبههم على أن التربية التي هي الإنعام والإكرام بوجوه متعددة غاية التعداد، فيبالغون في التقوى حينئذ خوفاً من فوت تلك التربية" (1).

وفي الآية الثانية والثالثة والرابعة والخامسة ذكر تعالى فائدة التقوى بأسلوب الشرط، فذكر من فوائد مراعاة التقوى في أحكام الطلاق وغيرها من الأقوال والأعمال:

(1) تفسير الرازي (561/30).

- الخروج من الضيق والكرب.

- وتيسير أسباب الرزق مما لا يخطر للمتقي على بال.

- وتيسير الأمور.

- وتكفير السيئات.

- وإعظام الأجر.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2-3]. وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4]. وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5].

وهذا كله حث للأزواج على أن يتقوا الله في كل هذه الأحكام، ووعد لهم بأن تقواهم ستعقب لهم خيراً كثيراً.

والوصية الثانية: التخويف من تجاوز حدود الله وهي شرائعه ومحارمه، وأن ذلك التجاوز يؤدي إلى ظلم النفس باكتسابها الأوزار، فقال تعالى في الآية الأولى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: 1].

والوصية الثالثة: الحث على امتثال هذه التشريعات بوصف ممثلها أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، فمن لم يمثلها فليراجع إيمانه، فقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الطلاق: 2].

والوصية الرابعة: أن تكون شهادة الشاهد لله "أي: لأجل الله وامتنال أمره، لا لأجل المشهود له ولا لأجل المشهود عليه، ولا لأجل منفعة الشاهد والإبقاء على

راحته" (1). فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق:2].

والوصية الخامسة: الحث على الثقة بالله في حسن عاقبة امتثال أوامره؛ فقد يظن بعض من اتقى الله في هذه الأحكام أنه سيخسر بعض مصالحه، فجاء الحث من الله على تفويض الأمر إليه، فمن فعل ذلك كفاه الله جميع أمره، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:3].

الوصية السادسة: استشعار المهابة في القلوب بكون هذه الأحكام من أمر الله الذي يوجب

الاهتمام "برعايته والعمل به، وبعث الناس على التنافس في العلم به؛ إذ قد اعتنى الله بالناس حيث أنزل إليهم ما فيه صلاحهم" (2). فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق:5].

فيا عباد الله، اعملوا بهذه الوصايا؛ حتى تدفعكم إلى العمل بحكم الله في هذه الأحكام المتعلقة بالطلاق في سورة الطلاق.

واعلموا- رحمكم الله - أن المسارعة إلى العمل بشرع الله، والتأدب بآدابه يورث سعادة الدنيا والآخرة، وما من إلا ويرجو هذا المنال، ويطمع في هذا النوال. نسأل الله أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

هذا وصلوا وسلموا على خير الأنبياء محمد...

(1) التحرير والتنوير (310/28).

(2) التحرير والتنوير (324/28).

الفرصة الفرصة (□)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، كم في هذه الحياة من عجائب تحير أذهان العقلاء المؤمنين، وغرائب تدهش أحلام الحكماء الصالحين، ألا وإن منها عجيبة غريبة تدعوهم إلى الحزن والألم يوم يرون أكثر الناس في غيهم سادرين، وعن آخرتهم غافلين، لم يعتبروا بتقلب الزمان وسرعته، وفناء العمر وقصر مدته، وهجوم الموت وفجأته، واختلاف أطوار الحياة ومرور يد التبديل على أحوال أهلها فيها، فكأنهم خلَقوا للدنيا ليخلدوا عليها، ولو أيقنوا بالانتقال منها فكأنهم لا يُحاسبون على ما قدموا على ظهرها!!.

إن الحياة الدنيا فرصة واحدة لا تتكرر لأهلها، ومدة يسيرة ما أسرع ما تنتقضي، فهل من عاقل يستغل هذه المهلة وما فيها من فرص، ويخرج منها بالظفر بالنجاة والمخلص؟.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان: 33].

عباد الله، كم يُحزن الغيورَ تضييعُ كثير من المسلمين فرصَ الخير المتاحة لهم في هذه الحياة، وكثرةُ تهافتهم على انتهاز فرص الشر والضرر فيها، ويحتجّ أحسنهم حالاً بأن الحياة طويلة، وأيام التعويض ممكنة، وباب التوبة مفتوح، والرب غفور رحيم! ويا له من احتجاج متهافت لم يوافق مكانه، ولم يُبَحْ للمضيّع ضياعه وخسرانه.

قال بعض الصالحين: "واعجباً من موجود لا يفهم معنى الوجود، فإن فهم لم يعمل بمقتضى فهمه. يعلم أن العمر قصير، وهو يضيعه بالنوم والبطالة، والحديث الفارغ، وطلب اللذات، وإنما أيامه أيام عمل لا زمان فراغ".

كم من شاب أو شابة أضاع شبابه في أودية اللهو واللعب، يرمى فيها شهواته، ويسوّم في أنحائها نزواته، يتتبع مساقط الهوى حيث كانت، ليتضلع من حماتها ثقلاً عن الطاعة، وكرهاً لها، وبعداً عن أهلها، ويناديه الشيطان وهو في ذلك المنتجع الآسن: عش شبابك، وتمتع بحياتك، ويغنيه قول القائل:

إنما الدنيا طعامٌ وشرابٌ ومُــــدامٌ
فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام!

فيصدّقه الشاب الغافل أو الشابة اللاهية، ليقضيا زمن الشباب النفيس في سعي غير مشكور، يعود عليهم بالخسارة والندامة.

فإذا أتى المشيبُ - إن لم يباغت الأجل قبله - يتحسر من فرط في شبابه؛ فقواه في

المشيبي قد ضعفت، وهمته إلى الخير قد فترت، ورصيده من الحسنات قليل، وعزمه إلى السباق إليها قليل. فعند ذلك يرفع صوته قائلاً:

بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ وَلَا النَّحِيبُ
فِيَا أَسْفَا أَسِفْتُ عَلَى شَبَابٍ نَعَاهُ الشَّيْبُ وَالرَّأْسُ الْخَضِيبُ
عَرِيتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكَانَ غَضًّا كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ
فِيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا صَنَعَ الْمَشِيبُ

أيها الأحباب الفضلاء، كم من صحيح صرف صحته في متع الدنيا ومطالبها، ولم يجعل فيها نصيباً لآخرته؛ كصلاة فريضة يحافظ عليها، ونافلة معها يكثر منها، وصيام أيام فاضلة يسارع إليها، وختمات للقرآن متواترة يدوم عليها، وخطى صالحة إلى نفع عباد الله يواصلها، وبينما هو على بطر صحته وأشرها إذ بالأمراض تنزل به، وتحل في أعضائه، فتثقل أركانه، وتتكدر نفسه، وتقصر آماله، وتندره الأسقام بقرب الرحيل، ولقاء الملك الجليل، وحينها يعضّ أصابع الندم على تفريطه أيام عافيته، ويتمنى أن ترجع إليه صحته ليكون من المسابقين إلى الصلاة في المساجد، والمدامين في السحر على القيام، والمكثرين في النهار من الصيام، والساعين بالخير إلى نفع الأنام.

وكم من حي عاش حياته لخدمة دنياه، وتغذية شهواته وهواه، دون أن يفكر بآخرة سيصير إليها، وأعمال قدمها سيحاسب عليها، وربما عاش مراحل العمر كلها في كنف الغفلة والعبث، فشبابه وكهولته ورجولته وشيخوخته وهرمه جعلها وقفاً على طاعة النفس والشیطان، فيا حسرته يوم نزول الموت وسكراته، وانفصام عمره وحياته، وتذكره حينئذ فرصة الحياة وتضييعه لها، وتمنيه الرجوع إلى الدنيا ليغير مسار حياته السالفة الضائعة، ولكن هيهات أن يرجع ما قد فات.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 99-100].

وكم من غني أبطره غناه، وقاده إلى مساخط مولاه، أنفق ماله في لذاته المحرمة، وخطواته الآثمة، لم تعرفه سبل البر بخير قدمه فيها، ولا حاجات الحياة قضاها لأهلها، فرصيده من الخير معدوم أو يسير، ورصيده في الشر متنوع كثير.

وكم من غني أمسك بالبخل ماله، فلا زكاة يؤديها، ولا صدقة يسارع إليها، ولا مواطن خير يقدم من ماله فيها.

فإذا ذهبت السكره وحضرت الفكرة يوم الفقر بعد الغنى، والعجز بعد القدرة، والموت بعد الحياة؛ يقول الغني المسرف في الحرام، والباخل عن حقوق الله وحقوق الأنام: يا ليتني قدمت لحياتي. ولكن لا يُجديه تمنيه، في النجاة مما هو فيه.

فنسأل الله أن يجعلنا من أهل اغتنام فرص الحسنات، المسابقين إلى فعل البر والخيرات.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها المؤمنون، هناك فرص عديدة في هذه الحياة إذا استغلها المسلم نال خيراً كثيراً، وإذا فرط فيها خسر خسراً كبيراً.

فالشباب فرصة عظيمة للإقبال على العمل الصالح والإكثار منه؛ فالقوة موجودة والرغبة مساعدة، فمن استغل هذه الفرصة نشط للعمل وأعانه ذلك على الاستمرار عليه في بقية عمره، فمن شب على شيء شاب عليه.

واياك -أيها الشاب- أن تفكر بطول الأمل، وأن فرص الحياة في المستقبل العمري كثيرة؛ فتدريس طرف الشباب في الخطيئة سيدنس بقية ثوب الحياة، والأجل قد يقطع الأمل.

والعافية غنيمة باردة تعين المرء على فعل الخير، فإذا مرض لم يستطع فعل ذلك، وحضرته ندامته، وأما من استغل فرصة الصحة فسارع إلى الخير فيها فإنه متى مسه السقم لا يندم؛ لأنه يكتب له الأجر على تلك الأعمال التي قطعه عنها المرض.

قال رسول الله ﷺ: (إذا مرض العبد أو سافر؛ كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً) (1).

(1) رواه البخاري وأبو داود.

والغنى فرصة ثمينة يستطيع به المسلم إنفاق المال في وجوه الخير ونفع الخلق به، فإذا لم يفعل ندم حين يفتقر، أو يُحتاج ماله، أو يُحال بينه وبين الصدقة بأي حائل آخر، فيتحسر يوم موانع البذل على أيام القدرة عليه.

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: (أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان)⁽¹⁾.

والفراغ -يا عباد الله- فرصة أخرى يستطيع المسلم أن يملأه بفعل الخير والتزود بالكثير منه، سواء الخير في جانب العبادة، أم الخير في جانب العلم والمعرفة، أم الخير في نفع الناس ومساعدتهم، ولن يسلم الإنسان في هذه الحياة كلما تقدمت به من أعمال وعلاقات وأحوال تضيق عليه وقته، وتذهب بزمان يومه وليلته كله، فيتمنى حينئذ عودة نعمة الفراغ.

وصدق القائل:

اغتنم في الفراغ فضل ركوعٍ فعسى أن يكون موئك بغته
كم صحيح رأيت من غير سقمٍ ذهبَتْ نفسُه الصحيحةُ فلتَه.

فيا أيها المسلم، اعمل قبل أن لا تستطيع أن تعمل؛ فصلّ قبل أن لا تستطيع أن تصلي، وأكثر من الخطى إلى المساجد قبل أن لا تستطيع أن تصل إليها، وصم قبل أن لا تستطيع أن تصوم، وحج قبل أن لا تقدر على الحج، واعتمر قبل أن تتمناها ولا تستطيع نيلها.

(1) متفق عليه.

ويا أيها العالم يا أيها الداعي، انشر العلم قبل أن لا تقدر عليه، سارع إلى نصح الناس وتعليمهم قبل أن يأتي زمان لا تستطيع فيه تعليم آية أو حديث أو مسألة، ولا تقدر فيه على كتابة كلمة أو إلقاء نصيحة أو تغيير منكر.

لا تحبس عن الناس من العلم والتجربة ما ينفعهم، بل مت فارغاً - كما قيل - وسلماً للحياة وأهلها عصارة نعمة الله عليك بالمعرفة والخبرة؛ لتكون مستريحاً بأنك مت وقد قدمت للحياة شيئاً نافعا.

فبادروا - معشر العقلاء - إلى الأعمال قبل انقطاع الآمال، ودنو الآجال، فماذا تنتظرون؟

هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً، أو غنى مُطغياً، أو مَرَضاً مُفْسِداً، أو كِبَرًا مُفَنِّداً، أو مَوْتًا مُجْهِزًا، أو فتنة تجعلكم أحلاس البنيان، وخوفاً يدعكم ممسكي اللسان والأركان بين الجدران، ورياحاً تعصف بكم إلى العجز عن طاعة ترغبون فيها، وعبادة تتمنون التلذذ بها، أو الدجال فشرٌ منتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر.

ألا فاعتنموا - رحمكم الله - قبل أن تندموا، وسارعوا قبل أن يُسرِع بكم، وانتصروا على النفس والشیطان، قبل التحسر والخسران، وفوزوا على التسويف والفتور، قبل الأسف في القبور ويوم النشور.

واتعبوا اليوم لتستريحوا غداً، واكدحوا في الحياة لتكونوا عند الله من السعداء.

واعملوا بهذه الوصية النبوية:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببعض جسدي، فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل، وعد نفسك في أصحاب القبور)،

وقال لي: (يا ابن عمر، إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك؛ فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا)⁽¹⁾.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)⁽²⁾.
جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وممن إذا نُصَحُوا انتصَحُوا، ومتى دُعُوا إلى الخير أجابوا، وإذا عملوا أحسنوا وأصابوا.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشرية...

(1) رواه الترمذي والبيهقي، وهو صحيح.

(2) رواه الحاكم، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُجَرَّجَاهُ». ووافقه الذهبي.

الليل المشرق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أما بعد :

أيها المسلمون، الليل مرفأ الحياة اليومية الذي ترسو عليه النفوس من ركوب أمواج النهار المضنية، فتستريح فيه ساعاتٍ لتعود بعدها إلى معترك النهار مرة أخرى، وهكذا تمضي الدنيا.

وفي ظلام الليل وسكونه نعمةٌ من الله على عباده في حياتهم الفانية، يرون من خلالها خيوط الكرم الرباني تُشرق في تلك الظلمات مشيرةً إلى حصول الراحة بعد العناء، والهدوء بعد الضجيج، والفراغ بعد الانشغال، والخلود إلى ساحة للتأمل والتفكير والعمل الذهني بعد الشرود الذي يصنعه النهار بجلبته وصخبه.

يقول تعالى ممتناً على عباده: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ

مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ [يونس: 67].

أيها المؤمنون، إن الليل حين يغشي الحياة بظلامه فهناك نفوس عليّة تجعل من ظلماته أنواراً تستضيء بها في الدنيا والآخرة، وتصنع من سكونه معارج مشرقة تحترق بها تلك الدياجي المتكاثفة لتبلغ بصاحبها آفاق النور العليا، فيصبح الليل عند هذه النفوس أعظم من النهار ضياءً، وأسمى منه سناءً.

قال بعض الصالحين: "أهل الليل في ليلهم ألد من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا. وقال أيضًا: لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم. وقال بعض العلماء: ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة" (1).

فكيف نجعل ليلنا مشرقاً، ويصير ظلامه لنا نوراً، ووحشته علينا أنساً يا عباد الله؟

إن الليل المشرق هو الليل الذي يعمره العبد بطاعة الله تعالى، ويجافي نفسه فيه عن معصية ربه العظيم، فعندما يستعد النهار للرحيل فتحتضر شمسُه ويخفت أمام العيون أنسه، ويرخي الليل سدوله، ويمد بساطه على الحياة؛ ينبعث أهل الليل المشرق فيستفتحون زمن الليل بذكر الله تعالى؛ رجاء البركة والنور والحفظ والتوفيق للخير، وتحصيل الثواب، **فيقولون:**

"أَمْسِينَا وَأَمْسَى الْمَلِكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ

(1) إحياء علوم الدين (1/358).

بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها" (1). ويقولون غير هذا من أذكار المساء.

وأهل الليل المشرق إذا نادى منادي الصلاة للمغرب هرعوا إليها تاركين خلفهم كل شاغل ومثله يصرفهم عن الصلاة، فهم: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: 37].

وفي الوقت الذي ينشغل فيه أهل الدنيا بالدنيا هناك قوم أبهى أنواراً يسرجون الليل بعكوفهم في المساجد بعد المغرب يقرأون القرآن أو يحضرون مجالس العلم حتى تأتي صلاة العشاء، وهم في تلك الجلسة المضيفة يكتب لهم أجر صلاة متصلة إلى صلاة العشاء، قال رسول الله ﷺ: (الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث؛ اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تجبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة) (2).

وأهل الليل المشرق يبادرون إلى صلاة العشاء التي هي من أفضل الصلوات كما قال رسول الله ﷺ: (إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبوا) (3).

ويؤدونها أول وقتها وفي جماعة؛ ليظفروا بالخير الكثير، قال النبي الله ﷺ: (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله) (4).

(1) رواه مسلم.

(2) متفق عليه.

(3) متفق عليه.

(4) رواه مسلم.

ثم يعودون إلى بيوتهم والأنوار تتلألأ على وجوههم، والطمأنينة تكسو صدورهم، والراحة تغمر نفوسهم، فيا سعدهم، وسعد أهلهم بهم!

عباد الله، وفي ظلمات الليل تشرق أعمال صالحة أخرى يسارع إليها أهل النور مخلصين لله فيها يريدون أن يراهم الله، ويخفوا عن عيون الخلق، فمن تلك الأعمال: الصدقة؛ حيث يتحين المخلصون المراعون لمشاعر ذوي الحاجة فيضعون صدقاتهم على الأبواب أو على أيدي الفقراء دون أن يراهم أحد، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: 271].

وقال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) (1).

"كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك، فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به. ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل. وقيل: إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات" (2).

لله تلك النفوس البهية التي تقضي ما تبقى من ساعات ليلها قبل أن تنام في نفع الأهل والجلوس معهم، وقراءة ما تستطيع من القرآن والعلم النافع، ثم تأتي النوم مبكراً؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يكره كثرة الحديث بعد صلاة العشاء؛ لأنه قد يؤدي إلى النوم عن صلاة الفجر أو عن صلاة الليل.

(1) متفق عليه.

(2) البداية والنهاية (123/9).

أيها الأحباب الفضلاء، إن من أنوار الليل أن ينام فيه المسلم على ذكر الله؛ فيتوضأ ويقول ما استطاع من أذكار النوم؛ فإن هذا كان هدي النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في نومه:

فعن البراء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: (إذا أخذت مضجعتك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإن مت في ليلتك مت على الفطرة) ⁽¹⁾.

ويقراً آية الكرسي وأواخر سورة البقرة، والمعوذات، وغير ذلك من أذكار النوم. وإذا قاموا من تلك النوم الطيبة قاموا أيضاً على ذكر الله فقالوا: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور) ⁽²⁾.

وقالوا الواحد منهم أيضاً: (الحمد لله الذي عافاني في جسدي، ورد علي روحي، وأذن لي بذكره) ⁽³⁾.

أيها الإخوة الكرام، إن هناك نوراً عظيماً يشرق به ليل المسلم، يُلبس روحه وحياته بهاء تتشعشع أضواؤه فيكسو العمر راحة ولذة وسكينة، هذا النور العظيم هو: قيام الليل.

هذا النور البهي لا يظفر به كل أحد، إنما يظفر به أولئك المؤمنون الذين قدموا

(1) رواه الترمذي، وهو صحيح.

(2) متفق عليه.

(3) رواه الترمذي، وهو صحيح.

محبة مناجاة الله على محبة النوم والفراش الوثير، فقاموا في تلك اللحظات الغالية ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، فشتان ما بينهم وبين الغافلين: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].

وفي فضل هذه الصلاة يقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل)⁽¹⁾.

ويقول كذلك: (عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة لكم إلى ربكم، ومكفر للسيئات، ومنهاة عن الإثم)⁽²⁾.

أما إنكم لو تأملتكم -معشر المسلمين- في وجوه أهل قيام الليل لرأيتم النور ينبعث من وجوههم؛ قيل للحسن: "ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهاً؟" قال: لأنهم حَلَّوْا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره"⁽³⁾.

وقال شريك بن عبد الله: "من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار"⁽⁴⁾.

ألا فكونوا -عباد الله- من أهل الليل المشرق تشرق حياتكم وآخرتكم.
نسأل الله أن يوفقنا لذلك.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

(1) رواه مسلم.

(2) رواه الترمذي، والحاكم، وهو صحيح.

(3) فضل قيام الليل والتهجد للآجري (ص: 5).

(4) الإرشاد في معرفة علماء الحديث، للقرظيني (1/171).

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد، **أما بعد:**

أيها المسلمون، إنه لا يستوي أولئك القوم السابقون الذين أشرق ليلهم بطاعة الله فدخلوا ليلهم على طاعة، وخرجوا مصبحين منه على طاعة، وعاشوا ساعاته على طاعة، بل إن نومهم إذا احتسبوه كان عبادة لهم، قال معاذ بن جبل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: "إني أرجو في نومتي ما أرجو في قومتي" ⁽¹⁾.

فلا يستوي هؤلاء الصالحون مع قوم جعلوا ليلهم مظلمًا، فصاروا في ظلمات بعضها فوق بعض.

إن أهل الليل المظلم هم الذين أظلموا أرواحهم بمعصية الله؛ بترك أموال الشريعة وفعل نواهيها.

إن أولئك المظلمين يدخل عليهم الليل فلا يسألون الله حصول خير، ولا يتعوذون به من شر، ومتى نادى منادي الصلاة للمغرب أو العشاء تغافلوا عن إجابته، فكأنها ينادي غيرهم من المخلوقين، فيضيعون صلاة المغرب، وصلاة العشاء!

فيا خسارة من ضيع الصلاة، ويا سوء حاله يوم تظلم حياته وروحه بذلك!

يا خُسْرَ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ تَعَمْدًا	وأقام معتكفَ الفؤادِ على الهوى
كيف المصيرُ إذا القيامةُ أقبلتْ	وأتى إلى ساحِ الحسابِ وما ارعوى
ماذا يرَجِّي يومَها وصلاته	تشكوه يومَ لقاءٍ من مَلَكِ القوى؟!

(1) متفق عليه.

أيها الفضلاء، إن أهل ظلام الروح في ظلام الليل ينتشرون في صفحات المعاصي كما تنتشر الشياطين عند دخول الليل، فما ظلامهم في ساعات الظلام؟

إن أهل الظلام يتوزعون على أعمال الخطيئة عند مجيء الليل:

فمنهم من تمشي به خطى الإثم إلى منازل الناس أو حوانيتهم لسرقة أموالهم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه) ⁽¹⁾.

ومنهم من يمسي لينا جي قنينة المسكر، ويرميه سكره في ظلمات الخروج عن العقل فلا يدري ما يفعل وما يذر!

ومنهم من يغلبه شيطانه فيأخذ جواله ويشرع في الاتصال والمراسلة للنساء في خدورهن، فيؤذيهن ويتعدى على حرمتهم وحُرْم أهاليهن، دون خوف من الله يردعه، ولا زاجر من خلق كريم يزعه، ولا تفكر بأنه بتعديه هذا قد يتعدى ناس على نسائه ومحارمه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم؛ تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه، ولو في جوف رحله) ⁽²⁾.

ومن أولئك الذين أظلم ليلهم: من يقيدون أجسادهم في سلاسل العكوف أمام الشاشات الكبيرة والصغيرة، وفيها يطلقون لعيونهم العنان في الليل البهيم لتشاهد ما يغضب الربَّ العظيم؛ فكم يقضون من الساعات في متابعة المقاطع والمسلسلات والأفلام التي تدعو إلى الفاحشة ومساوئ الأخلاق والأعمال، دون أن يفكروا في نظر

(1) رواه أحمد، وهو صحيح.

(2) رواه ابن ماجه، وهو حسن.

الله إليهم وهم على تلك المساخط، وربما سهروا على ذلك إلى الفجر ثم رقدوا بعد زمن طويل مشخن بالعصيان، قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: 4-6]، أفلا يرعون ويعجلون إلى الله المتاب (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) [الرعد: 21]؟.

إنهم إذا آمنوا في تلك المتابعة المحرمة من رؤية الناس، لكن الله يراهم ويسجل عليهم أعمالهم، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

فيا عباد الله، اجعلوا ليااليكم مشرقة بطاعة الله، ولا تجعلوها مظلمة بمعصيته، وحافظوا على أعمال الليل الصالحة واجبها ومستحبها، ومتى رأيتم أكثر الناس في الليل عن الخير غافلين، وإلى الشر مقبلين، وعليه عاكفين، فتنكبوا طريقهم، واحذروا مشابهمهم، واستمروا على الجد في الصراط المستقيم.

نسأل الله أن يجعل ليلنا ونهارنا معمورين بالخيرات، والمسابقة إلى الباقيات الصالحات.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية....

المشكلات الزوجية: أسبابها وعلاجها (□)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أما بعد :

أيها المسلمون، كم من زوج يشكو إلى الله أو إلى الناس حياته التعيسة مع زوجة لم تعرف له قدره، ولم تؤد إليه حقه، تجرّع في حياته معها صنوف البلاء، وشرب من إيذائها كؤوس العناء، فلا تسل حينئذ عن غلبة غمومه عليه، وكثرة الشقاء لديه، وتدهور صحته، وبحته عن مخرج من جحيم حياته الشقية.

وكم من زوجة ذاقت من زوجها طعم الحياة الأليمة، ولقيت بصحبته المشكلات العظيمة، فلا يراها الرائي إلا متنقلة من غم إلى غم، ومن هم إلى هم، فقلبها بثقل مشكلاتها الزوجية ينفطر، وصدرها بلظاها يستعر، ودموعها دائمة الجريان، وحزنها

(1) أُلقيت في جامع ابن الأمير الصنعاني في: 1442/1/2 هـ، 2020/8/21 م.

على حياتها قبل الزواج كبير، تبحث في جوانب الحياة عن حل لمعضلتها، وشفاء لعلتها.

إن كل زوج يحب أن يحيا مع زوجته وأولاده حياة سعيدة، ويعيش معهم في الدنيا عيشة رغيدة، لا مشكلات تكدرها، ولا غموم زوجية تعكرها، ولا خلافات كثيرة توهي أركانها، ولا صراعات تصدع بنائها.

غير أن الواقع اليوم يعج بكثرة الشكاوى الزوجية، واحتدام المعارك الأسرية، مما أدى إلى كثرة الخلافات، وشدة النزاعات، وفي خضم تلك الحرب المستعرة يطلق الزوج كلمة الطلاق أو تطلب منه الزوجة ذلك في استعجال وغضب!.

وبعضهم يستعمل الطلاق المعلق: إن فعلت كذا فأنت طالق، أو إن لم تفعلي فأنت طالق، أو يقول: حرام وطلاق، ونحو ذلك من العبارات.

والملاحظ: أن أكثر أسئلة الناس اليوم للمفتين دائرة حول الحياة الزوجية من طلاق وغيره.

فما أسباب نشوء ظاهرة المشكلات الزوجية، وما علاجها؟

عباد الله، من الأسباب المؤدية إلى الصراع الزوجي ونتائجه المُرّة: الجهل بالحياة الزوجية.

فالحياة الزوجية ليست محصورة في خدمة بيتية وتربية أطفال فحسب كما يعتقدونها بعض الناس، وليست حياة (رومنسية) كلها حب وغرام، كما تصورهما المسلسلات والأفلام.

بل الحياة الزوجية حياة فيها حقوق وواجبات كثيرة، وعيش مشترك فيه تكاليف

وصبر ومصابرة، ورضا وغضب، وابتسام وعبوس، وضيق وسعة، وشدة ورخاء، وسراء وضرأ؛ ولهذا تحتاج إلى علم بكيفية التعامل الصحيح فيها.

فالجاهل بالواجبات الزوجية التي عليه كيف سيؤديها، والجاهل بالحقوق التي له كيف سيحسن طلبها؟

فمن الحقوق الزوجية: النفقة من الزوج على الزوجة.

فمن واجب الزوج أن ينفق على زوجته في طعامها وشرابها وكسائها ودوائها وسكنها.

لكن هناك أزواج يقصرون في هذا الحق؛ فلا ينفق بعضهم على زوجته وأولاده: إما بخلاً، وإما صرفاً للمال في ملذاته الخاصة، وإما تكاسلاً عن الخروج لطلب الرزق. فيؤدي ذلك إلى ضياع زوجته وأولاده في متهات الضياع والجوع والذل للناس. وهذا الفعل من الزوج إثم عظيم، قال رسول الله ﷺ: (كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته) (1).

وقد تنشأ المشكلة الأسرية في قضية النفقة من جانب الزوجة: حيث تطلب من زوجها نفقات كثيرة - لا يقدر عليها، أو تعسر عليه - فتصرفها في أشياء لا حاجة فيها، أو تبذر المال في الزيادة على الحاجة، منافسة لغيرها من النساء.

وهذا فعل غير صحيح؛ فالله تعالى قد كلف الزوج بالنفقة بالمعروف حسب قدرته، وليس فوق طاقته، قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ

(1) رواه مسلم.

فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴿٧﴾ [الطلاق: 7].

ومن الحقوق الزوجية: طاعة الزوجة لزوجها فيما يأمرها به وينهاها عنه.

والمشكلة الزوجية في هذا الحق قد تكون من الزوج أو من الزوجة؛ فبعض الأزواج قد يأمر زوجته بطاعته في معصية الله، أو قد يكلفها فوق طاقتها، وهذا لا يجوز، إنما الطاعة في المعروف.

وقد تكون المشكلة من الزوجة بحيث يأمرها بما يباح أو يستطاع لكنها تعصيه وتخالفه، وهذا لا يجوز؛ فالواجب عليها طاعة زوجها.

وهذه الطاعة منها من أسباب دخولها الجنة؛ قال رسول الله ﷺ: (إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها؛ قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت) (1).

ومن الحقوق الزوجية: المعاشرة في الفراش، ما لم يمنع من ذلك مانع شرعي أو صحي.

والمشكلة في هذا الحق قد تحصل من الزوجة أو من الزوج:

فتحصل من الزوجة عندما يطلب منها هذا الحق فلا تستجيب له؛ عناداً أو كسلاً أو غير من الأسباب التي لا تمنعها من هذا الحق.

وهذا منها فعل محظور نهى عنه الإسلام، **فعن** أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت فبات غضبان عليها؛ لعنتها

(1) رواه أحمد وابن حبان، وهو حسن.

الملائكة حتى تصبح⁽¹⁾.

وقد تحصل المشكلة في هذا من جانب الزوج -وهي ظاهرة عجيبة ظهرت في هذا العصر-: بحيث يهجر الزوج فراش زوجته مدة طويلة من غير سبب شرعي أو صحي، وإنما السبب بعض المعاصي التي يارسها كالقواحش، حتى استغنى بالحرام عن الحلال، أو بمتابعته الكثيرة لما يسمى بالمقاطع الإباحية وأفلام الفحش، فأفقدته ذلك فحولته؛ فإن إدمان الأزواج متابعة هذه المحرمات يفقدتهم الرغبة في زوجاتهم؛ فلهذا تحصل المشكلة في البيوت.

ومن الحقوق الزوجية: العدل بين الزوجات ممن لديه أكثر من زوجة.

وهذا الحق قد تكون المشكلة فيه من قبل الزوج أو من قبل الزوجة.

فبعض الأزواج قد يميل إلى إحدى زوجاته ميلاً عظيماً؛ حتى يظلم الأخرى أو الأخريات، فلا يعطيهم حقوقهن الشرعية كما هي من نفقة ومبيت وغير ذلك، فمن فعل ذلك فقد عصى الله تعالى وأحدث له مشكلة في بيته.

وقد تكون المشكلة من قبل الزوجة التي لها ضرة أو ضرات، بحيث تطلب من زوجها زيادة على حقها من القسم بما يكون فيه ظلم لضررتها، أو تكون غيرها شديدة حتى تسوء أفعالها وأقوالها مع زوجها حتى تكدر حياتها الزوجية بيدها.

فعلى المرأة العاقلة أن تعتدل في غيرها، وتكسب زوجها أحسن مما تخسره.

عباد الله، ومن أسباب المشكلات الزوجية: حصول الظلم في الحياة الزوجية من

الزوج أو من الزوجة، ولهذا السبب صور كثيرة.

(1) متفق عليه.

فَمِنْ ظَلَمِ الزَّوْجِ لَزَوْجَتِهِ: بذاءة اللسان معها، والسطو على حقوقها المالية من مجوهرات أو ميراث أو أموال نقدية أو مرتبات، أو غير ذلك.

فيا أيها الزوج، هل من الديانة أو الرجولة أو العشرة الحسنة: أن تأخذ حقوق زوجتك المالية ظلماً وعدواناً، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: 188]؟.

ومن ظلم الزوجة لزوجها: سلاطة لسانها وتكبرها عليه، واستذلاله واستضعافه إذا كان وراءها أسرة ذات بأس شديد، ومن ظلمها: أخذ أمواله من دون علمه في غير نفقة واجبة، بل للعبث بها، أو إنفاقها على أقاربها أو غيرهم.

ومن ظلم الزوجة لزوجها: خيانتته في الفراش بعلاقات أو ممارسات محرمة، وما أعظم هذا الظلم من ظلم!

قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ [النساء: 34].

فالصالحات من النساء قانتات يعني: مطيعات لأزواجهن، حافظات للغيب: أي: تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله⁽¹⁾.

أيها المؤمنون، ومن أسباب المشكلات الزوجية: المقارنة بين ما عند الإنسان وما عند غيره.

وهذا السبب المكدر للحياة الزوجية قد يكون من قبل الزوج أو من قبل الزوجة:

فالزوج بسبب إدامة نظره إلى نساء الناس في الوظيفة أو عبر المسلسلات أو البرامج أو المقاطع أو النشرات الأخبارية قد يقارن في الجمال بين ما يرى من تلك

(1) تفسير ابن كثير (2/257).

النساء وزوجته، فيراهن أحسن منها، فيكدر ذلك عليه حياته، ويبغض إليه زوجته، وقد يؤدي إلى سوء عشرتها أو طلاقها.

والزوجة قد تقارن في المال أو الجمال بين زوجها ومن ترى من الرجال في وسائل الإعلام أو الشوارع أو الزملاء، أو تقارن بين ما لديها وما لدى الزوجات الأخريات من أسباب رفاهية العيش، حتى يؤدي بها ذلك إلى سوء تعاملها مع زوجها، أو طلب الطلاق منه.

نسأل الله تعالى أن يصلح أحوال بيوتنا وبيوت المسلمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد :

أيها المسلمون، لكل داء دواء، ومشكلات الحياة لا يستحيل لها الشفاء، فهذه الأسباب المكدرّة للحياة الزوجية التي ذكرناها لها علاج بلا شك، فمن ذلك:

حسن اختيار الزوج والزوجة، وهذا وإن لم ينفع من قد تزوج فإنه سينفع من أراد الزواج.

فعلى الرجل أن يختار الزوجة الصالحة في دينها وخلقها ونفسيّتها الموافقة له، قال رسول الله ﷺ: (فاظفر بذات الدين)⁽¹⁾.

وعلى المرأة أن لا تقبل زوجاً إلا إذا كان ذا خلق حميد ودين متين، قال النبي ﷺ: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)⁽²⁾.

ومن علاج المشكلات الزوجية : تعلم الحقوق والواجبات الزوجية قبل الإقدام على الزواج.

وما أجهل أن تكون هناك دورات شرعية وأسرية للمقدمين على الزواج؛ حتى يعرف كل من الرجل والمرأة ما له وما عليه، فإن لم تكن هناك دورات فليقرأ كل من الزوج والزوجة عن الحياة الزوجية من منظور شرعي ونفسي وأخلاقي واجتماعي.

(1) متفق عليه.

(2) رواه الترمذي، وهو حسن.

والغرض من معرفة هذه الأمور هو العمل وليس الإحاطة الثقافية بالمعلومات.

فما الفائدة- يا عباد الله- من الإمام المعرفي بشؤون الحياة الزوجية من غير امتثال

لها؟ فكم من إنسان قد يكون ذا دراية وفهم لذلك لكن لا يعمل!.

وكم من رجل قد يكون معدوداً من الصالحين، ومن أهل العلم في نظر الناس،

ولكنه في بيته بعيد عن العمل بما علم.

وكم من امرأة قد تحفظ من القرآن أو الشريعة كذا وكذا، أو تعد داعية في النساء،

ولكنها سيئة العشرة مع زوجها!

إن المعارف وكثرة المحفوظات والمعلومات المجردة لا تصنع الحياة الزوجية

السعيدة، وإنما يصنعها العدل والإحسان والمودة والرحمة وحسن المعاملة، وهذه

المعاني قد توجد في جاهل ويفتقدها بعض من منسوبي المعرفة!!.

أيها الفضلاء، ومن علاج المشكلات الزوجية: أداء كل من الزوج والزوجة ما عليه

من الواجبات من غير تقصير في حدود الاستطاعة، فالحياة الزوجية عطاء مشترك،

وحقوق وواجبات.

قال تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228].

لكن على الزوج والزوجة أن يعلما أنه قد يحصل قصور وضعف في أداء الحقوق على

أكمل وجه؛ فلذلك عليهما أن لا يستقصيا في استيفاء كل شيء، بل الكريم يسامح ويعفو

ويتغافل ويغض طرفه عن بعض الزلات، ويغمر السيئة في بحار الحسنات، فلا يوجد في

هذه الحياة رجل لا عيب فيه، ولا توجد امرأة لا قصور لديها، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ

بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19].

وقال رسول الله ﷺ: (لا يَفْرُكُ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر) (1).

ومن علاج المشكلات الزوجية: الصبر، فالحياة الزوجية إذا لم يكن فيها صبر من الزوج والزوجة فمآلها إلى الضيق أو الانتهاء.

فالمطلوب صبر على الفقر، وصبر على المرض، وصبر على الأخطاء المحتملة، وصبر على بعض الكلمات الجارحة، وصبر على بعض التصرفات الخاطئة التي يمكن احتماؤها، وصبر على بعض الأخلاق الضيقة.

فاصبر على زوجتك تصبر عليك، ولتصبر الزوجة على زوجها يصبر عليها.

ومن علاج المشكلات الزوجية أيضاً: القناعة، فالزوج يقنع بزوجه فلا تلتفت عينه إلى غرائب النساء، والزوجة تقنع بزوجها فلا تتشوف نفسها إلى رجل سواه.

ولا يغترن أحد بما يشاهد في وسائل الإعلام في الصور المغرية والمشاهد المعجبة؛ فإن وراء تلك اللحوم المكشوفة، والصبغات الخادعة والكلام المكذوب جحيماً من الحياة التعيسة التي يعيشها أولئك الذين ابتعدوا عن الفضيلة والحياء.

فالسعادة في بيتك فلا تبحث عنها في بيوت الغرباء. قال النبي ﷺ: (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس) (2).

ومن علاج المشكلات الزوجية كذلك: ترك الاستعجال في القرارات الأسرية، والبعد عن شدة الغضب وإصدار الأحكام المستعجلة أثناءه، فالترثيث يعين على حل المشكلات والصواب في الحسم. **وأما العجل والغضب** فيعقدان القضايا ويؤديان إلى ما لا تحمد عقباه.

(1) رواه مسلم.

(2) رواه الترمذي، وهو حسن.

ففي ساعة غضب أو عجلة كم من زوج سارع إلى طلاق زوجته، وكم من زوجة طالبت بطلاقها، فلما عادت العقول بعد طيشانها حضر الندم وربما الدموع ترافقه.

فالطلاق - أيها الأزواج - ينبغي أن يكون حلاً لا مشكلة، وموقع هذا الحل هو آخر الحلول في قائمة الحلول، وذلك حين لا تحل عقدة الحياة الزوجية إلا به، أما أن يكون على اللسان من أول خلاف وشقاق فهذا ما يحبه الشيطان ويكرهه الرحمن.

فيا عباد الله، احرصوا على سلامة الحياة الزوجية من المشكلات، واعرفوا ما فيها من الحقوق والواجبات، وامثلوها ولا تعرضوا عنها، وأدّوا ما عليكم إذا أردتم الحصول على ما لكم.

واعلموا أن الحياة الزوجية إذا عمرت بما ذكرنا من العلاج فهي جنة من جنات الدنيا، التي تحل فيها السعادة والراحة، والاطمئنان والبهجة.

فطوبى لمن سمع فوعى، وعمل بخير دُلَّ عليه، وترك شراً حُذِّر منه. ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 17-18].

نسأل الله أن يصلحنا، ويصلح زوجاتنا وذرياتنا: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

هذا وصلوا وسلموا على القدوة المهداة، والنعمة المسداة نبينا محمد...

إلى صلاة الفجر يا عباد الله (□)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، إنه وقت ما زال النهار غائباً عنه، ولكن ظلام الليل حاضر فيه وهو باسط عتمته ووحشة سكونه على الأرجاء.

لا زحام للناس ولا جلبة ولا ضجيج في ذلك الوقت يبعث على الأُنس، ويرغب في الانطلاق في الطرقات وسائر الجهات.

ليس هذا فحسب، بل إن النفوس في ذلك الوقت تتلذذ بسباتها العميق، وتتلقى وجبات من الراحة والسكون بعد زمن استولى عليها التعب والعناء.

عندما ينادي المنادي: حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم، تسمع ذلك النداء العذب نفوس حل فيها الإيمان فتتهجر فراشها الوثير، ونومها

(1) أُلقيت في مسجد الشوكاني في 14/1/1444هـ، 12/8/2022م.

اللذيذ، وتستيقظ لصلاة الفجر وهي مسرورة بهذا الاستيقاظ لأداء هذه العبادة العظيمة.

وتسمع ذلك النداء نفوس أخرى قد استحوذ عليها الشيطان، وتغلغلت فيها الغفلة حتى حَبَبَتْ إليها ملذات النفس، وبَغَضَتْ إليها حقَّ الخالق، فتركت الاستجابة لصوت الأذان، ولسانُ حالها: النوم خير من الصلاة! فازدادت نومًا إلى نومها، وأضافت عليها دثاراً على دثارها، وتحولت من هيئة نومية إلى أخرى؛ طلباً لزيادة الراحة.

فكأنَّ ما سمعتُ من الصوت الذي نادى يقولُ لها اسكني وتلقَّعي
نومي فهذا الصوتُ يطلبُ أنفَسًا أخرى، وأنتِ على فراشك فاهجعي
عباد الله، صلاة الفجر تلك الصلاة البهية التي تتعاقب فيها النفوس المؤمنة
وخيوطُ الفجر الأولى، والليلُ قد ولَّى قفاه للوداع، وهنالك تنسم الأرواح المتألقة
أريجَ السعادة التي لا يجدها أهلُ الغفلة الذين آثروا النوم على الاستجابة لنداء هذه
الصلاة.

إن هذه الصلاة لها شأن كبير في الإسلام؛ فقد سماها الله تعالى في القرآن بالقرآن؛
لكثرة القراءة فيها، وهي صلاة تشهد بها الملائكة وتجتمع فيها.

قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78]، قال ابن
عباس وغيره: قرآن الفجر: صلاة الفجر.

وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: (وتجتمع
ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح) يقول أبو هريرة: "اقرأوا إن شئتم:

﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78].

وقال رسول الله ﷺ: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون)⁽¹⁾.

وهذه الصلاة- معشر المسلمين - إذا حضرها الرجل في المساجد وداوم عليها وصدقت نيته فهي علامة على صحة الإيمان، وبراءة من النفاق؛ فعن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: (كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا به الظن)⁽²⁾.

وهذه الصلاة انتصار على الأهواء، وبيّنة على رغبة صاحبها بما عند الله من عظيم الجزاء؛ فعن ابن مسعود أن النبي **ﷺ** قال: (عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَحِبِّهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فيقول ربنا: أيا ملائكتي: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه وِطَائِهِ وَمِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي)⁽³⁾.

أيها المؤمنون، إن صلاة الفجر لها فضل عظيم على سائر الصلوات، ومزايا خاصة على بقية العبادات، فما أكثر ما ورد عن رسول الله **ﷺ** من النصوص التي تبين فضلها، وتعلي من شأنها، فمن ذلك:

أن المواظبة على صلاة الفجر مع سائر الصلوات سبب للوقاية من النار؛ قال

(1) متفق عليه.

(2) رواه البزار والطبراني وابن خزيمة في صحيحه.

(3) رواه أحمد بسند حسن.

رسول الله ﷺ: (لن يلج النار أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - يعني: الفجر والعصر -) (1).

وصلاة الفجر أيضًا سبب لدخول الجنة؛ قال رسول الله ﷺ: (من صلى البردين دخل الجنة) (2).

ومن فضائل صلاة الفجر: أنها سبب لتكفير الذنوب؛ قال رسول الله ﷺ:

(تتحرقون تحترقون - أي: بالذنوب التي تكون سببًا لدخول النار -، فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الظهر غسلتها...) الحديث (3).

ومن فضائل صلاة الفجر كذلك: أن المحافظة عليها سبب لحماية الله لصاحبها من المكروهات وشرار الخلق، وهي دعوة للناس بعدم التعرض لمصلي الفجر بأذى؛ قال رسول الله ﷺ: (من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء؛ فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم) (4).

ومعنى هذا الحديث: أن من صلى الصبح فهو في حفظ الله وأمانه، فلا تعرضوا -أيها الناس- لمن صلى الصبح بشرٍّ؛ لأن صاحبها صار في ذمة الله، ومن خفر الله بشيء في ذمته أدركه حتى يعذبه.

أرأيتم -يا أصحاب صلاة الفجر - ما لكم عند الله من الحصانة!

(1) رواه مسلم.

(2) متفق عليه.

(3) رواه الطبراني وهو حسن.

(4) رواه مسلم.

روى الطبراني في المعجم الكبير أن الحجاج أمر سالم بن عبد الله بقتل رجل فقال له سالم: "أصليت الصبح؟ فقال له الرجل: نعم، فقال: انطلق. فقال له الحجاج: ما منعك من قتله؟ فقال سالم: حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من صلى الصبح كان في جوار الله يومه) فكرهت أن أقتل رجلاً قد أجاره الله، فقال الحجاج لابن عمر: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال ابن عمر: نعم."

ومن فضائل صلاة الفجر: أن سبتها خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان هذا في نافلة هذه الفريضة فكيف بالفريضة!

فقد روى مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها) ⁽¹⁾ "أي: نعيم ثوابها خير من كل ما يتنعم به في الدنيا، فتأكد المحافظة عليهما" ⁽²⁾.

وفي رواية لمسلم أيضاً قال رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (لها أحب إليّ من الدنيا جميعاً).

ولهذا كان رسول الله ﷺ يحافظ على نافلة الفجر أكثر من غيرها من النوافل؛ فعن عائشة أن النبي ﷺ (لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح) ⁽³⁾.

وعند ابن خزيمة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (ما رأيت رسول الله ﷺ إلى شيء

(1) رواه مسلم.

(2) التيسير بشرح الجامع الصغير (35/2).

(3) متفق عليه.

من الخير أسرع منه إلى الركعتين قبل الفجر، ولا إلى غنيمة).

إن هذه الفضائل -يا عباد الله- تدعو المسلم إلى الحفاظ على صلاة الفجر، وتحذره من التفريط فيها؛ فإن في المحافظة عليها الربح في الدنيا والآخرة، وفي تضييعها الخسارة في الحياة وبعد الممات.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المحافظين على صلاة الفجر في وقتها.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها المسلمون، إن صلاة الفجر في حق الرجل المقيم الصحيح لا بد أن تكون في جماعة؛ فهي بالجماعة ألد وأحسن، وأفضل أبرك، وأطول وقتاً في الطاعة وأكثر خشوعاً، وأعظم أجراً وأجمل أثراً على القلب والروح.

وأما من صلاها بعيداً عن المساجد فقد ضيع على نفسه خيراً كثيراً؛ فلا الثواب الجزيل عليها حصل، ولا أثرها السنّي على نفسه أدرك.

واسمعوا - رحمكم الله - قول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: (ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً)⁽¹⁾.

"معناه: لو يعلمون ما فيهما من الفضل والخير ثم لم يستطيعوا الإتيان إليهما إلا حبواً لحبواً إليهما، ولم يفوتوا جماعتهما في المسجد. ففيه الحث البليغ على حضورهما"⁽²⁾.

وعن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة أن عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح، وإن عمر غدا إلى السوق ومسكن سليمان بين المسجد والسوق فمر على الشفاء أم سليمان فقال لها: "لم أر سليمان في الصبح؟! فقالت له: إنه بات يصلي فغلبته عيناه. قال عمر له: لأن أشهد صلاة الصبح في جماعة أحب إلي من أن

(1) متفق عليه.

(2) شرح النووي على مسلم (154/5).

أقوم ليلة" (1).

وللترغيب في حضور الجماعة لصلاة الفجر جاء عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذِكْرُ عدة فضائل لهذه الصلاة في جماعة، فمن ذلك:

أن صلاة الفجر في جماعة تعدل قيام ليلة؛ قال رسول الله ﷺ: (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله) (2).
فبخٍ بخٍ لهذا الفضل الكبير!

ومن الفضائل: أن كثرة الخطى إلى المساجد لصلاة الفجر سبب للنور العظيم يوم القيامة؛ قال رسول الله ﷺ: (بَشِّرِ الْمُشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (3).

أيها المؤمنون، أبعدَ هذا يترك صلاة الفجر أو يؤخرها عن وقتها أو لا يحضر جماعتها مَنْ في قلبه إيمان قوي؟

إذا ضعفت الهمّة للقيام لها في وقتها، أو تعذر امرؤ بأعذار تحول بينه وبين أدائها في جماعة فهذه بعض المعينات على القيام لها وصلاتها في جماعة:

أولاً: أن يعلم المسلم أن القيام لصلاة الفجر أمر واجب عليه يستحق تاركه عقاب ربه، ولا يعذر عن ذلك الواجب مهما كانت ظروفه، حتى ولو كان مريضاً فيصليها على حسب حاله.

(1) رواه مالك، وهو صحيح.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه أبو داود وابن ماجه، وهو صحيح.

ثانيًا: أن يستحضر في نفسه ما ورد في هذه الصلاة وفي صلاتها جماعة من الفضائل، فإذا كانت عنده همة لنيل ذلك بعثته لصلاتها في المساجد.

ولننظر -يا عباد الله- إلى أحوالنا الدنيوية؛ فإنه لو كان علينا دوام أو عمل أو معنا سفر في وقت صلاة الفجر فإننا لن نتأخر عن ذلك الموعد، بل سنستيقظ قبله؛ لما في التخلف عن ذلك من الخسارات الدنيوية، أفليس الموعد مع الله أعظم ربحًا، والتخلف عنه أكبر خسارة؟!

ثالثًا: أن لا يطيل الإنسان السهر في الليل حتى ولو كان في عبادة، فإن حصل منه ذلك نادرًا فليستعن بمن يوقظه لهذه الصلاة من أهل أو قريب أو زميل أو جار أو منبه.

رابعًا: أن يحافظ على كثرة الطاعات وقلة المعاصي؛ فإن الطاعات تعين على الطاعات، والمعاصي تحجب عن صاحبها خير العبادات.

فيا أيها المسلمون، اعلّموا عظمة صلاة الفجر وكثرة الخير الناتج عنها، وحافظوا عليها في أوقاتها ولا تؤخروها، وسابقوا إلى بيوت الله لأدائها، فإن رغبكم بصلاتها في البيوت حبّ الدفء وخوفُ البرد، وطولُ الوقت لصلاتها في المساجد؛ فراجعوا إيمانكم، حتى تنتصروا على أهوائكم لتنطلقوا بعد ذلك إلى المساجد، ويا فلاح رجل قلبه معلق في المساجد.

نسأل الله أن يقوي إيماننا وعزائمنّا، ويجعل بيوته مهوى أفئدتنا وراحتنا.

هذا وصلوا على خير البشر، كما قال الله أمراً بهذا الحق، ولم يزل قائلاً عليهما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

اليهود: الحقيقة، والتطبيع (□)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، في زمان الخداع العالمي الكبير، والتمويه الخفي الكثير، وفي ظل الهيمنة الأخطبوطية على مقاليد العالم في كف اليد الظالمة، والغفلة الطويلة التي امتدت على آفاق الأفهام فمنع دخانها الكثيف رؤية سطوع نور الحق؛ هنالك تغيب بعض الحقائق، فيولد حينئذ ظلام المواقف، وتتعثر الخطى في طريق النجاة من المتالف.

وفي ظل الجهل أو التجاهل التاريخي، والغباء أو التغابي الواقعي؛ تنقلب موازين المعرفة فيرجح الباطل على الحق، والخطأ على الصواب، ويضحى العدو في درجة الصديق الحميم، ويمسي الصديق في دركة العدو اللئيم.

(1) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في: 1438/2/25 هـ، 2016/11/25 م.

وهنا يعظم البلاء، ويطّعى الشفاء من هذه الأدواء.

عباد الله، هناك عدو لدود، ومعتدّ حقود، دأبه الكيد والمكر والعداء للإسلام وأهله، عبر تاريخه الطويل معهم، ولن يختلف العقلاء أن ذلك العدو هم اليهود المغضوب عليهم.

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾

[المائدة:82].

فيا عجباً حين نرى اليوم من بني جلدتنا ويتّمي لسانه إلى ألسنتنا من يمد إليهم يد الود، وقد نهى الله عن مدها، ويعقد معهم عقود الولاء وقد أمر الله معهم بالبراء، ويتباهى بحسن العلاقة معهم، وامتداد جسور التعاون بينه وبينهم، غافلاً أو متغافلاً عن سم الأفعوان القاتل الذي يغربلن ملمسه، وبريق جلده.

فدعونا اليوم نقرأ حقيقة هذا العدو في القديم والحديث، وبعد ذلك يقرر العاقل هل يصح التطبيع معه أو لا؟

أيها المؤمنون، لقد أرسل الله تعالى نبيه موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل بالإسلام العام ليدعوهم إلى الله تعالى فيؤمنوا به فتحصل لهم النجاة في الدنيا من استعباد فرعون وملئه، والنجاة في الآخرة من غضب الله وعقابه.

فآمن بموسى من آمن، وكفر به من كفر. قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس:84].

فلما مات موسى بقي المؤمنون مدة من الزمن، حتى حرف اليهود ديانة موسى عليه السلام وحادوا بها عن الطريق المستقيم.

فظهرت من ركام ذلك التحريف والمسخ ديانة باطلة تسمى باليهودية، ومتبعوها يقال لهم: اليهود، ثم بُعث رسول الله محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وهم مازالوا على ذلك التحريف، غير أنهم عاشوا على سمة عامة تُولف شتاتهم ألا وهي الحقد على مَنْ سواهم من الأمم، وعلى ما سوى دينهم من الأديان.

عباد الله، لو تحدث البشر عن شر هؤلاء الناس لكان هناك من سيرد ما قالوا عنهم بأي سبيل من سبل الرد، لكن ماذا سيقول الرادون إذا جاء الحديث عن الله تعالى؟

لقد تحدث القرآن الكريم عن اليهود عبر امتدادهم التاريخي البعيد إلى زمن رسول الله محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فذكر أفعالهم المخزية، وشرح نفسياتهم الشريرة، وذكر مواقفهم المعوجة مع أنبيائهم ومع عموم الناس، وتحدث عن طرف من العقوبات التي عاقبهم الله بها في الدنيا، وما سيعاقبهم به في الآخرة.

والمتتبع لآيات القرآن العظيم يجد أن اليهود قد ذُكروا بأسماء هي: اليهود وما اشتق منها، وبنو إسرائيل، وأهل الكتاب.

عباد الله، لقد كان اليهود -وما زالوا- أهل عناد وعداوة وانحراف؛ ففي عهد موسى عليه السلام لقي منهم موسى ما لقي. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: 69].

عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **ﷺ**: (إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً لا يرى من جلده شيء؛ استحياء منه، فأذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدرة، وإما آفة. وإن الله أراد أن

يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملاء من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام إلى الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: 69] (1).

واتخذت طائفة منهم العجل معبوداً من دون الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ...﴾ [البقرة: 54]. وتجروا على الله وبالغوا في العناد فكان حالهم كما قال الله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِيناً﴾ [النساء: 153].

وقابلوا الأوامر الإلهية بالاستهزاء وعدم العمل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 58]. (فدخلوا يزحفون على مؤخراتهم، فبدلوا وقالوا: حطة حبة في شعرة) (2).

وعندما خرج بهم موسى من مصر أمرهم بدخول الأرض المقدسة لقتال

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه.

الجبارين، فامتنعوا عن ذلك امتناعاً شديداً حتى قالوا: ﴿يَا مُوسَى إِنَّا لَنُذْخِلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24].

أيها المسلمون، ومن مخازيهم التي لا يسترها الذيل، ولا يغطيها الليل: جرأتهم على الله تعالى كقوله تعالى عنهم: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: 181]. وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 64].

وقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: 24].

ومن جرأتهم قولهم بهتاناً: إنهم أولياء الله وأحباءه فحكى الله قولهم وكذبهم فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: 18].

ومن جرأتهم قولهم بهتاناً: إن الجنة لهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111].

ومن فرط ضلالهم، وشدة عنادهم: أنهم اعتقدوا عداوة الملائكة، قال تعالى عنهم: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 97-98].

ومن مخازيهم ومعاصيهم الكبيرة: نقض المواثيق مع الله ومع الأنبياء ومع سائر الناس، وتعدّهم على الأنبياء بالقتل، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 155].

ومن مخازيهم: أن كبارهم يبيعون الدّين بعرض من الدنيا، فكيف سفلتهم؟، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 34].

أيها الأحباب الكرام، من خلال الآيات السابقة تتجلى لكم النفس اليهودية بأنها نفس تتسم بالحقّد والعداوة خاصة للمؤمنين بالله تعالى إيماناً صحيحاً؛ ولهذا بنوا على قاعدة الحقّد هذه أعمال العنف والتدمير والإيذاء للمسلمين عبر الأجيال.

والنفس اليهودية نفس غدارة لا عهد لها ولا ميثاق، ولا وفاء ولا ذمة ولا أخلاق، فكم من معاهدات قد نقضوها، ومواثيق قد غدروا فيها، قديماً وحديثاً. والنفس اليهودية نفس تتصف بالكيّد والمكر، والعمل الدؤوب للإطاحة بكل من يقف في طريق شهواتها وأهوائها، فكل من اعترض طريقهم كتموا أنفاسه. حتى أنبياءهم لم يسلموا من هذه الغاية منهم.

والنفس اليهودية نفس تتفقاً كبيراً واستعلاء وتسليطاً وبغيّاً، ولا يروق لها إلا الهيمنة على غيرها بالباطل؛ حتى تصل من ذلك إلى غاياتها الأثيمة.

والنفس اليهودية نفس تتصف بالشهوانية، والنزوات الشيطانية، ولو كان في الوصول إلى ذلك الهدف المقيت الاعتداء على الخليقة، وترك شريعة الخالق وتحريفها.

والنفس اليهودية نفس تتصف بالجن والهلح، والخوف والفرع، والماضي والحاضر يحكيان مصداق هذه الحقيقة في حروبهم، لكنهم ينتفشون ويتنفخون في وقت ضعف الحق بضعف أهله كحال المسلمين اليوم.

قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: 14].

أيها المسلمون، أما أعمالهم العدائية للإسلام والمسلمين من عهد رسولنا ﷺ إلى اليوم؛ فهي أكثر من أن تحصى، لكن من الأمثلة على ذلك:

عداوتهم الشديد لرسولنا ﷺ؛ حيث حسدوه وكذبوه، وحاولوا قتله في المدينة مرات كثيرة؛ لكونه لم يخرج من بني إسرائيل، وإنما من العرب.

ومن أعمالهم ضد المسلمين في حياة رسول الله: اعتداءاتهم الكثيرة في المدينة على المسلمين، حتى اضطر رسول الله إلى إجلائهم منها وهم يهود بني قينقاع، ويهود بني النضير.

ومن أعمالهم ضد المسلمين في حياة رسول الله: مناصرتهم لأعداء المسلمين، ونقض عهودهم معهم، كما فعلت بنو قريظة.

ومن أعمالهم ضد المسلمين في حياة رسول الله: حربهم المباشرة لرسول الله والمسلمين كما فعلوا في خيبر.

ومن أعمالهم ضد المسلمين عبر التاريخ: تعاونهم مع الصليبيين من أجل الفتك بالمسلمين وإذلالهم.

ومن أعمالهم ضد المسلمين: تهجير المسلمين من بلادهم، واحتلالهم لها، وقتل المسلمين وسجنهم وتعذيبهم، وما فعلوا ويفعلون في فلسطين.

عباد الله، إننا عندما نرى اليهودية المعاصرة، وما تقوم به وما تستعد له في المستقبل؛ فإننا لا نجد بينها وبين اليهودية العتيقة فرقاً إلا في الأساليب والوسائل التي تصل بها إلى مبتغاها الآثم.

ولذلك فهي تسير في حياتها المختلفة سيراً دينياً عقائدياً، حيث تتبنى العقيدة اليهودية في سياستها واقتصادها وثقافتها وعلاقاتها مع الآخرين.

ولما رأى النصارى القوة الإسلامية هي القوة التي يشق المستقبل لاستقبال أمجادها وعزها؛ ورأوا ما يكرهه اليهود من الحقد والعداء للإسلام وأهله؛ عقدوا حلفاً مشتركاً مع اليهود، وساعدوهم على الوصول إلى بعض أحلامهم؛ فبعد أن كان اليهود غباراً في جو الأمم، متفرقين بين جمع الناس، سعى النصارى إلى جمعهم في مكان واحد في أرض أحلامهم فلسطين، ليكونوا في قلب الوطن الإسلامي دولة تغدو خنجراً ينزف دمًا، ويبقى ينكأ الأمة عبر مرور الزمان الذليل.

وأمدّت النصرانية المعاصرة - المتمثلة في أمريكا وبريطانيا تحديداً - تلك الدولة الصهيونية بكل وسائل التقدم المعاصر، حتى غدت اليوم في مصاف الدول المتقدمة في عدة مجالات.

ودولة هذا الكيان الغاصب تعمل اليوم بجذ وقوة في حرب الإسلام والمسلمين في السر والعلن، ولا تقف أبداً عن مشروعها التدميري الرامي إلى تفتيت جسم الأمة شظايا ومزقاً لا يجمعها إلا الشتات.

فتحالفاتها مع الحملات الصليبية الجديدة، وتحكمها في بعض القرارات العالمية تنصب في مضرة المسلمين، وفي تحقيق مراميها الآسنة.

أيها المسلمون، ومن وجه الحقيقة ذلك الجانب الذي كشف عن عقوبات الله لليهود في الماضي، وما سيتظرهم من النكال في المستقبل؛ فإن الظلم مهما امتد، والبغي مهما احتد، والاعتداء مهما اشتد؛ فلا بد له من نهاية فظيعة، وعاقبة وخيمة، وجزاء أليم.

فإياك والظلمَ مهما استطعتُ فظلمُ العبادِ شديدُ الوخْمِ
وسافرْ بقلبك بين الورى لتبصرَ آثارَ من قد ظلمَ
فتلك مساكنهم بعدهم شهودٌ عليهم ولا تُثتّمهم

فالعقوبات التاريخية لليهود عبر مسيرة الزمن كثيرة متعددة، إضافة إلى العقوبات الأخروية الآتية:

ففي عقوبات الدنيا يقول تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 112].

وقد قاتلهم المسلمون في حقب زمانية ماضية؛ جزاء عنادهم وعدوانهم، وفرضوا عليهم ما أمر الله تعالى في قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29].

وأما عقوبات الآخرة عند استمرارهم على كفرهم وبغيهم حتى الموت فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 34].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿[آل عمران: 21-22].

عباد الله، إن اليهود لم يبلغوا في القوة الشاملة-خاصة القوة العسكرية والاقتصادية-مثل ما بلغوا اليوم؛ ولهذا ما زالوا يستغلون ذلك في الاعتداء على الإسلام والمسلمين، ويتجهزون بذلك لمعركتهم الفاصلة مع المسلمين في المستقبل، فهم يؤمنون بهذا كما يؤمن به المسلمون.

وهذه المعركة النهائية هي العقوبة الدنيوية التي تنتظرهم؛ مصداقاً لقول الصادق المصدوق عليه السلام: (لا تقوم الساعة حتى يُقاتلَ المسلمون اليهودَ، فيقتلُهم المسلمونَ حتى يُختبئَ اليهوديُّ من وراءِ الحجرِ والشجرِ، فيقولُ الحجرُ والشجرُ: يا مسلمُ يا عبدَ الله، هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقْتُلْهُ، إلا الغَرْقَدَ؛ فإنه من شجرِ اليهودِ) ⁽¹⁾.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

(1) متفق عليه.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

أيها المسلمون، أفبعد هذه الحقائق يستطيع العاقل أن يقول: إنه يمكن أن يكون مع هذه الشرذمة الحاقدة سلام دائم، وأمان ووئام؟

لقد ظهر قبل سنين مصطلح يهودي يدعى التطبيع، وهذه الكلمة قد اشتقت "من الكلمة الإنكليزية (Normal) بمعنى العادي أو المعتاد أو المتعارف عليه، ولا توجد مادة تطبيع في المعاجم العربية؛ لأنها محدثة، فالمعنى الحالي مأخوذ من ترجمة هذه الكلمة عن لفظة إنكليزية تم تداولها أخيراً خاصة بعد اتفاقيات كامب ديفيد، لكن يمكن تصور المعنى من كلمة التطبيع من حيث المبدأ أنه: (هو العودة بالأشياء إلى سابق عهدها وطبيعتها)"⁽¹⁾.

وغرض اليهود بهذا المصطلح: تحقيق السلام الدائم أو الشامل من العالم مع اليهود، فيجعل هذا المصطلح من دولة إسرائيل كيئناً مقبولاً في المنطقة، ويمثل إقراراً لها على سلب بيت المقدس واحتلال الأرض المباركة.

إن هذا العمل الذي يسعى فيه اليهود لا يحقق غاياته إلا بعد إحداث تغييرات ثقافية ونفسية واقتصادية وسياسية في بلدان المسلمين؛ من أجل أن يضعف الإسلام في قلوب أهلها، وتضعف بلدان المسلمين، ومن ثم يتمدد الكيان المشوّه في مساحة حلمه الجغرافية.

إن تطبيع الصهاينة مع بلاد المسلمين ليس نهاية الطريق ولا الحلم المنتظر، وإنما

(1) التطبيع (ص: 1)، الراجحي.

هو أول الطريق للهدف المنشود، فعبّر التطبيع يصلون إلى غايتهم المستقبلية.

ولأجل هذا الأمر عملوا أعمالاً متعددة، منها: إثارة القلاقل في بلاد المسلمين.

عباد الله، ما مصالح الصهاينة من التطبيع، وما مضاره على المسلمين في حال قبوله؟

فأما مصالح الصهاينة⁽¹⁾:

أولاً: جعل دولة إسرائيل في سلام دائم.

ثانياً: تعزيز الاقتصاد الإسرائيلي، عن طريق التخفيف من الميزانية العسكرية، وفتح الأسواق للمنتجات اليهودية ورفع المقاطعة عنها.

ثالثاً: القضاء على كل أشكال الجهاد الإسلامي.

رابعاً: القدرة على استيعاب اليهود الذين هم خارج الدولة، وتهجيرهم إلى فلسطين.

خامساً: التفرغ لبناء المستوطنات الإسرائيلية الجديدة لتسكين المهاجرين الجدد وتهويد الأرض.

سادساً: عندما تكتمل هذه المقومات (الاقتصاد القوي، والهيمنة العسكرية، وكثرة السكان) تبدأ المرحلة التالية لتحقيق حلم (إسرائيل الكبرى).

وأما آثار التطبيع على المسلمين:

أولاً: القضاء على عقيدة الولاء والبراء.

(1) ينظر: التبيين لمخاطر التطبيع على المسلمين (ص: 38)، للفهد، بتصرف.

ثانيًا: إضعاف المسلمين سياسيًا واقتصاديًا زيادة على ما هم عليه.

ثالثًا: القضاء على ما تبقى من الثقافة الإسلامية، والمناهج التعليمية الصحيحة التي تبين للناس حقيقة اليهود.

إن اليهود- بل أعداء الإسلام عمومًا- يعتقدون أن الخطر القادم هو الإسلام بصورته الناصعة، يقول غوريون اليهودي: "نحن لا نخشى الاشتراكيات، ولا الثوريات، ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلاً ثم بدأ يتململ" (1).

وقال شارون: "إن المشاعر الإسلامية المتنامية هي الخطر الأكبر الذي يهدد إسرائيل" (2).

ألا فلا يتعب المطبوعون أنفسهم مع العدو الغاصب، ولا يحملوا برضاه عنهم مهما سبّحوا بحمده وسجدوا له؛ فمشروع العدو واضح، وسقف رضاه قد بينه القرآن الكريم، ومن أصدق من الله قيلاً: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبْغَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120].

نسأل الله أن يرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً، وأن يرد كيد اليهود إلى نحورهم رداً وبيلاً.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشرية...

(1) التبيين لمخاطر التطبيع على المسلمين (ص: 29) عن غيره.

(2) التبيين لمخاطر التطبيع على المسلمين (ص: 23).

تَطَيَّبُوا تَطَيَّبُوا (□)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، لله في خلقه آيات بينات، وبراهين شاهدات بأنه الخالق العليم، البديع الحكيم، فلقد خلق الإنسان أعدل خلق، وصوره أحسن تصوير، ووهبه من النعم ما يعجز الإنسان عن حصره، ولا يقدر على شكره حق شكره.

فكم راحة يلتذ بها، كانت أثر نعمة أنعم بها عليه، وبليّة سلم منها كانت نتيجة منّة الله المسوقة إليه.

ألا وإن من النعم العظيمة، والمنح الجسيمة: نعمة حاسة الشم، التي منح الله الإنسان إياها ليدرك بها المشمومات، ويستدل بها على مطعوماته ومشروباته، ومحجوباته

ومكروهاته، وما يخاف من أثر رائحته على نفسه، وما يأمن بسبب وجودها على حياته.
ومع هذا كم غفل كثير من الناس عن شكر عن هذه العطية الجليلة، والمنحة
الربانية السَّنية!

غير أن الغافل قد يعرف قدرها - بلا شك - حين إصابته فيها، أو ذهابها عنه
بالكلية، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34]، وقال جل شأنه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: 13].

عباد الله، إن من نعم الله في نعمة حاسة الشم: إدراك الريح الطيبة التي تنعش
الأبدان وتحييها، وتنشطها وتقويها، وتمنحها من الراحة والسعادة ما يخفف آلامها أو
ينسيها، وتزيح عن الأذهان ما يكدرها، وعن صفاء النفوس ما يعكرها.

قال بعض الحكماء: "الرائحة الطيبة تصحح الأعضاء، كما أن الغذاء ينميها" (1).
وقال آخر ناصحاً: "واعلم أنه ليس شيء أنفع في الجوف من الرائحة الطيبة، فلا تبت ليلة
حتى تستعمل الطيب" (2).

وقال الشعبي: "الرائحة الطيبة تزيد في العقل". وقيل: من طاب ريحه زاد عقله
ومن نظف ثوبه قلَّ همه" (3).

هذه الرائحة الطيبة المرغَّب فيها: نجدها في نقيِّ الهواء، وأحضان الحدائق الغنَّاء،
وآفاق الرياض الفيحاء، التي تتراقص في جوها الأشجار الحسنة الريح، وتتميل في
أنحائها الأزهار الطيبة العُرف.

(1) المقابسات (ص: 335).

(2) البصائر والذخائر (226/6).

(3) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (385/2).

ومن فاته ذلك يمكنه أن يجدها في أريج عطر محبَّب للنفس، يتضمخ بعبيره القلب قبل الأنف، فيصنع فيه ما يصنعه الدواء من الشفاء.

ولهذا - معشر الفضلاء - جاء في شرعنا الحث على التطيب عموماً وخصوصاً:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ) (1).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَرُدُّ الطَّيِّبَ) (2).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ عَرَّضَ عَلَيْهِ رِيحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ؛ فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمُحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ) (3).

ولهذا كان الصالحون حريصين على التطيب، وظهور الرائحة الحسنة منهم بين الناس:

فَعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ (إِذَا اسْتَجَمَرَ اسْتَجَمَرَ بِالْأَلُوَّةِ - يعني: العود -، غَيْرَ مُطَرَّاةٍ - يعني: غير مخلوطة بغيره - وَبِكَافُورٍ يَطْرَحُهُ مَعَ الْأَلُوَّةِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا كَانَ يَسْتَجْمِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) (4).

وعن عكرمة قال: "كان ابن عباس يطلي جسده - يعني: بالطيب -، فإذا مر في الطريق قال الناس: أَمْرٌ ابْنُ عَبَّاسٍ، أَمْ مَرَّ الْمَسْكُ؟" (5).

(1) رواه أحمد والنسائي، بسند صحيح.

(2) رواه البخاري.

(3) رواه مسلم.

(4) رواه مسلم.

(5) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (400/2).

وكان أبا الطيب يشير إلى هذا وإن كان في غيره قاله:

أرجَ الطَّرِيقُ فَمَا مَرَرْتَ بِمَوْضِعٍ إِلَّا أَقَامَ بِهِ الشَّدَا مُسْتَوِطًا⁽¹⁾.
قال أبو الفيحاء: "رأيت على رأس ابن عباس من المسك ما لو كان لي لكان رأس مال"⁽²⁾.

"وكان الزهري تشم منه رائحة المسك حتى من علاقة سوطه"⁽³⁾.

أيها المؤمنون، يتأكد استحباب التطيب عند الذهاب إلى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 31].

قال بعض المفسرين: "الزينة هاهنا: الثياب الساترة، ويدخل فيها ما كان من الطيب للجمعة والسواك، وبدل الثياب، وكل ما وجد استحسانه في الشريعة، ولم يقصد به مستعمله الخيلاء"⁽⁴⁾.

وقال رسول الله ﷺ (اغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَاغْسِلُوا رُءُوسَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا جُنُبًا، وَأَصِيبُوا مِنَ الطَّيِّبِ)⁽⁵⁾.

قال أبو قلابة: "كان ابن مسعود إذا خرج من بيته إلى المسجد عرف جيران الطريق أنه قد مرّ؛ من طيب ريحه"⁽⁶⁾.

(1) نفع الأزهار في منتخبات الأشعار (ص: 41).

(2) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (400/2).

(3) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (386/2).

(4) تفسير ابن عطية (392/2).

(5) رواه البخاري.

(6) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (400/2).

وكذلك يستحب التعطر عند القيام لصلاة الليل؛ فقد كان السلف الصالحون يستحبون إذا قاموا من الليل أن يمسوا مقادير لحاهم بالطيب. وعن تميم الداري أنه اشترى حلة بثمانمائة وهياً طيباً، فإذا قام من الليل تطيب، ولبس حلته، وقام في المحراب (1).

وإذا كان التطيب -معشر المسلمين- يستحب للذهاب إلى الصلوات في المساجد؛ فإن تطيب المساجد وتبخيرها والاعتناء بنظافتها حتى لا تظهر فيها رائحة كريهة؛ مما ينبغي للمسلمين العناية به، والالتفات إليه.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَأَنْ تُنْظَفَ وَتُطَيَّبَ) (2).

عباد الله، ما أجمل أن يتطيب المسلم حين يقرأ القرآن، وعندما يتحدث بالوعظ عن الله تعالى، ويوم أن يحدث عن رسول الله ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال مطرف: "كان مالك إذا أتاه الناس خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ: تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل: خرج إليهم وأفتاهم وإن قالوا: الحديث قال لهم: اجلسوا ودخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثياباً جديداً وتعمم، وتلقى له المنصة، فيخرج إليهم وعليه الخشوع، ويوضع عود فلا يزال يتبخر حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ (3).

ومن أحسن أن يتطيب الإنسان عند لقاء الناس؛ حتى يجدوا منه الرائحة الطيبة؛

(1) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (401/2).

(2) رواه أحمد والترمذي وأبو داود، وإسناده صحيح.

(3) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (109/1).

فإن تلك الرائحة الحسنة تجبُّ صاحبها إلى من يجالسه، وتقربه منهم؛ فالأنف بشمها طريقاً إلى المحبة إن وجدت ريحاً طيبة، أو طريق إلى الكراهية إذا شمت رائحة غير مستملحة.

كما قيل :

بخورٌ مثلُ أنفاسِ الحبيبِ وطيبٌ قد أخلَّ بكلِّ طيبِ
يظلُّ الذيلُ يستره ولكن تنمُّ عليه أنفاسُ الجنوبِ
إذا ما شمَّ أنفٌ حنَّ قلبٌ كأنَّ الأنفَ جاسوسُ القلوبِ (1).

كان أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يأمر بعض جواريه بتهيئة طيب يتطيب به للقاء بعض من يأخذ عنه الحديث (2).

أيها الأخيار الفضلاء، إذا كان أثر الطيب جميلاً في لقاء الإنسان بمعارفه وأصدقائه وغيرهم؛ فإنه أثره بين الزوجين أكثر جمالاً وأحسن أثراً؛ فهو يزيد المودة والحب، ويقرب القلب من القلب، ويدعو إلى حسن العشرة وحب التلاقي والصفاء.

فكم نفور زوجي سببه قلة العناية بحسن الرائحة، وهجر العطر الحسن، حتى تظهر الروائح النتنة التي تحذر الآخر من قربان صاحبها.

وإذا كان الطيب يطيب من الزوج فهو من الزوجة أطيب وأحب، وأدعى لحسن وصل زوجها ومدحه لها.

يقول الشاعر :

(1) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (386/2).

(2) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (401/2).

وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطَّيْبِ طَيِّبًا أَنْ تَمَسِّيهِ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا
وَإِذَا الدَّرُّ زَانَ حُسْنٌ وَجْهٍ كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهٌ زَيْنًا⁽¹⁾.

معشر المسلمين، لما كان الطيب داعيًا إلى ميل النفوس إلى مَنْ شَمَّ منه، فقد نُهِيت النساء شرعًا عن التعطر في حالين:

أحدهما: عند الخروج من المنزل إلى الشوارع والأسواق والبيوت وأماكن العمل أو الدراسة وغير ذلك؛ لأن رائحة العطور من المرأة الأجنبية تؤذي قلوب الصالحين، وتستجلب خطي الطالحين لتتبع المرأة وإيذائها بالقول أو الفعل، وأي امرأة عفيفة تحب لنفسها هذا؟

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ، لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلَاةٌ حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ)⁽²⁾.

وأما إذا قصدت بتطيبها أن يشمها الرجال فقد جاء في حقها وعيد شديد عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

ويحسن التنبيه هنا إلى ما تصنعه بعض النساء من التطيب والتبخير عند الخروج إلى صالات الأفراح، أو الحفلات في البيوت، أو تتعطر في مكان الفرح لتعود إلى منزلها بعد ذلك فيشم الناس منها رائحة العطر في الطرقات، ووسائل المواصلات، وهذا منكر عظيم يدعو إلى التعدي على النساء وهتك الحرم.

وثاني الحالين اللذين تمنع المرأة من التعطر فيهما: مدة الإحداد، فالمرأة المعتدة عن

(1) البيان والتبيين (1/171).

(2) رواه أحمد وابن ماجه، وإسناده صحيح.

موت زوجها تُمنع من التعطر حتى تنقضي عدتها؛ وكان ذلك المنع لها قطعاً للذرائع والتهم، وحتى لا يُعجلَ المعتدة طيبُ الريح إلى التشوف إلى الزواج فتكذب في انقضاء عدتها قبل انتهاء مدتها.

قال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن المرأة المُحَدِّد: (وَلَا تَمَسُّ طَبِيًّا، إِلَّا إِذَا طَهَّرَتْ) ⁽¹⁾.

عباد الله، إذا توجه المسلم إلى الحج أو العمرة فوصل الميقات فإنه يستحب للرجل أن يغتسل ويطيب بدنه بالطيب؛ لأنه مقبل على زحام وأعمال فيها جهد يصيب العرق من جسده، فيخفف ذلك التطيب كريح الرائحة المنبعثة منه.

ففي الصحيحين (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْرِمَ يَتَطَيَّبُ بِأَطْيَبِ مَا يَجِدُ).

ولكن إذا لبس الإحرام فلا يحل له التطيب حتى يحل من نسكه.

ولا ننسى -أيها الفضلاء- أنه يستحب لمن يقوم على تجهيز الميت أن يخلط ماءً تغسيله بشيء من الطيب، والكافور أولى، كما يستحب كذلك: تطيب بدن الميت وكفنه؛ حتى تكون رائحته حسنة عند تشييعه ودفنه، وحتى يلقي الله تعالى في قبره على حال ظاهرة حسنة، ورائحة زكية عطرة.

قال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (إِذَا أَجْمَرْتُمُ الْمَيِّتَ فَأَجْمِرُوهُ ثَلَاثًا) ⁽²⁾.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

(1) متفق عليه.

(2) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابِيهَقِي بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

الخطبة الثانية

الحمد لله العلي الغفار، والصلاة والسلام على نبينا الطيب المختار، وعلى آله الأَطهار وصحابته الأبرار، أما بعد:

أيها المسلمون، إن من طابت أعماله طابت روحه، ومن طابت روحه طابت رائحته؛ فالإنسان الصالح يعتني بنظافة روحه بتقوى ربه، وبنظافة جسده بطيب رائحته، فيحرص على تعاهد الطيب، ويحافظ على سنن الفطرة العشر؛ لأنها من الدين؛ **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**: (عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْقَاءُ اللَّحْيَةِ، وَالسَّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَتَنْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ يَغْنِي: الْإِسْتِنْجَاءَ) (1).

فلذلك يغدو طيب البدن وطيب الروح.

ولعلكم تجدون -معشر الصالحين- أن البعيدين عن الطاعات، المنهمكين في الخطيئات روائحهم كريهة ولو تطيبوا، والسبب: أن خبث الروح وننتها يخرج إلى الظاهر في العرق والفم.

يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**: "تنن الروح والقلب يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره. والعرق يفيض من الباطن؛ ولهذا كان الرجل الصالح طيب العرق. وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أطيب الناس عرقا. قالت أم سليم - وقد سأله رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** عنه وهي تلتقطه -: (هو من أطيب الطيب). فالنفس النجسة الخبيثة يقوى خبثها ونجاستها حتى يبدو على الجسد، والنفس الطيبة بضدها، فإذا

تجردت وخرجت من البدن وجد لهذه كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض،
ولتلك كأتّن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض" (1).

فإذا خرجت الروح من البدن وجد الملائكة طيباً للروح الطيبة، وخبثاً للروح
الخبیثة؛ كما قال رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ
الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ
الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ حَرِيرَةٌ بَيْضَاءُ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ
يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ - عليه السلام - حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: اخْرُجِي أَيَّتْهَا
النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَأَنْتِ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ... فَيَأْخُذُهَا مَلَكُ الْمَوْتِ - عليه السلام - وَيَخْرِجُ
مِنْهَا كَأَطِيبَ رِيحٍ مِسْكٍ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ...). إلى قوله: (فَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ:
رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ - بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ
الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا -، فَيَقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَأَنْتِ فِي الْجَسَدِ
الطَّيِّبِ...) إلى قوله بعد أن يكون في القبر: (وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ،
طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ
أَنْتِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ).

ثم قال: (وَأَنَّ الرَّجُلَ السَّوَّاءَ إِذَا اخْتُصِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ
الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ:
اخْرُجِي أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَأَنْتِ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ) إلى قوله: (وَيَخْرِجُ مِنْهَا كَأَتَّنِ رِيحُ
جِيْفَةٍ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ...) إلى قوله: (ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا فَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ
خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قَبْلِ الْأَرْضِ، مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ - بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي

كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا فَيَقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْحَيَّةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْحَيِّثِ) إِلَى قَوْلِهِ: (وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتَتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرُ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟، فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْحَيِّثُ) (1).

فطوبى - يا عباد الله - لمن طابت روحه بعمل الصالحات، وطاب جسده بعبير الأطياب الزاكيات، وعُني بنظافة قلبه وبدنه، وراعى بالنظافة الأولى والثانية حقَّ ربه، وبالثانية حق بني جنسه ممن يلتقي به.

جعلنا الله وإياكم ممن طاب روحاً وجسداً، وباطناً وظاهراً.

هذا وصلوا وسلموا على الطيب المطيب، الحبيب المقرب، نبينا محمد خير البشرية...

(1) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

رحلة الهجرة النبوية: دروس وعبر (□)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، لقد بلغ الأذى مدى لم يعد يحتمله الصابرون، ولم يستطع العيش مع تناميهم المؤمنون الأولون، ولم يكن هناك حيثئذ إذن بالمواجهة الملحمية ناله المعذبون، فكان لابد من حلٍّ يوصل إلى السلامة والأمان، وتورق تحت آفاهه أغصان الهدى والإيمان.

فجاء الإذن من الله بعد ذلك بالرحلة المقدسة ومفارقة الأهل والديار؛ حفاظاً على نور الإيمان من الأفول، وصيانة للنفوس الزكية من الذبول؛ ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِيَّ وَأَسَعَةَ فَيَايَا فَاْعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: 56].

فهاجر المهاجرون المكيون إلى الحبشة الهجرتين الأولى والثانية، ثم جاء موعد الهجرة الكبرى إلى المدينة، فهاجر عدد من المسلمين، حتى تلتها هجرة النبي ﷺ

(1) أُلقيت في مسجد الأنوار في: 1443/12/30 هـ، 2022/7/29 م.

ويرافقه فيها الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عباد الله، لقد عقد المشركون مؤتمراً كان قراره النهائي وتوصية المؤتمرين فيه: أن يتخلصوا من شخص النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فجهزوا فرقة الاغتيال على باب الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليلاً.

وعقب ذلك المؤتمر العدواني جاء الإذن للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالهجرة، فرسم خطة الانطلاق رسماً محكماً، ثم ترك علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكانه على فراشه، وصحب أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رحلته حتى وصلا إلى غار ثور، فمكثا هناك ثلاثاً، ثم واصلتا سيرهما بعد ذلك حتى وصلا بسلامة الله وحمايته إلى المدينة يوم الاثنين 8 ربيع الأول سنة 14 من النبوة - وهي السنة الأولى من الهجرة - الموافق 23 سبتمبر سنة 622م، بعد رحلة دامت اثني عشر يوماً.

أيها المؤمنون، إن رحلة الهجرة النبوية محطة يقف فيها الفكر متدبراً متأملاً يرى في أحداثها ومجرياتها أنواراً من الدروس الواعظة، والوقفات التربوية النافعة، التي تستنهض الإيمان، وتصلح النفس، وتنير الذهن والوجدان.

فمن يقرأ تفاصيل هذه الرحلة وخيوط امتدادها يرى فيها دقة التنظيم النبوي، وحسن إدارة نجاحها، وترتيب أسباب الوصول منها إلى الغاية المرجوة بأمان.

فانظروا - رحمكم الله - كيف اختار رسول الله الرفيق قبل الطريق وهو خليفته الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهياً أمير المؤمنين علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل مجيء الليل لبيت معه في المنزل، ويكون على فراشه؛ إيهاماً لفرقة الاغتيال التي تطوق بيت رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وكيف جهز الزاد والراحلتين، وهياً الدليل الخريّت على الطريق، واختار الطريق

الذي لا تلتفت له أنظار قريش أول مرة عند العلم بخروجه، فاختار الطريق الذي يضاد طريق المدينة وهو الطريق الواقع جنوب مكة، والمتجه نحو اليمن، وكيف جهزا المسؤول الغذائي والمسؤول الإعلامي، وكيف كمن مع صاحبه في الغار ثلاثاً حتى كف الطلب عنها.

فالإسلام -معشر المسلمين- يعلمنا النظام والترتيب والإدارة الناجحة في مشروعات حياتنا بل في أعمالنا كلها.

أيها الإخوة الفضلاء، إن هذه الرحلة المقدسة تشرق نواحيها بتضحيات جسيمة، قدّمها النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وعلي وأبو بكر وأسرته حتى يصل النور إلى كل الآفاق.

فهذا النور الذي وصلك -أيها المسلم- إنما هو شعاع من أشعة تلك الرحلة النورانية التي بلغ ضياؤها أرجاء الدنيا منطلقاً من المدينة المنورة.

فاشكر هذه النعمة بالتمسك بدينك، والدفاع عن عقيدتك.

في هذا الحدث الإسلامي العظيم نتعلم أن التفكير في حل المشكلات، والخروج من قبضة الأزمات؛ هو الموقف الصحيح، وليس الاستمرار في تجرع مرارات المصائب، والبقاء في بوتقة جراحاتها المؤلمة، والاستسلام المميت لتتائجها السيئة، فليس كل مؤمن يستطيع الثبات في مواجهة الباطل محافظاً على صبره وإيمانه. أما من استطاع الصبر الجميل في البلاء الشديد فهذا قليل.

قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، وَلَمْ يَأْتِ بِفَصْبَرٍ فَوَاهَاً) (1).

(1) رواه أبو داود والبخاري بسند صحيح.

معشر الفضلاء، في هذه الرحلة المباركة تتمثل لنا حماية الله لأوليائه، وعنايته العظيمة بهم، وتوفيقه الكبير لهم، فأبو بكر يُلدغ من أفعى سامة ويبقيه الله رفيقاً لنبيه دون أن يموت من سم تلك اللدغة.

والمشركون يبحثون عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وصاحبه في كل سبيل، حتى وصلوا إلى باب الغار، فلما وصلوا أعماهم الله عن رؤيتهما، كما أعماهم ليلة الخروج من مكة، حتى رجعوا خائبين.

عن أبي بكر الصديق، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: (يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما) ⁽¹⁾.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

فكن -أيها المسلم- مؤمناً وأبشر بمعية الله لك وحمايته وتوفيقه؛ فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128].

وفي هذا الحدث التاريخي الكبير يتجلى لنا فضل خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي جند نفسه وأهله وأنفق ماله من أجل نجاح هذه الرحلة السنية، التي يعلم أن عظم مخاطرها؛ فقد خاطر بنفسه ليكون المرافق الشخصي

للمطلوب الأول لقريش، وجهاز راحلتين، وكانت ابنته تأتيهما بالطعام إلى الغار، بل قد لطمها أبو جهل في خدها حتى أسقط قرطها عندما سألها عن أبيها بعد خروجه مع رسول الله.

وكان عبد الله ابن أبي بكر يبيت عندهما في الغار إلى السحر ثم يرجع إلى مكة كأنه بئث فيها ويجمع في النهار الأخبار حتى يأتيهما بها، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يتبع بغنمه أثر عبد الله بن أبي بكر بعد ذهابه إلى مكة ليعفي أثر أقدامه.

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: (إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي فهل أنتم تاركوا لي صاحبي) ⁽¹⁾.

وفي هذه الرحلة أيضاً بيان فضل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي وقى رسول الله ﷺ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بنفسه حين بات على فراشه وهو يعلم أن السيف مصلته على باب رسوله.

ولكن الله تعالى حماه فلم يصبه المشركون بأذى.

أيها المؤمنون، وفي هذه الرحلة أيضاً يبدو لنا دور المرأة المسلمة في نصرته الإسلام وإعانة أهله المدافعين عنه، فالإسلام لن يقوم عموده إلا بجهود أهله من الرجال والنساء، فعلى المرأة المسلمة أن تسأل نفسها: ماذا قدمت لدينها؟

فأسماء كانت مسؤولة التغذية في هذه الرحلة؛ فقد روى البخاري في صحيحه عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: "صنعت سفرة رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر، حين أراد أن

يهاجر إلى المدينة، قالت: فلم نجد لسفرتة، ولا لسقائه ما نربطهما به، فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئاً أربط به إلا نطاقي، قال: فشقيّه باثنين، فاربطيه: بواحد السقاء، وبالأخر السفرة، ففعلتُ، فلذلك سُمِّيَتْ ذات النطاقين".

ومن حادثة الهجرة نتعلم أن هذا الدين يحتاج إلى عطاء كبير من جميع المسلمين على اختلاف أسنانهم ومراتبهم وعلومهم، فليس الدين مهمة رجال الدين كما يقولون، وهم العلماء والدعاة وطلبة العلم، بل كل مسلم رجل دين، وعليه مهمة في نصره والحفاظ عليه بقدر استطاعته ومواهبه.

ولو استشعر كل مسلم ومسلمة هذه القضية وصار يخدم الإسلام في أي مكان هو فيه لرأينا الإسلام والمسلمين في حال أحسن وأعز مما هم عليه اليوم.

عباد الله، تأملوا في حادثة الهجرة وانظروا كيف فارق رسول الله ﷺ والمهاجرون وطنهم الذي يحبونه، ومرباهم الذي يألفونه، وتركوا أهاليهم وجيرانهم وأصدقاءهم، ويمّموا أرضاً غير أرضهم، وأهلاً غير أهلهم، فقراء إلا من الإيمان الراسخ، غرباء إلا من أنيس المنهج الواضح، مبتدئين حياة جديدة في أرض جديدة يعمرها الصبر والمصابرة، ويكسوها سعادة الهدى الغامرة، ولو خرجوا بلا أموال وبعضهم بدون زوجات ولا أطفال، خلفوا كل ذلك وراء ظهورهم، وأيقنوا أن الوطن الحقيقي هو المكان الذي يستطيعون فيه عبادة الله بلا خوف، وإظهار شعائر دينه على اغتباط، وأن ملاعب الصبا، ووطن المنشأ لا يساوي شيئاً إذا كان يحارب دين الله ويضيق على أهله، فلا قداسة لمعالم ورسوم وتراب عاش فيها المسلم وهي تشاقق الله ورسوله، وتعادي المؤمنين بهما.

لقد صارت الأوطان اليوم كعبة مقصودة وجنة مقدمة على جنة الآخرة لدى

بعض عشاق الوطنية وأسراء القومية، بدلاً عن الرابطة الإسلامية والهوية الإيمانية.

حتى قال بعضهم:

ويا وطني لقيتُك بعد يأسٍ كأني قد لقيتُ بك الشباب
أديرُ إليك قبل البيتِ وجهي إذا فهتُ الشهادةَ والمتاباً⁽¹⁾.

وقال الشاعر نفسه:

وطني لو شغلتُ بالخلدِ عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي⁽²⁾!
فجازى الله تعالى بالأجور الوفيرة، والعواقب الحسنة الكثيرة أولئك المهاجرين
الأولين الذين تركوا الوطن الطافح بالفتن، واختاروا عنه مدينة الإيمان والأمن:
قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا
لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: 195].

وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ
مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 110].

وقال: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ
مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 100].

نسأل الله أن يجعلنا من المعتبرين، وأن يلحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا محرومين.

(1) ديوان أحمد شوقي (ص: 43).

(2) ديوان أحمد شوقي (ص: 189).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي لا عز إلا في طاعته، ولا سعادة إلا في نيل معيته وكفايته، والصلاة والسلام على المبعوث إلينا برسالته، وعلى آله وصحابه. وسلمها تسليماً.

أيها المسلمون، لقد طوى هذا الحدث التاريخي حقبة زمنية مليئة بالجراح والآلام، فسيحة بالقهر وتسلط الطغام، طافحة بألوان من الصبر الطويل على الكبت والإيذاء والتنكيل.

طوى هذا الحدث آلام بلال في رمضاء مكة وهجيرها اللافح، والصخرة العظيمة تجثم على صدره وهو يقول: "أحد أحد".

وطوى هذا الحدث أوجاع عمار وآل ياسر يوم كان رسول الله يمر بهم وهم يُعذَّبون في بطحاء مكة ولا يقدر على نصرتهم، غير أن يقول لهم: (صبرا آل ياسر! فإن موعدكم الجنة).

وطوى هذا الحدث شكوى خباب إذ يقول لرسول الله: "أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟"

وقد كان المشركون "يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذباً، ويلوون عنقه تلوية عنيفة، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة، ثم وضعوا عليه حجراً؛ حتى لا يستطيع أن يقوم".

ليفتح هذا الحدث الكبير بعد ذلك صفحة إسلامية جديدة مشرقة بالعز والتمكين، وعلو راية هذا الدين، وامتداده شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً.

فبعد حدث الهجرة صار للمسلمين وطن يحكمه الإسلام، وتتسع فيه التشريعات والآداب والأحكام، وأقيمت فيه دولة دانت لها الدنيا، وامتد خيرها حتى عم أرجاء البسيطة، وما خير اليوم الإيماني إلا من أنوارها المدنية.

وصار ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -الذي كان دني الشأن بين أهل مكة- يضع رجله على صدر أبي جهل، فيقول أبو جهل له: "لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويحي الغنم".
وغدا بلال ينتصر في بدر من ظالمه أمية بن خلف، فيجتمع مع عدد من الأنصار فيهبرون أمية بأسيا فهم حتى برد.

فكان من الجدير بالعناية-يا عباد الله- أن يؤرخ بهذا الحدث تاريخ المسلمين بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إحياء لذكرى هذا الحدث العظيم، وشكراً لله على هذا الفضل العميم.

فحري بالمسلمين أن يعتمدوه تاريخاً في كل معاملاتهم الرسمية والشخصية، وأن يجعلوه أصلاً، والتاريخ الميلادي تبعاً.

أيها الإخوة الكرام، ها نحن نودع عاماً هجرياً ونستقبل آخر، فكيف نودع وكيف نستقبل؟

لقد مر عامنا المودّع وهو مثخن بمعاصينا، مشحون بآلامنا، ولكن فيه نعم ظاهرة من الله علينا.

فلا أحسن من أن نودعه باستغفار من ذنوبنا وتوبة نصوح من معاصينا، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31].

ونودعه باحتساب آلامنا ومكارهنا ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19].

ونودعه بالشكر الله على نعمه علينا، فالشكر يحفظ النعم الموجودة، ويجلب النعم المفقودة، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

ومن ثم -يا عباد الله- نستقبل عامنا الجديد بصفحة بيضاء مشرقة بالتفاؤل وحسن الظن بلا يأس ونظرة سوداوية. قال رسول الله ﷺ قال: (إن الله جل وعلا يقول: أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله) (1).

ونستقبل العام الجديد بعزم صادق على المحافظة على واجبات الدين، والبعد عن محظوراته، والمصارعة إلى خيراتاه.

ولنعلم أن الهجرة إذا كانت قد انقطعت من مكة إلى المدينة فإنها باقية في الأمة في الهجرة إلى الله بترك السيئات، قال رسول الله ﷺ: "(المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ)" (2).

فيا عباد الله، اقرأوا رحلة الهجرة النبوية بتأمل واعتبروا بأحداثها، واعرفوا التضحيات الجسيمة التي جرت فيها، وودّعوا عامكم بخير ما يودّع مودّع، واستقبلوا العام الجديد استقبال ضيف كريم من مضيف كريم.

جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلوا وسلموا على البشير النذير...

(1) رواه ابن حبان بسند صحيح.

(2) متفق عليه.

عقوبات اعوجاج اللسان الدنيوية والأخروية (□)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، هناك شيء إذا أحسن الإنسان استعماله أوصله إلى كثير من الخيرات الدنيوية والأخروية، ومتى أساء الولاية عليه ساق إليه كثيراً من الأضرار العاجلة والآجلة.

والعجيب أن كل إنسان يعرف هذا عن هذا الشيء الصغير في حجمه، الكبير في أثره، ولكن الكثير من الناس يتغافلون عن سلوك سبيل منافعه، وينساقون نحو سُبل معاطبه.

يناديهم القرآن أن يحذروا من خطره؛ حتى يسلموا من ضرره، ولكن القليل من الناس من يستجيب لذلك النداء.

(1) أُلقيت في مسجد الشوكاني في: 18/3/1444هـ، 14/10/2022م.

وتناديهم السنة النبوية أن يسارعوا إلى استغلاله في صالح الأمور؛ حتى ينالوا كثيراً من الأجور، غير أن المعرضين أكثر من المستجيبين.

وتناديهم أقوال الحكماء، ونصائح العقلاء، وعبر الزمان ومواعظه، بأن يمسكوا زمامه إلا في الخير، غير أن أكثر الخلق عن تلك العظات في صمم مطبق.

هل عرفتم -معشر المسلمين- ما هذا الذي نتحدث عنه؟

إنه اللسان الذي به يكرم المرء، أو يهان.

عباد الله، لقد خلق الله تعالى اللسان ليتنفع به الإنسان، ويصل به إلى ما يرجو من المصالح، ويستدفع به ما يخشاه من المضار، وجعله سيد الجوارح الذي إذا استقام استقامت، وإذا اعوج اعوجت.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان-أي: تخضع له وتذل- فتقول: اتق الله فينا؛ فإننا نحن بك، فإن استقمتم استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا) (1).

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "اللسان قوام البدن، فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، وإذا اضطرب اللسان لم تقم له جراحة".

بل إن للسان أثراً على القلب: صلاحاً وفساداً؛ فزيادة صلاحه بصلاح اللسان، وزيادة فساد بفساد اللسان.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (لا يستقيم إيمان عبد حتى

(1) رواه أحمد والترمذي، وهو حسن.

يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ⁽¹⁾.

فَإِذَا كَانَ ابْنُ آدَمَ -مَعِشَرُ الْمُسْلِمِينَ- حَرِيصًا عَلَى حِفْظِ لِسَانِهِ، رَقِييًا عَلَى كُلِّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ فَمَا أَكْثَرَ صَلَاحَهُ وَهَدَاهُ، وَمَا أَسْلَمَ مَالَهُ وَعُقْبَاهُ!

عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: "مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٍ يَكُونُ لِسَانُهُ مِنْهُ عَلَى بَالٍ، إِلَّا رَأَيْتَ صَلَاحَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ عَمَلِهِ".

وَأَمَّا إِذَا فَسَدَ اللِّسَانُ فَمَا أَكْثَرَ مَا يَفْسُدُ مِنَ الْجَوَارِحِ، وَمَا أَعْظَمَ مَا يَجْرُ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالشَّرُورِ عَلَى صَاحِبِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ارْتَقَى الصِّفَا فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: يَا لِسَانَ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمُ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (أَكْثَرَ خَطَا أِبْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ)⁽²⁾.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو ذَرْبَ اللِّسَانِ -أَي: شَرَّهُ وَفَحْشَهُ-) ⁽³⁾.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ اللِّسَانَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، وَلَطَائِفِ صَنْعِهِ الْغَرِيبَةِ. فَإِنَّهُ صَغِيرٌ جَرْمُهُ، عَظِيمٌ طَاعَتُهُ وَجُرْمُهُ، إِذْ لَا يَسْتَبِينَ الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ إِلَّا بِشَهَادَةِ اللِّسَانِ، وَهِيَ غَايَةُ الطَّاعَةِ وَالْعَصْيَانِ. وَأَعْصَى الْأَعْضَاءَ عَلَى الْإِنْسَانِ اللِّسَانُ؛ فَإِنَّهُ لَا تَعَبَ فِي إِطْلَاقِهِ وَلَا مَوْنَةَ فِي تَحْرِيكِهِ. وَقَدْ تَسَاهَلَ الْخَلْقُ فِي الْإِحْتِرَازِ عَنْ آفَاتِهِ وَغَوَائِلِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ مَصَائِدِهِ وَحِبَائِلِهِ، وَإِنَّهُ أَعْظَمُ آلَةٍ لِلشَّيْطَانِ فِي اسْتِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ.

(1) رواه أحمد بسند حسن.

(2) رواه البيهقي والطبراني، وهو صحيح.

(3) رواه البيهقي وأبو يعلى، وهو صحيح.

واللِّسان رحب الميدان، ليس له مردّ، ولا لمجاله منتهى وحدّ، له في الخير مجال رحب، وله في الشرّ ذيل سحب، فمن أطلق عَذْبَةَ اللِّسان، وأهمّله مرخيّ العنان؛ سلك به الشَّيْطان في كلّ ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار، إلى أن يضطرّه إلى البوار، ولا يَكُوبُ النَّاسُ في النَّارِ على مناخرهم إلّا حصائدُ ألسنتهم، ولا ينجو من شرّ اللِّسان إلّا من قيّده بلجام الشرّ، فلا يطلقه إلّا فيما ينفعه في الدُّنيا والآخرة، ويكفّه عن كلّ ما يخشى غائلته في عاجله وآجله.

ذلك أنّ خطر اللِّسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلّا بالصَّمت؛ فلذلك مدح الشرّ الصَّمت وحثّ عليه. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من صمت نجا) ⁽¹⁾ (2).

ولهذا كانت السلامة-أيها الكرام- في إمساك اللسان، وإطالة حبسه، إلّا في نفع يُرجى ثوابه، أو مباح يؤمن سوء عاقبته.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "والله الذي لا إله إلّا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان".

أيها المؤمنون، إن الكلمة التي ينطقها الإنسان أو يكتبها لها شأن خطير، وأثر كبير؛ فرب كلمة تجلب ثواباً، أو تمنع عقاباً، أو تصلح شقاقاً، أو تهدي ضالاً، أو ترشد حائرًا، أو تطفئ محنة، أو تقطع دابر فتنة، أو تُدخل الجنة، وتُنبئ رضوان رب العالمين.

ورب كلمة أخرى تجني إثماً، وتُظلم فهمًا، وتشعل فتناً، وتصنع محناً، وتضل إنساناً، وتمحو إيماناً، وتهيج شراً كان كامناً، وتخيف من أمسى آمناً، وتسوق إلى البوار،

(1) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وهو صحيح.

(2) إحياء علوم الدين (108/3).

وتدخل صاحبها النار.

واسمعوا ما روى علقمة وما قال عقب ما روى: عن علقمة بن أبي وقاصٍ الليثي قال: سمعتُ بلالَ بنَ الحارثِ صاحبَ رسولِ الله ﷺ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ؛ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ؛ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ⁽¹⁾). قال علقمة: كَمْ مِنْ كَلَامٍ قَدْ مَنَعَنِيهِ حَدِيثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ!.

قال الشاعر:

أرى تحت الرمادِ وميضَ نارٍ فيوشكُ أن يكون لها ضرامُ
فإنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكَّى وإنَّ الحَرْبَ أَوْهَا الكَلَامُ.
أيها الإخوة الفضلاء، رأيتم عظم الكلمة التي يفوه بها اللسان، وخطر آثارها على الإنسان.

ألا إن كثيراً من البشر لم تنفع معهم المواعظ، ولم تُجدِ نفعاً في زجرهم النصائح، حتى يحسنوا استعمال اللسان في الكلام الذي لا يضر النطق به.

ولما كان صلاح اللسان والسلامة من فسادِه أمراً لا بد منه لصلاح الدين والدنيا؛ رتبت الشريعة الحكيمة على بعض الكلمات كفارات في الدنيا.

وهي في الحقيقة عقوبات على عجلة اللسان، وتهاون صاحبه في إطلاق العنان له.

والحكمة من تلك العقوبات الشرعية: أن يمسك الناس ألسنتهم، ويراقبوا

(1) رواه أحمد وأبو حنبل وغيرهما، وهو صحيح.

كلماتهم قبل النطق بها، ولا يعودوا إلى ما قالوا.

فالرجل حين يقول لزوجته: أنت علي كظهر أمي أو أختي أو بنتي، أو نحوها من العبارات الداخلة في حكم الظهار؛ فالعقوبة والكفارة لهذا القول المتعدي: تحرير رقبة، فإن لم يجد المظاهر ذلك فعليه صيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكينا.

وكم إنسان يعض أصابع الندم بعد قول هذه الكلمة، ويتمنى أنه ما نطق بها؛ لثقل كفارتها.

وليس هذا فحسب، بل إنه لا يجوز للمظاهر أن يقرب زوجته حتى يقوم بهذه الكفارة.

وحين يقذف الرجل أو المرأة رجلاً أو امرأة بالفاحشة من غير بينة فالعقوبة: أن يُجلد القائل ثمانين جلدة، ولا تُقبل له شهادة بين المسلمين حتى يتوب من فسقه.

وعند ما يحلف الإنسان فيحنث فكفارة ذلك: أن يطعم عشرة مساكين أو يكسوهم، أو يحرر رقبة، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام، وقد قال الله تعالى له عقب ذلك: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: 89].

وإذا قال الرجل لزوجته: أنت طالق - وكانت الطلقة الثالثة - وقد يكون ذلك باستعجال من غير تريث وسبب صحيح يدعو إلى الطلاق؛ فالنتيجة: أن زوجته تُحرّم عليه فلا تعود إليه إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره؛ حتى يراقب بعد ذلك لسانه فلا يتلفظ إلا بما رأى فيه السلامة وحسن العاقبة، والمصلحة المتحققة.

وكم من إنسان تلفظ بالطلاق من غير تعقل وحكمة فرجع نادماً، وأسف على

عجلة لسانه الذي أورده إلى هذا المورد.

هذا -معشر الفضلاء- في حق الخلق، وأما فيما يتعلق بحق الله أو رسله أو كتابه أو دينه، فإن الواجب حفظ اللسان عن كل قول يسيء إلى هذه المقدسات؛ فمن نطق بكلمة سوء في حقها وحكم عليها الشرع بالكفر؛ فقد خرج عن الإسلام، وصار مرتدًا، تجري عليه أحكام المرتدين في الشريعة الإسلامية.

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْتُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: 65-66].

ونزلت هذه الآيات لقول بعض الناس في غزوة تبوك: "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء!". يريدون رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وأصحابه.

عباد الله، إن الإنسان حين يعيش بين الناس حافظًا للسانه، مقبلًا على شانه، لا يسمع الناس منه إلا الجواب الطيب، والخطاب الحسن؛ فإنه يسلم من شرهم، وتعظم منزلته عندهم.

ولكن عندما يفحش قوله، وينطق لسانه بالسوء: سبًا وشتمًا وطعنًا وسخرية وعدوانًا قوليًا عليهم؛ فإنه يجني مَرَّ فلتات لسانه، وعواقب بذيء قوله؛ فكم من مشكلة جرت بين الناس أدت إلى عراق أو جراح أو قتل سببها بذاءة اللسان وعدوانه.

ومن يقرأ في كتب التراجم والتاريخ والآداب يجد شعراء قتلتهم أشعارهم الهجائية؛ فما الذي قتل الشاعر طرفة بن العبد إلا هجاؤه، وما الذي قتل الشاعر سالم بن دارة إلا

هجاؤه، وما الذي قتل الشاعر أحمد بن الحسين الملقب بالمتنبى إلا هجاؤه.

وهذا أعشى همدان كان ممن خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، وهجاه بقصائد، ومدح ابن الأشعث بأخرى، حتى ظفر به الحجاج فصار أسيراً بين يديه، وهو القائل في مدح ابن الأشعث:

وَإِذَا سَأَلْتَ الْمَجْدَ أَيَّنَ مُحَلُّهُ فَاَلْمَجْدُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدِ
بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٍ بَخْ بَخْ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ.
فلما أُتي به الحجاج بعد هزيمة ابن الأشعث قال له: أنت المبخخ بهجائك؟ وجعل يعدد بعض أبياته التي أثنى بها على ابن الأشعث، ثم قال: يا غلام، اضرب عنقه، والله لا تبخخ بعده لأحد.

نسأل الله أن يصلح ألسنتنا، ويسدد مقالنا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وكرمه بنطق اللسان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، على نبينا محمد، ما بقي الزمان، وتعاقب الجديدان، وسلّم تسليماً.

أيها المسلمون، إن الإنسان الذي لم يحفظ لسانه في الدنيا عن الباطل، بل عاش مرسلًا له العنان في مساوئ القول؛ فإنه ينال يوم القيامة قسطًا من العقاب الشديد؛ جزاء تفريطه، وعدم توبته من فحش لسانه.

فشر اللسان يوم القيامة سبب للإفلاس من الحسنات:

قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْمَفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) (1).

وشر اللسان يوم القيامة سبب لدخول النار:

قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ فِيهَا يَزُلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) (2).

وقال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ؛ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْعَةَ الْحَبَالِ،

(1) رواه مسلم.

(2) متفق عليه.

حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ⁽¹⁾. وردغة الخبال: صديد أهل النار.

وقد يكون شر الكلام -الذي يورد صاحبه النار- في مزاح وإضحاك بالباطل؛ قال نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا الْقَوْمَ؛ فَيَسْقُطُ بِهَا أَبْعَدَ مِنَ السَّمَاءِ، أَلَا عَسَى رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا أَصْحَابَهُ؛ فَيَسْخَطُ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ؛ لَا يَرْضَى عَنْهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ)⁽²⁾.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ -عباد الله- في ألسنتكم؛ بالاحتراز من زللها، والتقليل مما لا فائدة منه في كلامها، وليكن النطق فيما به نفع أو دفع ضرر، وليكن القول في زمانه ومكانه المناسبين، وبقدر الحاجة، واختيار الألفاظ والمعاني الموافقة للحال بلا إكثار ولا إقلال، قبل أن يندم العجل في قوله، والمسيء في نطقه، والمتعدي بشرِّ لسانه على بني جنسه.

واعلموا -رحمكم الله- أن القلم أحد اللسانين، فكما يطلب من الإنسان أن يحفظ لسانه إلا من خير، يطلب منه كذلك أن يحفظ قلمه، واليوم نابت (لوحة المفاتيح) على الجوال والحاسوب مناب القلم كثيراً، فاتقوا الله في هذه الوسيلة عندما تكتبون فيها عبر رسائل نصية، أو رسائل أو منشورات أو مقاطع على الواتساب أو التلجرام أو الفيسبوك أو تويتر أو اليوتيوب وغيرها من الوسائل، فإن الرسالة أو التعليق أو التسجيل أو إعادة الإرسال لذلك كلها داخلة في حكم القول الذي يجلب الحسنات أو السيئات، والمنافع أو المضرات، والمحبة أو العداوات.

وإذا كان قول اللسان يخرج ويذهب ويُنسى أحياناً، فإن النطق عبر وسائل الاتصالات أو التواصل الاجتماعي قد يدوم ويبقى ويصل إلى أعداد لا يعلمهم إلا الله.

(1) رواه الحاكم وصححه.

(2) رواه أبو الشيخ، وهو صحيح.

فَطُوبَى لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَأَحْسَنَ إِلَى الْأَنْامِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ،
وَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ عَلَى لِسَانِهِ ذُنُوبٌ، يَحَاسِبُ عَلَيْهَا بَيْنَ يَدَيِ عِلَامِ الْغُيُوبِ.
جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ اسْتَعْمَلَ لِسَانَهُ فِي الْخَيْرَاتِ، وَحَبَسَهُ عَنِ السُّوءِ وَالْمُضِرَّاتِ.
هَذَا وَصَلُوا وَسَلَمُوا عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ....

قصة نوح - عليه السلام - في القرآن الكريم (الجزء الأول)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، في قصص القرآن عبرة لأولي الألباب، ودروس نافعة في كثير من الأبواب؛ فلذلك أكثر الله تعالى من ذكرها في كتابه، ونوع وجوه الاعتبار بها في كثير من آياته، فما أحسن أن نقف عند تلك القصص معتبرين، ونقبل عليها منتفعين مستهدين!

ألا وإن من أولئك الأنبياء الكرام: نوحاً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هذا النبي العظيم الذي ذكره الله في عدد من سور القرآن، بل سمي سورة باسمه أخلصت للحديث عنه وعن دعوته.

فنوح هو أول رسول أرسله الله تعالى إلى الأرض؛ ففي حديث الشفاعة يقول آدم عليه السلام: (اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، أنت

أول الرسل إلى أهل الأرض⁽¹⁾.

ولقد أثنى الله تعالى على نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بأحسن الصفات؛ فذكر أنه ممن اصطفاه واختاره وجعله من صفوة خلقه فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 33]. **ومن هذا الاصطفاء:** أنه تعالى جعله من الخمسة أولي العزم من الرسل الذين فضلهم الله تعالى على سائر المرسلين، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: 7].

كما أثنى الله تعالى على نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بأنه عبد كثير الشكر لله تعالى، فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3].

و"الشكور" هو: الذي يعمل بجميع الطاعات القلبية والقلوية والعملية؛ فإن الشكر يكون بهذا وبهذا⁽²⁾.

ومن ثناء الله عليه: أنه وصفه بالإيمان والإحسان، وكافأه بالذكر الحسن من جميع الأمم، فقال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: 78-81].

والمعنى: "وأبقينا على نوح ذكراً جميلاً، وثناء حسناً فيمن تأخر بعده من الناس يذكرونه به"⁽³⁾.

وأما أسرته **عَلَيْهِ السَّلَامُ** فقد ذكر الله تعالى الحديث عن شخصين منها كافرين، ودعا

(1) متفق عليه.

(2) قصص الأنبياء (1/116).

(3) تفسير الطبري (21/59).

نوح لشخصين منها مؤمنين.

فأما الشخصان الكافران فهما زوجته وأحد أبنائه؛ فزوجته وابنه هذا بقيا على دين قومهما ولم يؤمنا، فكانت نهايتهما في الدنيا الغرق مع الكافرين، وفي الآخرة دخول النار مع الداخلين.

وعدم موافقة زوجة نوح له في الإيمان، وعدم تصديقه في الرسالة هي الخيانة المذكورة عنها في قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحریم: 10].

وهذا فيه عبرة عظيمة -معشر المسلمين- وهي أن الرجل الصالح قد يوجد في أسرته أناس غير صالحين، ويبدل في دعوتهم ما بوسعه، لكنه لا يستطيع قذف الإيمان في قلوبهم؛ لأن تلك الهداية بيد الله وحده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56].

وفي هذا سلوة للرجل الصالح، ومعدرة بين الناس.

وأما الشخصان المؤمنان فهما والداه، فدعاؤه لهما يبين أنهما آمنوا به وصدقاه، كما قال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: 28].

وقد ورد في بعض الآثار -وإن كان في أسانيدها ضعف- أن نوحًا كان له ثلاثة أبناء آخرون آمنوا به وهم: سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافت أبو الروم. وهم الذين بقيت ذريتهم من الذين نجوا فوق السفينة من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا

ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ [الصفات: 77].

فكل من جاء بعد الطوفان من البشر فهم من ذرية نوح -عليه السلام-، وبذلك صار نوح هو الأب الثاني للعالم بعد آدم، كما قيل.

عباد الله، لقد بقي الناس بعد آدم -عليه السلام- مدة من الزمن على توحيد الله، حتى حصل الشرك بين الناس، فرحم الله العباد فأرسل نوحًا عليه السلام لردّ الناس إلى جادة الصواب.

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة: 213].

قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: "كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين، وأنزل كتابه، فكانوا أمة واحدة" (1). أيها الإخوة الكرام، إنكم لو تأملتم في قصة هذا النبي الكريم في سور القرآن التي تناولت الحديث عنه؛ فإنكم ستجدون الآيات تتحدث عن دعوته وحاله فيها مع قومه، وجوابهم له.

فلقد جاء نوح قومًا يعبدون الأصنام، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23].

فدعاهم إلى توحيد الله وتقواه وطاعته، حيث قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: 23]، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: 108].

وعن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: (صارَت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب

بعد؛ أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع.

أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وَتَسَخَّ العلم عُبدت ⁽¹⁾.

أرأيتم كيف أوصلهم الشيطان إلى عبادة الأصنام بهذه الطريق المتدرجة الخادعة؟.

أيها المسلمون، عندما ننظر في قصة نوح نرى فيها دروساً دعوية نافعة، فهذا النبي الكريم لم يبق في دعوة قومه سنة ولا سنة ولا عقداً ولا عقدين ولا قرناً ولا قرنين، بل بقي تسعمائة وخمسين سنة، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: 14].

إذ كان أولئك القوم شديدي الظلم والطغيان، كما قال تعالى: ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ [النجم: 52].

ولذلك اتخذ النبي الله نوح في دعوتهم إلى الإيمان أساليب متعددة؛ لعلها تليق قلوبهم للحق:

فمن تلك الأساليب الدعوية: عرض نفسه عليهم بأحسن الصفات:

فقال لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [هود: 25]، وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: 26]، وقال: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: 107]، وقال: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ

(1) رواه البخاري.

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿الشعراء: 109﴾، وقال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 62].

فقد وصف نفسه عَلَيْهِ السَّلَامُ بالندارة والإبانة والخوف عليهم والأمانة والنصيحة والبلاغ والعلم، وعدم طلب أموالهم، فهذه صفات تدعوهم إلى تصديقه والإيمان بها جاء به.

ومن أساليبه الدعوية: تبشيرهم بخيرات يلقونها إذا آمنوا وصدقوا واستغفروا؛ مثل: غفران الذنوب، وإطالة الأعمار، ونزول الغيث المدرار، وكثرة الأموال والأولاد، وجريان الأنهار، وحصول الحدايق الغنية بالثمار والبهجة، فقال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: 4].

وقال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 10-12].

وأسلوب التبشير مما أمر به رسولنا محمد ﷺ دعائه؛ فعن أبي بردة: أن النبي ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن فقال: (يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا) (1).

ومن أساليبه الدعوية أيضاً: تنويع الزمان الدعوي واستغراقه في دعوتهم؛ فقد دعاهم في الليل كما دعاهم في النهار، فمن لم يجده نهاراً فقد يجده ليلاً، ومن لم يجده ليلاً وجده نهاراً، فلم يكن له دوام دعوي محدد، بل الوقت كله كان ظرفاً للدعوة.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: 5].

وهذا جلد عظيم في تبليغ رسالة الله.

ومن أساليب الدعوية كذلك: أنه جمع في دعوتهم بين الدعوة الجماعية والدعوة الفردية، فأياها كان أجدى لكل شخص أو فئة سلك طريقها، ففي أحوال يكون الجهر بالدعوة هو المؤثر، وفي أخرى يكون الإسرار هو الأكثر تأثيراً.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾

[نوح: 8-9].

وأنتم- أيها الفضلاء- لو نظرتم في دعوة نبينا ﷺ في مكة لوجدتموه كذلك في

دعوة مشركي قريش.

أيها المؤمنون، فبعد أن أمر نوح عليه السلام قومه ونهاهم، وذكر لربه ظروف دعوته لهم؛ انتقل إلى أسلوب آخر حيث لم تُجد دعوتهم بالأمر والنهي، فسلك معهم مسلك الاستفهام المجازي الذي خرج إلى معنى التقرير التوبيخ على استمرارهم في شركهم وعنادهم.

كما في قوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 13-14].

أي: لا تخافون عقوبته وعظمته.

والى معنى التقرير في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا *

وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا

سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: 15-20].

ففي هذه الآيات ذكّرهم بنعم الله عليهم، والإنسان الكريم إذا ذكّر بنعم من أنعم

عليه كفّ عن فعل ما يكرهه المنعم.

فقد ذكرهم بأطوار خلقهم، وتلك الأطوار تدل على ضعفهم وعلى قدرة خالقهم.

وبعد أن ذكرهم بأنفسهم ذكرهم بنعمةٍ مرئية يشاهدونها وهي السماء وما فيها من نعمة النور في الليل بالقمر، وفي النهار بالشمس، وهي دليل أيضاً على قدرة الخالق، وهذا مما يستحق به العبادة دون الأصنام العاجزة.

وذكرهم أيضاً بأصلهم الضعيف وهو خلقهم من الأرض، ونهايتهم المحتومة بالرجوع إلى الأرض موتى، وبمصيرهم إليه بعد الموت بالبعث؛ ليدعوهم ذلك إلى الاستعداد بالعمل الصالح بين يديه.

كما ذكرهم بنعمته عليهم بالأرض التي جعلها ممهدة ذات طرق صالحة للعيش وقضاء المآرب.

والعاقِل -أيها الكرام- إذا نظر في هذا الكون الفسيح وما فيه من آيات، ونظر إلى نفسه وما فيها من نعم سابغات؛ قاده ذلك إلى توحيد الله وطاعته.

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَعِصِي الْإِلَهَ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُ الْجَاهِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ ⁽¹⁾.

نسأل الله أن يجعلنا لآلائه شاكرين، وبدينه عاملين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

(1) ديوان أبي العتاهية (ص: 45).

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

أيها المسلمون، بعد هذا الجهد المضني، والعمل الدعوي الدؤوب، والاستفراغ الإرشادي المتنوع الذي بذله نوح عليه السلام في دعوة قومه، ماذا كان ردهم عليه، وكيف واجهوا دعوته؟

كما أن نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ سلك مع قومه أساليب متنوعة في الدعوة إلى الله، فإنهم قد سلكوا معه أيضاً أساليب متعددة في رفض الدعوة والصد عنها:

فمن أساليبهم في رد دعوة الحق: اتهم نوح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بالجنون والضلal المبين، والكذب وافتراء القول بالنبوة، قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: 25]، وقال: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: 60]، وقال: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرُوا﴾ [القمر: 9].

فماذا كان رد نوح عليهم في هذا، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَجْرُمُونَ﴾ [هود: 35]، وقال: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَلْعَبُونَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 61-62].

ومن أساليبهم في رد دعوة الحق: اتهم نوح بطلب السلطة والمنزلة الرفيعة عليهم، قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ

عَلَيْكُمْ ﴿[المؤمنون:24].

ومن أساليب قوم نوح في رد دعوته: تبرير الامتناع عن الإجابة بكونه بشراً مثلهم، ولو كانت الرسالة صادقة لبعث الله ملكاً بها، فقد قالوا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:24]. وهذه حجة باطلة؛ لأن البشر لا يناسبهم إلا رسول منهم.

وقد رد عليهم نوح بقوله: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ مُكُومَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود:28].

ومن أساليب قوم نوح في رد دعوته: تبرير كبار قومه امتناعهم عن إجابته بكون أتباعه من الضعفاء، وطالبوه بطردهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنْزِلْ لَكَ وَاتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ [الشعراء:111].

فرد عليهم نوح عَلَيْهِ السَّلَام بالامتناع عن طرد المؤمنين الضعفاء؛ لأسباب ذكرها، كما تعالى عنه: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:31]، وقال: ﴿وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء:112-115].

عباد الله، لقد استمر قوم نوح المكذبون في أساليب رد دعوة الحق، فكان من أساليبهم أيضاً: الهرب والإعراض، والاستكبار والإصرار على الكفر، وتغطية الآذان؛ فراراً من سماع قوله، والتغطي بالثياب؛ فراراً من رؤيته، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح:5-7].

وكان من أساليبهم الصّديّة أيضاً: مواصلة عصيان نوح، واتباع الضعفاء لرؤساء الضلال، ومكر أولئك الرؤساء بالضعفاء، وتوصيتهم بالاستمرار على عبادة الأصنام. قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 21-23].

فلما ستمر نوح عليه السّلام في جدالهم ودعوتهم الملحة وصلوا إلى أسلوبيين ختموا بهما أساليب الصد، **أولهما:** المطالبة بتعجيل العذاب؛ تحدياً وتكذيباً. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُثِّرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32].

وثانيهما: توعّد نوح بالقتل رمياً بالحجارة، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: 116].

فماذا كانت النهاية التي ختمت بها قصة نوح، وما مآل نوح -عليه السلام- والمؤمنين به، وما عاقبة الكافرين والمكذّبين؟

هذا ما سنعرفه -إن شاء الله- في خطبة الجمعة القادمة.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المستجيبين للحق، العاملين به.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشرية....

قصة نوح - عليه السلام - في القرآن الكريم (الجزء الثاني)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، في خطبة الجمعة الماضية كان الحديث عن بعثة نوح إلى قومه وأساليبه في دعوتهم، ورد قومه عليه.

واليوم سنتناول الحديث عن النهاية التي ختمت بها قصة نوح **عليه السلام**، وفي هذه النهاية سنرى نوحاً **عليه السلام** يرفع إلى ربه شكواه بعد هذا الزمن المديد، ونلاحظ سرعة إجابة الله تعالى له، ونرى نوحاً يبني سفينة نجاة المؤمنين بيده، لتكون وسيلة الخروج من البلاء العظيم الذي سيطوق الكافرين، كما سنشاهد المكذبين والطوفان يبتلعهم ويحقيق بهم ما كانوا به يكذبون.

عباد الله، إن قوم نوح لما تهادوا في غيهم، وجابهوه بوعيدهم أظهر لهم عدم الاكتراث بجمعهم ولو كانوا مع شركائهم، فإنه وإن كان فرداً أمام جمعهم، ضعيفاً في وجه قوتهم؛ فمعه الله تعالى الذي أرسله وهو الذي سيحميه ويصد عنه كيدهم؛ فلذلك قال نوح في عزة وشموخ وتوكل: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبَرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: 71].

وهذا كقول هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه الكافرين: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبُّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 55-56].

ومن كان الله معه فمعه القوة التي لا تُغلب، والقدرة التي لا تعجز.

وبعد زمن طويل من عناد المكذبين، وكثرة مجادلة نوح لهم حملت الشقاوة الكافرين على استعجال العذاب؛ تهادياً في التكذيب، وسخرية بالوعيد، فقالوا لنوح: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُثِّرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32].

هكذا قالوا من غير وجل، وتعجلوا مصارعهم على سيء العمل، فماذا كان جواب نوح على هذا الطلب؟

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: 33-34].

فبين لهم هذا النبي الكريم أن العذاب ليس بمشيئته، بل مشيئته الله الذي أرسله،

ولن تفيدهم نصيحته ما داموا ممن كتب الله عليهم الغواية بسوء أعمالهم.

وهنا- يا عباد الله - تطوى صفحة دعوة نوحٍ قومَه بدعواته التي خرجت من قلب قد يئس من أولئك القوم الغلاظ الشداد، وقد عانى صاحبه عناء شديداً من إعراض قومِه وصدودهم عنه، وأرهق جسده في وظيفة الدعوة لأجيال متلاحقة، ولكن من غير استجابة كبيرة، فماذا قال نوح في دعائه؟

لقد ذكر القرآن الكريم عن نوح في هذا السياق دعاءه على قومِه، ودعائه بالنجاة له ولمن آمن به بألفاظ مختلفة:

ففي سورة الأنبياء قال تعالى عنه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [الأنبياء:76].

يعني: من قبل رسولنا محمد ومن جاء بعد نوح من الأنبياء.

وفي سورة المؤمنون قال: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون:26].

أي: عجل لي النصر بسبب تكذيبهم إياي.

وفي سورة الشعراء قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:117-118].

فشرح لربه أن قومِه كذبوه، وهذا سبب يستدعي هلاك المكذب، وطلب من الله الحكم بينه وبين من كذبه حكماً يقضي بهلاك الكاذبين، ونجاة المؤمنين.

وفي سورة القمر قال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر:10].

وهنا شكاً إلى الله ضعفه البشري أمام قوة قومِه، وهذا يستدعي نصر الله عليهم.

وفي سورة نوح كان الدعاء من نوع آخر: فقد دعا بالهلاك العام لكل كافر حي،

وعلى ذلك بأن بقاءهم قد يؤدي إلى إضلال من آمن، وإضلال من يأتي من نسلهم، ثم دعا بالمغفرة له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات، وبإهلاك والخسران للكافرين، فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: 26-28].

ودعوة نوح بهلاك قومه المكذبين هي التي اعتذر بسببها عن الشفاعة في عرصات القيامة، كما في حديث الشفاعة: (فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم) (1).

أيها المسلمون، لقد استجاب الله تعالى دعوة نبيه نوح -عليه السلام- من غير مهلة، وجاء جوابه في أسلوب تعظيم فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: 75].

فحقق الله تعالى له بدعائه ثلاثاً، وأعلمه بأمر، ونهاه عن أمرين، وكلفه بمهمة على إثرها يتحقق تمام النعمة عليه وعلى المؤمنين:

فالثلاث التي حققها الله لنوح: نجاته وأهله والمؤمنين من أذى المشركين، وسلامتهم من الغرق، وهلاك الكافرين، قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ

(1) متفق عليه.

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنجَّيْنَاهُ وَآهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَا هُ مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٦﴾ [الأنبياء: 76-77].

وأما الأمر الذي أعلمه به فهو: أنه لن يؤمن من قومه أحد بعد المؤمنين السابقين؛ فقد
حق على الكافرين العذاب، فقال تعالى: ﴿وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا
مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: 36].

وأما ما نهاه عنه: فقد نهاه عن الحزن على ما اقترفوا من العصيان في حق الله،
والأذى في حقه؛ فقد حان عذابهم، وبذلك يشفي الله صدور قوم مؤمنين. قال تعالى:
﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: 36].

كما نهاه أيضاً عن طلب إمهال أولئك المكذبين وتأخير عذابهم -شفقة بهم- عندما
يرى إنزال المطر العظيم لإهلاكهم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ
مُغْرَقُونَ﴾ [هود: 37].

وأما المهمة التي كلفه الله بها بعد ذلك فهي بناء سفينة النجاة، فقال تعالى:
﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ [هود: 37].

أرايتهم- معشر المسلمين - إلى هذه الأمور التي أعقبتها دعوة نوح عليه السلام،
وكيف تهيأت القصة للفصل الأخير منها، وهناك تستقر العبر والعظات على تلك
السفينة وهي تستوي على الجودي، فالمكذبون في بطن الطوفان العظيم تنتهي حياتهم،
والمؤمنون عقب الطوفان تبتدئ حياتهم الدنيوية السعيدة.

أيها المؤمنون، لقد سارع نوح -عليه السلام- إلى بناء السفينة كما أمر الله تعالى،
فشرع يصنعها في البر، وهناك بادر قومه المكذبون إلى السخرية منه، حتى قالوا: سفينة^{٢٨}

في البر، وبعد النبوة صرت نجاراً يا نوح؟! حتى قال بعضهم لبعض: ألم نقل لكم: إنه مجنون!

فبم رد عليهم نبي الله نوح؟

قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [هود:39].

لقد رد عليهم: بأنكم إن سخرتم منا فيما نعمل فسنسخر منكم عندما يحل بكم الغرق، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يهينه في الدنيا، ويكون دائماً عليه في الآخرة.

وبعد عمل دؤوب انتهى نوح **عَلَيْهِ السَّلَام** من بناء سفينة الحياة، وحانت وقت العذاب الذي لا يعلم به المكذبون، وقد جعل الله لنوح علامة لبدء الطوفان؛ كي يحمل الناجين على السفينة، فكانت العلامة: خروج الماء من التنور الذي يخبز فيه، وهي علامة تخالف العادة.

فعند ذلك حمل نوح **عَلَيْهِ السَّلَام** المؤمنين من أهله وغيرهم، وحمل من الكائنات من كل صنف زوجين لتستمر الحياة بعد غرق المكذبين.

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:40].

فالذي سبق عليه القول بالإغراق من أهله هم: زوجته وابنه.

ألا فتأملوا معي -أيها الفضلاء- وتفكروا: فبعد هذه القرون المتطاولة، والجهد

الكبير الذي بذله نوح في دعوة قومه لم يؤمن معه إلا قليل!! فأَيُّ قلوب كان يحمل أولئك الناس المعاندون الجفاة القساة؟!

بل إن أولئك المكذبين سيلقون نوحًا يوم القيامة ويسألهم الله عن تبليغ نوح الدعوة إليهم فينكرون!! إلى هذا الحد بلغوا في الجحود؟

فعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (يحيى نوح وأُمته فيقول الله تعالى: هل بَلَغْتَ؟ فيقول: نعم، أي رب، فيقول لأُمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي!! فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأُمته، فنشهد أنه قد بلغ وهو قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: 143] (1).

وهذا فضل كبير لهذه الأمة "فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق المصدوق، بأن الله قد بعث نوحًا بالحق، وأنزل عليه الحق وأمره به، وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها، ولم يدع شيئًا مما ينفعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به، ولا شيئًا مما قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه، وحذرهم منه" (2).

أيها المسلمون، وفي هذه اللحظات الفاصلة بين عاقبة الفئة المؤمنة وعقوبة الفئة الكافرة يتجلى في هذه القصة مشهد مؤثر يتمايز فيه الناس حسب الإيمان لا حسب القرابة، وتُغلب فيه رابطة الدين على العاطفة الأبوية، ويرز فيه السبب الموجب للرحمة أو للعذاب، وتتأخر هناك العلاقات الفطرية في طريق النجاة من عذاب الله فلا يبقى هناك إلا الإيمان فحسب.

(1) رواه البخاري.

(2) قصص الأنبياء، لابن كثير (95/1).

قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 42-49].

لقد جرت السفينة في موج عظيم والغرق يحيط بالمكذبين وكان ممن يصارع الموج ابنُ نوح، فحملت الشفقة الأبوية نوحاً أن ينادي ابنه ليركب في السفينة، لكن ابنه الكافر أصر على كفره وأبى الاستجابة لأبيه؛ ظاناً أن الجبل سيعصمه من الغرق، وفي تلك الأثناء سأل نوح ربه النجاة لابنه؛ لأن الله وعده بنجاة أهله، أو سأل الله له المغفرة بعد غرقه شفقة به، فرد الله عليه بأن ذلك الابن الكافر ليس من أهله الذين وعده الله بإنجائهم، إنما وعده بإنجاء المؤمنين منهم، وبَيَّن له أن عمله غير صالح فلذلك لا يؤهله للنجاة، ونهاه أن يسأله ما ليس له به علم، فاعتذر نوح عن طلبه بأدب عظيم يليق به وبأمثاله من الأنبياء -عليهم السلام-.

وهكذا رست سفينة الحياة إلى بر الأمان، وقد غسل الطوفان وجه الأرض من

دنس الشرك والمشركين، وأشرقت الحياة بالإيمان والمؤمنين، وابتهج الحق بزهوق الباطل، وقيل بعداً للقوم الظالمين.

نسأل الله تعالى أن ينصر الحق وأهله، ويخزي الباطل وحزبه في كل زمان ومكان.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، أما بعد:

أيها المسلمون، إن هذه القصة مليئة بالعبر والعظات، غنية بالدروس الإيمانية والحياتية، فمن تأمل في الآيات الواردة فيها رأى من الفوائد شيئاً كثيراً، فمن ذلك:

أن ضعفاء الناس -لفقرهم أو دنو جاههم- أقربُ الناس لاتباع الحق، وأن أهل العلو -لغنائهم أو علو جاههم- هم أبعد الناس عن الحق وأكثرهم صدأً عنه في كل زمان، فالأولون يحتاجون إلى مواصلة الجهد في دعوتهم، والآخرون يحتاجون إلى صبر على أذاهم، وجدال حكيم معهم.

وفي هذه القصة: أن السخرية هي طبع أهل الباطل، يسخرون من الحق وأهله، وعندها لا يسع المؤمن إلا الصبر، والتفاؤل بمصير الساخر مسخوراً به، والأيام دول.

وفي هذه القصة: أن الداعي إلى الله لا بد أن يبذل ما بوسعه من الأساليب الناجحة للإقبال على الحق، وأن يراوح بين الترغيب والترهيب، وأن يكون الصبر والجلد والنشاط هي صفاته الدائمة، وعليه أن لا ينظر إلى قلة الأتباع أو كثرتهم، ولكن ينظر: هل أدى ما عليه على الوجه المطلوب أو لا.

وفي هذه القصة: استحباب تسمية الله عند الركوب، قال تعالى: ﴿بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾، وحمد الله عند السلامة من المخاوف، وسؤال الله المنزل المبارك عند نزول مكانٍ ما. ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿المؤمنون: 28-29﴾.

نسأل الله الفوز برضاه وجنانه، والنجاة من غضبه ونيرانه.

هذا وصلوا وسلموا على خير الورى...

هل استعداديت للجواب عن الأسئلة الخمسة (□)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، هناك اختبار ينتظر كل مكلف لا بد أن يمر به، ولن يجد أحداً يعينه على إجابة أسئلته، أو يساعده على إعفائه من الجلوس لمواجهة الامتحان الذي سيحدد مصيره النهائي، وليس ذلك الاختبار في مكان يجد فيه المجيب غشاً، ولا أمام أحد يمكن خداعه ومغالطته،

بل يكون في مكان مهيب، وبين يدي سائل عليم رقيب.

فإن أحسن المجيب الجواب حمل شهادة النجاح التي تنيله السعادة المستقبلية، وإن أخفق فما أظفَع ما ينتظره من آلام!

فاسمعوا الإعلان عن هذا الاختبار الذي لا يتخلف مضمونه، والذي فيه بيان من هو السائل ومن هو المجيب؟

قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 6].

وأما عن مواد هذا الامتحان فيقول الله سبحانه: ﴿فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92-93].

وأما عن موعد الامتحان المعلن عنه فيوم القيامة، وقاعته عرصاتهما، والنجاح مآل صاحبه إلى الجنة، وحامل الإخفاق مآله إلى النار وبئس القرار.

عباد الله، هناك أسئلة خمسة ستأتي في ذلك الاختبار العام أخبرنا عنها نبينا ﷺ، فالموفق هو الذي سيستعد اليوم للإجابة عنها غدا، والمخذول هو من يعرض عن الاستعداد لها بسبب عبوديته لشهوات نفسه، أو ضلال قلبه وفكره.

جاء في سنن الترمذي، وشعب الإيمان للبيهقي، والمعجم الكبير للطبراني بإسناد حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: (لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ).

والمعنى: لا تتنحى قدما ابن آدم وتذهب عن موقف الحساب إلى دار القرار إلا بعد أن يُسأل عن خمس خصال جرت له في حياة التكليف.

السؤال الأول: في أي شيء أفنيت عمرك أيها المكلف؟

أيها الإنسان، هذا العمر الذي وهبه الله لك إنما هو مضمار عملك إلى الغاية التي خلقت لأجلها، وأوجدت في هذه الحياة للسعي في تحصيلها.

فمدة الحياة المعطاة لكل إنسان هي الفرصة الزمنية التي يستطيع من خلالها أن يجهز زاد النجاة الذي يرضي عنه مولاه، وينال به ما تشتهي نفسه، وتلذذ عينه في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

في مدة العمر الإنساني إمهال من الله لعبده إذا أسرف على نفسه أن يتوب، وإذا شرد عن ربه أن يؤوب.

وتمر له فيه عبر كثيرة، وعظات وفيرة، تذكّره إذا غفل عن غاية الخلق، وتعظه ليتأهب للقاء الملك الحق.

غير أن كثيراً من الناس لم يعتبروا وقد أمهلوا من أعمارهم سنين، ولم يستجيبوا لصوت النذارة وقد صاح بهم في كل حين، فعند ورود الآخرة سيسمعون هذا العتاب المخزي، ويذوقون مرارة العذاب المردّي: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: 37].

وإذا مد للإنسان في العمر فقد اتسعت دائرة زوال العذر عنه، فلا يبقى له احتجاج بقصر الزمان، وسرعة تقضي الأوان، يقول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَقَدْ أَعَذَّرَ اللَّهُ إِلَى عَبْدٍ فِي الْعُمُرِ أَحْيَاهُ حَتَّى بَلَغَهُ سِتِينَ سَنَةً) (1).

أيها المؤمنون، إن الناس في تباين عجيب في أعمالهم في فرصة أعمارهم:

فهناك صنف صرفوا أعمارهم في طاعة الله تعالى فأدوا الواجبات، واجتنبوا المحرمات، وسارعوا إلى المسابقة في درب الصالحات، وارتقوا بعد ذلك إلى خدمة دينهم بالعلم والدعوة والدفاع والمنافحة عنه، وسعوا في خدمة إخوانهم المسلمين بما

(1) رواه أحمد وابن حبان بإسناد صحيح.

يقدرّون عليه من المنافع الحسية والمعنوية، فهؤلاء في خير المنازل، وهم أربح الناس حظاً في استغلال فرصة العمر الدنيوي القصير، وهم الذين إذا نزل بهم الموت فرحوا بلقائه، وانتقلوا بعده إلى خير منتقل إليه، فطوبى لهم، وطوبى لمن كان منهم.

وهناك صنف آخر صرفوا أعمارهم في معصية الله: لهواً بالحياة الدنيا، وانشغالاً بشهواتها، كافرين بالله، وصادين عن سبيله، ومحاربين لدينه وأوليائه، بانين من سنوات العمر الدنيوي شقاء العمر الأخروي الأبدى، فهؤلاء في شر المنازل، وأسوأ الأحوال، ولهم خلقت النار، ونزل عليهم غضب الملك الجبار.

وهناك صنف آخر صرف جل عمره في مصالح دنياه، وسخّره في مطالب هواه، مع أدائه بعض الواجبات الدينية، والانكفاف عن بعض المحرمات الشرعية، وهذه حال كثير من المسلمين الذين شغلّتهم العاجلة عن الآجلة.

فليس لحظ الآخرة من أعمارهم إلا الوقت اليسير، وما بقي فهو مصروف في شهوات الأبدان.

فما الذي يجعل المسلم لا يلتفت التفاتة صدق إلى أن يفني عمره في مرضاة ربه، مع أخذه بالحظ الكافي المباح منه لحاجات نفسه الدنيوي؟

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾

[القصص: 77].

فهل استعدينا -يا عباد الله- للإجابة عن هذا السؤال؟

السؤال الثاني: فيم قضيت شبابك؟

إن مرحلة الشباب هي من العمر، ولكنها خصت بالسؤال لكونها أهم مراحل

العمر؛ لقوة الرغبة والنشاط فيها، ووفور القدرة وسرعة التأثر في سنواتها، ونضوج الغرائز والمطالب الجسدية في عنفوانها، ولكونها قاعدة بناء لما تبقى من العمر خيراً أو شراً في القناعات، والرغبات، والأعمال والآمال.

ففي شبابك -أيها الإنسان- أنت قوي على العمل الصالح، فهل اغتنمت هذه القوة في القيام بالواجبات والمصارعة إلى المستحبات؟

وأنت قوي الرغبة على ارتكاب المحرمات، والميل إلى محظور الشهوات، فهل كففت نفسك عنها، ومنعتها منها، أو أنك سخرت قدرتك وقوتك ورغبتك ونشاطك في ركوب مطايا الذنوب، وعصيان علام الغيوب؟

لهذا انتبه -أيها الشاب- ولتتبه الشابة أيضاً- لهذه المرحلة الخطيرة من العمر؛ فإن فسادها فساد لما بعدها؛ ولذلك ركز عليها أعداء الفضيلة -بل هم أعداء الإنسانية جمعاء- على إغراق الشباب في شهوات الجنس، وشهوات السكر، وتضليل الفكر، والقضاء على القدرات العقلية والبدنية؛ حتى ينشأ جيل قد روّضوا على البعد عن القيم الحميدة، والنفور من التوجه الصحيح نحو إقامة الحياة السعيدة.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 27].

وفي مقابل ذلك فإن صلاح مرحلة الشباب فكرياً وإيمانياً وسلوكياً وتربوياً صلاح لما بعدها؛ ولذلك اعتنت شريعتنا الغراء بأهل هذه المرحلة وتوجيههم إلى الوجهات الصحيحة التي تبني مستقبلهم الدنيوي والأخروي بناء سعيداً.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ،

وَصِحَّتْكَ قَبْلَ سَقَمِكَ... (1).

معشر المسلمين، ما أسعد أهل هذه المرحلة العمرية الذهبية - إذا عمروها بالخير - بالجائزة التي تنتظرهم يوم القيامة؛ قال النبي ﷺ، قَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ...) (2).

فهل استعدادنا - أيها الفضلاء - للجواب عن هذا السؤال؟

فمن جاوز هذه المرحلة وقد أسرف على نفسه فيها فلا ييأس ولا يخف اليوم إذا انكف وأصلح، ومحي بقلم التوبة مداد العصيان في صفحة الشباب الذاهب، فما زال هناك فرصة للمراجعة.

السؤال الثالث: من أين اكتسبت مالك؟

إن الحياة الدنيا لا تقوم إلا على المال فهو عصبها وشریان استمرارها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: 5].

وبهذا المال يعيش الإنسان عزيزاً لا يهين نفسه بالحاجة إلى غيره، قال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ) (3).

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا كَانَ الْمَالُ فِي زَمَانٍ أَصْلَحَ مِنْهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وقال: لَأَنْ أُخْلَفَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَحَسَبُ عَلَيْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أحتاجَ إِلَى النَّاسِ،

(1) رواه النسائي والبيهقي والحاكم بإسناد صحيح.

(2) متفق عليه.

(3) متفق عليه.

وقال: كَانَ الْمَالُ فِيمَا مَضَى يُكْرَهُ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَهُوَ تُرْسُ الْمُؤْمِنِ. وكان يقول: مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْ هَذِهِ شَيْءٌ فَلْيُصْلِحْهُ؛ فَإِنَّهُ زَمَانٌ مِنْ احْتِاجَ كَانَ أَوَّلَ مَا يَبْدُلُ دِينَهُ⁽¹⁾.

أيها الإخوة الكرام، لقد أمر الله تعالى الإنسان بالسعي في طلب المال من مصادره المشروعة: من وظيفة أو تجارة أو بيع أو كدّ بدني، أو ما جاء بطريق وراثه أو هدية أو صدقة هو من أهلها، أو غير ذلك.

يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المك: 15].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172].

غير أن بعض الناس لم يقنع بالحلال فراح يطلب المال مما حرم الله عليه، أو من مصادر لا تجوز.

فمن الناس من يطلب المال من بيع المحرمات؛ كالخمر والمخدرات والمواد المتفق على ضررها.

وقد قال رسول الله ﷺ: (لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا وَآكِلَ ثَمْنِهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَبَائِعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ)⁽²⁾.

ومن الناس من يكتسب المال بالتعامل بالربا أو الغش أو التزوير أو التدليس.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ [آل عمران: 130].

(1) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (380-381).

(2) رواه أبو داود وابن ماجه بإسناد صحيح.

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: 29].

ومن الناس من يكتسب المال من رشوة أو سرقة أو نهب أو سلب، أو أكل لأموال اليتامى والضعفاء والمساكين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10].

وقال رسول الله ﷺ (لا يَرَبو حِمٌّ نَبَت مِنْ سُحْتٍ؛ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوَّلَى بِهِ) (1).

انظروا -عباد الله- إلى الواقع اليوم أَلستم تجدون عدداً غير قليل من الناس لا يهمه أكان المال الذي يكتسبه من الحرام أم من الحلال؟

لقد صار طلب الغنى وزيادة الوفرة المالية غاية تبرر لكثير من الناس كل الوسائل إليها من غير مبالاة بمشروعها وممنوعها، وقد أخبر النبي ﷺ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** عن هذه الحال السيئة فقال: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الرَّجُلُ مِنْ أَيْنَ أَصَابَ الْمَالُ أَمِنْ الْحَلَالِ أَمْ مِنْ الْحَرَامِ) (2).

فهل استعدادنا -معشر الكرام- للإجابة عن هذا السؤال قبل يوم القيامة؟

السؤال الرابع: فيم أنفقت مالك؟

سل نفسك: لقد وهبك الله هذا المال وجعلك به في غنى عن الناس، فما الجهات التي صرفت هذه النعمة فيها؟ هل صرفت مالك في الزكاة الواجبة عليه، وصرفته في النفقة الواجبة عليك: على نفسك وزوجتك وأولادك وأبويك، وصرفته في مساعدة

(1) رواه الترمذي وابن حبان بإسناد صحيح.

(2) رواه البخاري وأحمد والنسائي.

المحتاجين والأقارب المعوزين، وصرفته في فعل الخير من وقف صالح ومشروع عام نافع؟

فإن كنت فعلت هذا فنعم ما قدمت، وأبشر بالخير من عقبى ما صنعت. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 215].

وأما إذا أنفق المال في الحرام: بشراء المحرمات، وبذله في مساوئ الشهوات، ودفعه إلى الساقطات الملهيات، والإعانة به على إقامة أماكن اللهو والمحظورات، ودفعه لمن يسقط به الحقوق في المحاكم، ولا ينصف به المظلوم من الظالم، أو صرفه للتحريش وإثارة الضغائن والتفريق بين العباد؛ فيا سوء عاقبة هذا المال ويا بؤس بآذله عند الكبير المتعال.

ما أسوأ الأموال حين تضيع في سبيل الحرام ومهييع الإسراف
يشقى بذاك المال منفقته كما يلقي العنا في ذلك الإتلاف
نسأل الله أن يعمر أعمارنا بالخيرات، ويرزقنا المال الحلال الذي ينفق في المباحات
والصالحات.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

أيها المسلمون، يختم هذا الحديث الشريف بالسؤال الخامس الذي يقول في معناه:

ماذا عملت بعلمك؟

العلم النافع نعمة من أجل النعم؛ لما له من العوائد الكريمة على من يحمله وعلى مجتمعه.

فالعلم نور في مدلهما الظلام، ودواء في آلام الأسقام، ودليل حاذق في مضلات الطرقات، ومنار هداية في شاسع المتهاتات، فلا يستوي حامله وجاهله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9].

والعلم النافع علمان: علم دين وعلم دنيا.

وكل من هذين العلمين نعمة، حقُّ الله منها أن يشكر عليها.

فمن شكر العلم الديني: أن يعمل به: امتثالاً للأوامر واجتناباً للنواهي، وأن يبلغ

للناس حتى يستنبروا بضياؤه.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: 121].

قال ابن مسعود: "والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته: أن يُحَلَّ حلاله، ويحرم

حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله" (1).

(1) تفسير ابن كثير (403/1).

ومن شكر العلم الدنيوي: استعماله في الخير ونفع الناس وخدمتهم به ولو كان بعائد مادي.

فمن فعل هذا فعلمه حجة له لا عليه.

وأما إذا حاد الإنسان -يا عباد الله- عن نهج الشاكرين فسيكون العلم حجة عليه بين يدي رب العالمين، وذلك حين لا يعمل بعلمه الشرعي فلا يجد علمه يحجزه عن الحرام، ولا يمنعه من بعث الشبهات التي تضل الأفهام، ولا يبلغه الناس المحتاجين إليه خاصة في الوقت الذي يعانون فيه شدة الجهل والغفلة، وهو قادر على تبليغهم والسلامة على نفسه من عواقب تبليغه.

وليسمع قول رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كُلُّ مَنْ حَمَلَ الْعِلْمَ وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ:

فقد ذكر النبي ﷺ أن أول من تسعر بهم النار ثلاثة وذكر منهم: (وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ لَيَقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ لَيَقَالَ، هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ) (1).

فيا حامل العلم، استعد اليوم بصواب الجواب، قبل عقوبة يوم الحساب.

ألا يا عباد الله، لنستعد بالجواب الصحيح عن هذه الأسئلة المعلومة: بأن تكون أعمارنا مصروفة في مرضي مولانا الكريم، وشبابنا مصروفًا في محاب ربنا العظيم، ولتكن أموالنا من حلالٍ مكتسبة، وفي مباحٍ وخيرٍ منققة، ولنعمل بما علمنا حتى ننجو

مما يخيفنا.

فطوبى لمن سمع واتبع، وعن مخالفة الحق أعرض وامتنع.

ربنا اغفر لنا ما مضى في سالف أعمارنا، وأصلح حالنا فيما بقي من آجالنا.

هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير، والسراج المنير...

عش ما شئت (□)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب 70-71].

أيها المسلمون، روى الحاكم في مستدركه، والطبراني في معجمه الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان - بسند حسن - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ).

عباد الله، ما أجمل هذه الكلمات المضيئة التي تنساب إلى الضمير انسياب الماء العذب في الحدور، وأرق هذه الحروف الناعمة التي تأسر الروح معانيها، وتطرب الآذان مبانيها، إنها عبارات موجزة حرة، بلغت في الحسن الغاية، وفي الإفادة النهاية،

(1) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ الشُّوْكَانِي فِي: 1444/2/13 هـ، 2022/8/9 م.

لقد زحرت ألفاظها بمعانٍ غزيرة، واستكنت في رياضها مواعظ كثيرة.

إنها تنادي الأسماع لتستمتع، والقلوب لتعتبر، والنفوس لتزجر، والإيمان ليبسط أثره على الإنسان ليستعد للقاء ربه، بما ينجيه من غضبه وعقابه.

حروفُ زانها الإشراقُ حتى أنارت في النفوس دجى الفؤاد
تنادي الغافلين ألا استعدوا قبيل الخسر في يوم المعاد
أيها المؤمنون، الخطاب في هذه الجمل المشرقة لخير الخلق وأتقاهم، وسيد البشر وأسماءهم، وأكثر الخلق استعداداً للموت ونزوله، وأعظم الناس يقيناً بالحساب وحصوله، وخير من قام الليل وتعبه، وأعز الناس في كل مشهد.

ولكن الأحوج إلى مراد هذا النص الشريف: أمته التي تمر عليها سحب الغفلة وتعود، فتلهو بديهاها عن آخرها، وتنشغل بالفاني عن الباقي، وتمتد آمالها الدنيوية، متناسية تحتها أن تلك الآمال لا تصل إلى غاياتها دائماً.

هذه الأوامر الملكية خطابات بليغة مع النفس البشرية؛ لكي تعرف الحياة الحقيقية التي ينبغي أن تستعد لها، وتعرف الحياة الدنيوية حتى تدرك ما يحمد فعله فيها، إذ مآلها إلى الأفول مهما أشرقت، وإلى الفناء مهما طالت.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24].

عباد الله، اسمعوا الجملة الأولى التي تقول: (عش ما شئت فإنك ميت) ما

أعظمها من جملة، وما أجل أثرها إذا وصلت إلى شغاف القلوب، وأحسن حال من سمعها ووعاها، وسارع إلى تنفيذ ما تحمله من المعاني.

فقدّر لنفسك - أيها الإنسان - ما تحب أن تعيش من السنين في هذه الدنيا: مائة سنة أو مئتين، أو ألفاً أو ألفين، ثم ماذا بعد ذلك؟

أليس الموت آخر ما ينتظرك فيها، وينقلك عنها إلى غيرها؟ ولو عشت من أولها إلى آخرها.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35].

وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 26-27].

وصدق من قال :

إِنَّ عَيْشًا يَكُونُ آخِرُهُ الْمَوْتُ تَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ

وصدق الآخر أيضاً في قوله :

فَعِشْ مَا شِئْتَ فِي الدُّنْيَا وَأَدْرِكْ بِهَا مَا شِئْتَ مِنْ صَيِّتٍ وَفَوْتٍ

فَجَبَلُ الْعَيْشِ مَوْصُولٌ بِقَطْعٍ وَخَيْطُ الْعَمْرِ مَعْقُودٌ بِمَوْتٍ.

ولكن هل فكرت فيما بعد الموت؟ ماذا سيكون عند لقاء الله؟

أليس هناك حساب، ينتج عنه ثواب أو عقاب، ينتج عنها جنة أو نار.

تحاسب في ذلك اليوم على القليل والكثير، والصغير والكبير.

فالحياة الحقيقية إذن هي ما بعد الموت لا ما قبله، ولو كان الموت ينقل الإنسان

إلى سكون لا حركة بعده لكان في الموت راحة.

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلَّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ.

يا ابن آدم، إذا علمت هذه الحقيقة، وانكشف عن عينيك غبار جهلها، وضباب الغفلة عنها، فاستعد بالعمل الصالح الذي ينجيك بين يدي خالقك، وردّ المظالم إلى أهلها، واستعف ممن أسأت إليه قبل أن يلقاك كل هؤلاء بمظالمهم ولن تقدر على إيفاء حقوقهم إلا من حسناتك، أو حمل سيئاتهم على ظهرك.

وكنأي بالموت وقد حل بك نازلا، وأتاك مفاجئا، وأنت لا تملك تأخير ولا تأجيله، ولا تستطيع دفعه وتحويله، فيستولي عليك الخوف من كل جانب، وتستنجد بالأهل والأقارب، فلا يملكون لك نفعاً، ولا يستطيعون لما هجم عليك دفعا.

أليس من الخير لك أن تكون على استعداد بصالح زاد يجعلك تفرح بالموت إذا نزل، ولا تحزن على العمر إذا ولى وأفل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: 30-32].

أيها الإخوة الكرام، ثم يقول جبريل: (وَأَعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ جَزِيٌّ بِهِ).

سبحان الله! لو عقل الناس هذه الحقيقة المنيرة فهل سيقون في ظلام الغفلة سادرين، وهل سيظلون في تيهاء الذنوب مصرين، ويمسون بين دياجي الخطايا غير تائبين؟

أما إنهم لو وعوها لانتفعوا بها، فكانت لهم قائداً إلى إصلاح العمل، والتوبة من كل زلل.

فيا أيها الإنسان، اعمل ما تريد كما تريد فقد أعطاك الله الاختيار بعد أن بين لك طريق الجنة وطريق النار، فاختر لنفسك.

ولكن تذكر تذكر جيداً أن ما عملته سيسجل لك أو عليك، وستحاسب عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3]. وقال: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: 40].

وقال رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة) (1).

أيها الفضلاء، ثم يقول جبريل عليه السلام: (وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ).

هذا طبع هذه الحياة القصيرة: لا يدوم لها حال، إلا وأذنه الزوال، ولا يستقر شيء فيها إلا فاجأه الانتقال.

فأحب من شئت من قريب أو بعيد، من أب أو أم أو زوجة أو أولاد أو أسرة، أو أصدقاء وزملاء وجيران، ولكن لا يغب عن بالك بأنك ستبقى لهم، أو يبقون لك على الدوام، فالفراق على الباب ينتظر، ولقطع العلاقة قد تهيأ.

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَزَائِقُ (1) وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ
على ذا مضى النَّاسُ: اجْتِمَاعٌ وَفَرْقُهُ وَمِيتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالَ وَوَامِقٌ.

فهذه الحياة - معشر العقلاء - شمس لا بد لها أن تغيب، وحبل متصل لا بد أن
ينفصل، وسفر طويل لا بد لأهله من عودة، فالسعيد فيه من عمل لما بعده قبل
حضوره، ووطن نفسه للرحيل إليه قبل لقائه، وعدّ نفسه مسافراً إلى وطن ينتظره، إن
أحسن انتقاء المتاع الذي يفيد في داره المنتظرة فنعم النزول سينزل فيه، وإن أساء
فبئس ما سيلقاه في ذلك المنزل الخالد.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: (كُنْ فِي
الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَطَّرِ
الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَطَّرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ
لِمَوْتِكَ» (2).

جعلنا الله وإياكم ممن استعد بصالح الزاد، ونجاه الله به يوم المعاد.
أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(1) تَأْتِي الْحَزَائِقُ: معناه: حتى لا تتمهل ولا تتأني الجماعات أن يتفرقوا إذا جرى فيهم حكم البين.

(2) رواه البخاري.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي الفضل والإنعام، والصلاة والسلام نبينا محمد الداعي إلى دار السلام، وعلى آله وصحبه ذوي المراتب العظام، وسلم تسليماً.

أما بعد:

أيها المسلمون، ينتقل بنا النص الكريم إلى جملتين أخيرتين منه، لهما علاقة وطيدة بإصلاح النفس الإنسانية، ورفع شأنها، وتهيئة المال المرضي لها عند خالقها، ولهما شأن معلوم في رفعة منزلة الإنسان عند الله وعند الناس.

وقد ابتدأتا بالفعل (اعلم) الذي يدل على أن ما بعده أمر عظيم، يقتضي الانتباه له، والعناية به.

الجملة الأولى: قول جبريل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: (وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ).

الله أكبر! ما أعظم هذا الوسام الذي ينيله الله تعالى أهل التهجد والقيام! كثير من الناس يبحثون عن الشرف -وهو العلو والرفعة- في النسب والحسب، أو الجاه أو المال، ويبدلون لذلك أشياء كثيرة.

وهذا النص يخبرنا أن الشرف الحقيقي هو الانتصار على النفس بمجاهدتها على ترك لذة النوم، والبعد عن الكسل، ورص القدمين بين يدي الله للصلاة في الليل.

تلك الصلاة العزيزة التي لا يستطيعها كل أحد، ولا يداوم عليها إلا مؤمن استطاع أن يغلب الموانع، ويتنصر على الجواذب التي تحول بينه وبين هذه الصلاة.

قال الحسن البصري: "لم أجد من العبادة شيئاً أشد من الصلاة في جوف هذا الليل".

فأي شرف أعظم من هذا الشرف الذي يجعل صاحبه قريباً من الله، قريب الإجابة لدعائه في تلك اللحظات الشريفة، ويتركه مسرور النفس منشرح الصدر، بهيّ الطلعة، سنيّ المرأى.

أولئك القائمون بهذه العبادة صفوة عباد الله، وأهل كرامته، ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[السجدة: 16-17].

قال رسول الله ﷺ (عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربةٌ إلى ربكم، ومكفرةٌ للسيئات، ومنهأةٌ عن الإثم) (1).

وأما الجملة الثانية فقول جبريل عليه السلام: (وَعِزَّةٌ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ).

يعني: أن قوته وعلو مكانته عند الناس تبقى له فيهم ما دام مستغنياً عنهم، غير محتاج إليهم، فالحاجة ذل، والاكتفاء عز.

قال الحسن: "لا تزال كريماً على الناس، أو لا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك، وكرهوا حديثك وأبغضوك".

وقال أبو أيوب السخيتاني: "لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم".

فديننا الحنيف يعلمنا أن نكون أهل عزة لا نريق ماء وجوهنا بين أيدي الناس، ولا ننزل بهم حاجتنا ونحن قادرون على قضائها، فإن عجزنا أنزلناها بالله الذي لا يخيب سائلاً صادقاً ملحاً.

(1) رواه الترمذي والحاكم بسند صحيح.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرُمُوهُ وَسَأَلِ اللّٰهَ لَا يُخِيبُ
إن الحاجة إلى الناس شديدة لدى كرام الناس وأشرافهم، يعدونها أسراً لا إطلاق منه إلا بالمكافأة ورد الجميل، وإن عدوا مرارات الحياة فلا يجدون أمر منها، وإن لم يجدوا من المكاسب المشروعة إلا ما فيه بعض النقص لم يدعوه انتظاراً لعطاء الناس وإحسانهم.

قال بعض الصالحين: "أَحْسِنُ إِلَى مَنْ شِئْتُ تَكُنْ أَمِيرُهُ، وَاسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتُ تَكُنْ نَظِيرُهُ، وَاحْتَجْ إِلَى مَنْ شِئْتُ تَكُنْ أَسِيرُهُ".

وقال لقمان لابنه: "يَا بَنِي، حَمَلْتُ الصَّخْرَ وَالْحَدِيدَ فَلَمْ أَثْقُلْ مِنَ الدِّينِ، وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَاتِ وَعَانَقْتُ الْحَسَانَ فَلَمْ أَصِبْ أَلْذَ مِنْ الْعَافِيَةِ، وَذَقْتُ الْمَرَارَاتَ فَلَمْ أَذُقْ أَمْرَ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ".

قال عمر بن الخطاب: "مَكْسَبَةٌ فِيهَا بَعْضُ الدَّنَاءَةِ خَيْرٌ مِنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ".

يقول نبينا ﷺ: (إِنَّمَا الْمَسَائِلُ كَدُوْحٌ يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ ذَا سُلْطَانٍ، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا) (1).

وهذا الاستغناء -يا عباد الله- ليس في المال فحسب بل هو على عمومته، فإذا قدرت -يا عبد الله- أن تكفي نفسك بنفسك، وتستغني عن بني جنسك فافعل.

غير أن الحياة الجماعية تفرض على الإنسان أن يعين ويستعين، وي بذل المعروف

(1) رواه أبو داود والنسائي والترمذي بسند صحيح.

ويطلبه، ويساعد الآخرين ويساعدوه، وينفعهم وينفعوه، في غير مذلة ولا استكانة.

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدماً
قال رجل لابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: "ادْعُ اللَّهَ لي أن يغنيني عن الناس، فقال: إنَّ حوائج الناس تتصل بعضها ببعض كاتصال الأعضاء، فمتى يستغني المرء عن بعض جوارحه؟ ولكن قل: أغْنِنِي عن شرار الناس."

فيا عباد الله، استعدوا للممات قبل نزوله، وتهيأوا للعرض الأكبر قبل حلوله، واعلموا أن الدنيا فانية، والآخرة هي الباقية، فلا تعمروا الفاني بتخريب الباقي، واعلموا أن أي عمل تعملونه عليه جزاء تَلْقُونَهُ، وإذا أردتم الشرف الباذخ فكونوا من قائمي الليل، وإذا أردتم العزة القعساء، فاستغنوا عن الأحياء، واستعينوا برب الأرض والسماء.

نسأل الله أن يرزقنا العمل بهذه الجمل، قبل نزول الحق بالأجل.

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار...

فهرس المحتويات

5	المقدمة
9	خطبة الحاجة: (عظمتها، ومضامينها)
16	الخطبة الثانية
18	وما قدرُوا الله حق قدره
26	الخطبة الثانية
28	سمو سيد البشر عن طعن عابد البقر
34	الخطبة الثانية
38	ماذا قال عنه أصحابه؟
47	الخطبة الثانية
50	الأخلاق الحسنة التي أثنى الله بها على أنبيائه ورسله في القرآن (دعوة للاقتداء)
56	الخطبة الثانية
59	أحكام زينة المرأة في الشريعة الإسلامية
67	الخطبة الثانية
71	الحفلات النسائية من منظور شرعي
79	الخطبة الثانية
81	حديث القرآن العظيم عن صحابة النبي الكريم (الجزء الأول)
88	الخطبة الثانية
92	حديث القرآن العظيم عن صحابة النبي الكريم (الجزء الثاني)
97	الخطبة الثانية
100	حديث القرآن العظيم عن صحابة النبي الكريم (الجزء الثالث)

- 107..... الخطبة الثانية
- 110..... كورونا الغول الجديد
- 116..... الخطبة الثانية
- 119..... الخاسرون الرابعون
- 124..... الخطبة الثانية
- 128..... أعمال يسيرة بها أجور كبيرة (الجزء الأول)
- 133..... الخطبة الثانية
- 135..... أعمال يسيرة بها أجور كبيرة (الجزء الثاني)
- 140..... الخطبة الثانية
- 142..... الجريمة (مظاهرها-أسبابها-آثارها-علاجها)
- 149..... الخطبة الثانية
- 153..... الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
- 159..... الخطبة الثانية
- 161..... الطلاق وما يترتب عليه في ضوء سورة الطلاق (الجزء الأول)
- 171..... الخطبة الثانية
- 174..... الطلاق وما يترتب عليه في ضوء سورة الطلاق (الجزء الثاني)
- 182..... الخطبة الثانية
- 185..... الفرصة الفرصة
- 189..... الخطبة الثانية
- 193..... الليل المشرق
- 199..... الخطبة الثانية
- 202..... المشكلات الزوجية: أسبابها وعلاجها
- 209..... الخطبة الثانية

213	إلى صلاة الفجر يا عباد الله.....
219	الخطبة الثانية
222	اليهود: الحقيقة، والتطبيع
232	الخطبة الثانية
235	تَطَيَّبُوا تَطَيَّبُوا
243	الخطبة الثانية
246	رحلة الهجرة النبوية: دروس وعبر
254	الخطبة الثانية
257	عقوبات اعوجاج اللسان الدنيوية والأخروية
265	الخطبة الثانية
268	قصة نوح - عليه السلام - في القرآن الكريم (الجزء الأول)
276	الخطبة الثانية
279	قصة نوح - عليه السلام - في القرآن الكريم (الجزء الثاني)
288	الخطبة الثانية
289	هل استعدادت للجواب عن الأسئلة الخمسة
298	الخطبة الثانية
301	عش ما شئت
307	الخطبة الثانية
311	فهرس المحتويات

البُحُورُ السَّائِغَةُ

مِنْ
حُطْبِ الْمَنَابِيخِ

تَأليف الشيخ: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز آل سعود

